أبو حسين:

النشأة ـ البيئة ـ التعايُش

علي بن إبراهيم الحمد النملة

أبو حســـين

النشأة - البيئة - التعايُش

طبعة ثانية معدَّلة

١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٤م

ⓗ علي بن إبراهيم النملة ، ١٤٤٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النملة ، علي بن إبراهيم بن حمد
أبو حسين : البيئة - النشأة - التعايُش./ علي بن إبراهيم بن حمد النملة - ط٢ .- الرياض ، ١٤٤٥هـ
٣٤٥ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

رقم الإيداع ١٤٤٥/٢٤١٨٩
ردمك: ١ - ١٤٤٤ - ٠٥ - ٦٠٣ - ٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الثانية - ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

الاستهـــــلال

استقرَّ اختيار هذا العنوان «أبو حسين» لهذه الوقفات بعد حيرة دامت طويلاً؛ إذ إنَّ انتقاء عنوان للسيرة الذاتية يُعدُّ من المعضلات التي تواجه الكاتب؛ لما فيها من الرغبة في تجنُّب النمطية السائدة في اختيار عناوين السيَر، والابتعاد عن تلك التي قد ترسِّخ الـ «أنا» وتمجِّد الذاتَ كثيرًا. فاخترتُ إطلاقًا كان وما يزال محبَّبًا لي وهو «أبو حسين»، فقد كانت والدتي - رحمها الله تعالى - تدعوني به في صغري، مع أني في واقعي أبو حمد الذي أعتزُّ بأبوَّته وأخيه وأخواته.

فهرس الموضوعات

الموضوع		الصفحة
	فهرس الموضوعات	٧
	مقدِّمة الطبعة الثانية	١١
التمهيد:	فنُّ كتابة السيرة	١٥
المقدِّمة:	في وُجْهَة هذه السياحة	٢٣
الوقفة الأولى:	الانطلاقة	٣٩
الوقفة الثانية:	في الرياض	٤٩
الوقفة الثالثة:	شكلٌ من المعاناة	٥٧
الوقفة الرابعة:	الدراسة	٦١
	المدرسة السعودية الجديدة:	٦١
الوقفة الخامسة:	التجارة!	٦٩
الوقفة السادسة:	في المرحلة المتوسِّطة	٧٣
الوقفة السابعة:	في معهد الرياض العلمي (١)	٧٧
الوقفة الثامنة:	في معهد الرياض العلمي (٢)	٨٥
الوقفة التاسعة:	المراهقة (١)	٨٩
الوقفة العاشرة:	المراهقة (٢)	٩٣
الوقفة الحادية عشرة:	في كلية اللغة العربية	٩٧
الوقفة الثانية عشرة:	الإعادة	١٠٥
الوقفة الثالثة عشرة:	في البعثة (١)	١٠٩
الوقفة الرابعة عشرة:	في البعثة (٢)	١١٣
الوقفة الخامسة عشرة:	البعثة (٣)	١١٩
الوقفة السادسة عشرة:	التنصير والحوار	١٢٥
الوقفة السابعة عشرة:	الحياة العملية	١٢٩
	أوَّلاً: وكالة كلية العلوم الاجتماعية:	١٢٩

	الموضوع	الصفحة
	ثانيًا: معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية بفرانكفورت:	١٣٣
	ثالثًا – مكتب معالي مدير الجامعة:	١٣٧
	رابعًا: الملحقية الثقافية بواشنطن:	١٤١
	خامسًا: الهيئة العامَّة لاستقبال التبرُّعات للمجاهدين الأفغان:	١٤٧
	سادسًا: مجلس الشورى:	١٥٣
	سابعًا: وزارة العمل والشؤون الاجتماعية:	١٥٤
	ثامنًا: العودة للجامعة:	١٥٤
الوقفة الثامنة عشرة:	الحياة العلمية	١٥٥
	فريق البحث العلمي الخاصِّ:	١٥٨
الوقفة التاسعة عشرة:	الترقيات العلمية: «المعاناة»	١٦١
الوقفة العشرون:	عودة إلى مجلس الشورى	١٦٩
الوقفة الواحدة والعشرون:	الوزارة (١)	١٧٣
الوقفة الثانية والعشرون:	الوزارة (٢)	١٧٩
الوقفة الثالثة والعشرون:	إدارة العمل الاجتماعي	١٨٥
الوقفة الرابعة والعشرون:	معالجة الفقر	١٩٣
الوقفة الخامسة والعشرون:	جبل الأيتام	١٩٧
الوقفة السادسة والعشرون:	العلاقاتُ الوزارية	٢٠١
الوقفة السابعة والعشرون:	الشأن العمَّالي	٢٠٧
الوقفة الثامنة والعشرون:	شرف الحرفة	٢١٥
	الخروج على النصِّ:	٢١٧
الوقفة التاسعة والعشرون:	أصدقاء العمل (١)	٢١٩
الوقفة الثلاثون:	أصدقاء العمل (٢)	٢٣١
الوقفة الواحدة والثلاثون:	مواقف	٢٣٧
الوقفة الثانية والثلاثون:	مرحلةٌ جديدةٌ	٢٥١

الموضوع		الصفحة
الوقفة الثالثة والثلاثون:	معنى التقاعُد	٢٥٩
الوقفة الرابعة والثلاثون:	التكريـــــــم	٢٦٣
الوقفة الخامسة والثلاثون:	العودة للجامعة	٢٦٧
الوقفة السادسة والثلاثون:	الأحزان (١)	٢٧٣
الوقفة السابعة والثلاثون:	الأحزان (٢)	٢٧٩
الوقفة الثامنة والثلاثون:	خير خلف لخير سلف	٢٨٥
الوقفة التاسعة والثلاثون:	موسوعة الإسلام	٢٩١
الوقفة الأربـــعـــون:	الجائحة - الوباء - النازلة	٢٩٧
الوقفة الواحدة والأربعون:	قد قِيل ما قِيل	٣٠٣
الوقفة الثانية والأربعون:	المضيِّ على السجيَّة	٣٠٧
الوقفة الأخـــيرة:	وبعـــــــدُ	٣٠٩
المصادر والمراجع		٣١٣
الملحق		٣١٩
الأعمال العلمية		٣١٩
أولاً: الكتب		٣١٩
ثانيًا: مقالات وبحوث علمية		٣٢٨
دراسات حول الباحث		٣٤٤

مقدِّمة الطبعة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبدالله وعلى آله ومن والاه، وبعد؛

فهذه الطبعة الثانية من كتاب «أبو حسين» في السيرة الذاتية بعد أنْ نفدت الطبعة الأولى - بفضل الله تعالى -. وفي هذه الطبعة استدراكاتٌ على الطبعة الأولى زوَّدني بها أحبَّةٌ شرَّفوني بقراءة الكتاب وسجَّلوا مشكورين ملحوظاتهم، فعملت على استدراكها، دون الحرص على الإضافات في المحتوى إلا ما وجدت ضرورةً لإضافته.

وقد توخَّيت في هذه الاستدراكات قرب النصِّ من الصواب، بما في ذلك الوقفات الإملائية التي خذلني فيها التحوُّل من خطٍّ إلى آخر؛ ليناسب الخطُّ الآخر الطباعة الفنِّية، ولا عذرَ لي في هذا، بالإضافة إلى ما وقعت فيه من أخطاء إملائية وطباعية لا أبرِّئ نفسي منها.

وأدين بالشكر والتقدير والدعاء لجميع من زوَّدوني بملحوظاتهم، وأرتِّبهم هنا بحسب الاسم الأوَّل على النحو الآتي:

١. أخي وصديقي الصدوق الأستاذ الدكتور «إبراهيم بن مبارك بن موسى الجوير»، صحَّح لي بعض المعلومات التي لم أكنْ دقيقًا فيها.

٢. الأستاذ القدير «أحمد بن عبدالمحسن العسَّاف»، صاحب المدوَّنة، الذي غمرني كثيرًا في مدوَّنته بوقفاته وتصويباته المقدَّرة.

٣. أخي الأستاذ «أحمد بن عبدالرحمن المنصور الزامل» الذي بادر عندما علم ببدء كتابة هذه السيرة بطرح بعض الأفكار التي رأى إدراجها، فأخذت بها.

٤. أخي الأستاذ الدكتور «خالد بن إبراهيم الحمد النملة»، الذي كحَّل نسخته بالحبر الأحمر، فجاء الكحل بردًا وسلامًا على أخيه هذا.

٥. أخي الأستاذ «سليمان بن أحمد التركي»، الذي أمدَّني ببعض الاستدراكات حول معلومات ذكرت نتفًا منها فزوَّدني بتوثيقها.

٦. أستاذي الفاضل أ. د. «عبدالستَّار عبدالحق الحلوجي»، الذي استدرك على الكتاب بعض الأخطاء والوقفات التي لم يرَ لها ضرورة.

٧. الأخ الدكتور «عبدالله بن عبدالرحمن الحيدري»، المتخصِّص في السير الذاتية، الذي أكَّد مع تصويباته المفيدة على إضافة بعض الصور في الكتاب، لا سيَّما القديمة منها. وما كانت لديَّ صورٌ قديمة تستحق النشر، فما كان التصوير ولا آلاته شائعين في البيئة التي عشت فيها وعايشتها.

٨. ويوافقه في هذا الإصرار على إقحام الصور القديمة و»غير الاستعراضية» أخي وصديقي الصدوق الأستاذ الدكتور «عبدالعزيز بن إبراهيم السليمان العُمري»، ولكنني ما أزالُ على عدم اقتناعٍ بإقحام الصور.

٩. اللواء صديق الطفولة «عبدالله بن عثمان البرَّاك»، حيث استدرك عليَّ صحَّة نسبة بعض الأسماء الواردة.

١٠. أخي الصديق الأستاذ الدكتور «محمد بن علي الصامل»، الذي صوَّب كثيرًا من الأخطاء الإملائية والتعبيرية، على اعتبار أنه أستاذ في البلاغة العربية وضليع في التعبير العربي.

١١. أخي الأستاذ مصعب بشير محمد الشريف على استدراكاته المفيدة وتوليه تنسيق الكتاب.

١٢. أخي الدكتور «يوسف بن إبراهيم الحمد النملة»، الذي عني كذلك

بالتصويبات اللغوية، وقدَّم لي الأفصح في التعبيرات.

فلهم مني جميعًا الشكر والدعاء، ورحم الله امرؤًا أهدى إليَّ عيوبي.

وها هي الطبعة الثانية بين يدي القارئ والقارئة الكريمين بعد تنقيحها وتصويب الملحوظات فيها، دون تغييرات جذرية على أصل النصِّ والأفكار الواردة فيها. وما أزال بحاجة إلى المزيد من الاستدراكات والتصويبات التي أتلقَّاها بسعادةٍ غامرةٍ، فأرجو المزيد منها.

والحمد لله ربِّ العالمين.

علي بن إبراهيم الحمد النملة

الرياض في ٢٨ / ١٠ / ١٤٤٥هـ /

٠٧ / ٠٥ / ٢٠٢٤م

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

التمهيد:
فنُّ كتابة السيرة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيِّد المرسلين محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعدُ؛

فقد كتب الوزير «جعفر بن يحيى البرمكي» (١٥٠ - ١٨٧هـ/ ٧٦٧ - ٨٠٣م) إلى بعض عمَّال الخليفة العبَّاسي «هارون الرشيد» - وقد وقف على سهو في كتاب ورد منه -: «اتّخِذ كاتبًا متصفِّحًا لكُتبك، فإنَّ المؤلِّف تنازعه أمورٌ وتعتوره خروقٌ تَشغل قلبه، وتُشَعِّب فكره من كلام ينسِّقه وتأليف ينظِّمه ومعنًى يتعلَّق به ويشرحه وحجَّةٍ يوضِّحها، والمتصفِّحُ للكتاب أبصرُ بمواضع الخلل من مبتدئ تأليفه».[١]

وفي وقفة صحفية سابقة في صحيفة الجزيرة نحتُ باللائمة على أولئك الذين يكتبون ما يرون أنه من السيرة الذاتيَّة، فتجد نفسك أمام سفر منمَّق و«متعوبٍ عليه»، من حيث الإخراجُ في ورق مصقول كثير الصور والخطابات المتبادلة أو التي تلقَّاها، يُتعبون الناس بسيرهم الذاتية، وكأنهم قد أتوا بما لم تستطعه الأوائل. ولكني بعد ذلك وجدتُ أنَّ أدب السير الذاتية فنٌّ مستقلٌّ بذاته.

ليس كل من كتب سيرته الذاتية يجيد الكتابة في هذا الفنِّ، ومن ثمَّ قد يكون عرضةً للنقد من الأدباء ذوي الميول الأدبية والنقدية، المتابعين لفنِّ السيرة الذاتية،[٢] ووجدت أنَّ من يريد كتابة سيرته الذاتية عليه أنْ يعرض المحتوىٰ علىٰ

(١) انظر: ياقوت الحموي. معجم الأدباء.- ط ٣.- ٢٠ ج في ١٠ مج.- د. م.: دار الفكر، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.- ١: ٥٦.

(٢) انظر: أحمد علي آل مريِّع. السيرة الذاتية: مقاربة الحدِّ والمفهوم.- الرياض: المجلَّة العربية، ١٤٣٢هـ.- ١٧٥ ص.- (سلسلة كتاب المجلَّة العربية، ١٧٨).

بعض المحرِّرين في كتابة السيَر لغةً وأسلوبًا ومحتوًى. ولا غضاضةَ في ذلك، لا سيَّما إذا ما شكرهم في مقدِّمة سيرته وحفظ لهم فضلهم.

وجدت الأخ الدكتور «عبدالله بن عبدالرحمن الحيدري» قد درس هذا الفنَّ، وجعله مجالاً لدراساته العليا، وقام بتطبيقه على بعض كُتَّاب السيرة الذاتية من السعوديين، واستطاع أنْ يخرج بنتائج علمية واجتماعية وثقافية جديرة بالتتبُّع والملاحظة، مما تجدر العودة إلى هذه الدراسة العلمية التي ظهرت على شكل كتاب، لما فيها من تحليل لما ينبغي أنْ تكون عليه السيَر الذاتية.(١) وأي سيرة ذاتية لا ترسم طريقًا يمكن الإفادة منه لأجيال قادمة لا معنى لنشرها. ولدينا بعض السير الذاتية التي لا تلبِّي هذا الشرط، ويمكن مقارنتها ببعض السير الأخرى التي تستحق الاستحضار دائمًا. وبضدِّها تتميَّز الأشياء.

تابعني أخَوان شابَّان مرهفان حسًّا وأدبًا، هما الأستاذان «عبدالله بن عبدالمحسن الزامل» و»فهد بن عبدالله العجلان»،(٢) وطلبا مني وريقات عن سيرتي الذاتية، ليضمّناها كتابًا لهما، أصدراه عن بعض الرجال من أبناء هذا البلد المبارك، المملكة العربية السعودية، فتمنَّعت كثيرًا، واستشرت فأشير عليَّ بإجابة رغبتهما.

وجدتني أسطِّر بعفوية ما حضرني من حياتي العادية تمامًا ولله الحمد؛ لأجده موضع ترحيب من بعض أحبَّتي، من مجامل في ظنِّي. ولم يكن موضعَ ترحيب من آخرين؛ رغبةً منهم في عدم كشف المستور، لا سيَّما حالة العوز والحرمان التي مررتُ بها مثل كثير غيري في بدايات حياتي، وأنها في رأيهم مرحلة من

---

(١) انظر: عبدالله بن عبدالرحمن الحيدري. السيرة الذاتية في الأدب السعودي/ تقديم حمد الجاسر.- ط ٢.- الرياض: دار طويق، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.- ٨٠٨ ص.

(٢) واصل الأستاذ عبدالله الزامل دراساته العليا، وأضحى مع نهاية سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م الدكتور عبدالله الزامل. والأستاذ فهد العجلان يواصل نشاطه الصحفي مركِّزًا على الجانب الاقتصادي.

مراحل الحياة قد مضت بمرارتها وحرمانها، وينبغي التغاضي عنها، مع أني لم أشعر بمرارتها، وإنْ شعرت فيها بالحرمان. كما أنها سمةٌ غالبة على الغالبية من أبناء جيلي، فلم أنفرد بها، ولا يليق بي - في نظرهم - التبجُّح بها، فلم تكن من خصوصيَّاتي، بل كانت سمةً اجتماعية شاملة لأبناء جيلي ومَن قبلهم.

وجدت ذلك منشورًا في كتاب يحمل عنوانًا جميلاً هو: «نجاحات من الصحراء»،(١) ووجدتني أصنَّف مع علماء وأساتذة كبار من أمثال أصحاب الفضيلة والمعالي: العلاَّمة «حمد بن محمد الجاسر» - رحمه الله - والدكتور «عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر» - رحمه الله تعالى - وزير الدولة عضو مجلس الوزراء ووزير الصحة والمعارف سابقًا، والأستاذ الدكتور «أسامة بن عبدالمجيد شبكشي»، وزير الصحة السابق وسفير المملكة العربية السعودية في برلين بألمانيا سابقًا - رحمه الله تعالى -، والأستاذ الدكتور الشيخ «صالح بن غانم السدلان» الأستاذ بجامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية - رحمه الله - والدكتور «محمد بن راشد الفقيه» جرَّاح القلب العالمي، والدكتور» كتاب العتيبي» المشرف العام السابق على برنامج مستشفيات القوات المسلحة، والدكتور «عبدالله بن عبدالعزيز المعيلي» - رحمه الله - مدير عام التعليم بمنطقة الرياض سابقًا.

كان عنوان وقفتهما معي في الكتاب «نجاحات من الصحراء»: بائع [البطِّيخ] الذي أصبح برفسورًا فعضوًا في مجلس الشورى.(٢) وكانت هذه الوقفة عندما كنت عضوًا في مجلس الشورى.

ما أسطِّره أدناه قد يدخل في مفهومات السيرة الذاتية أو الترجمة الذاتية أو

---

(١) انظر: عبدالله الزامل وفهد العجلان. نجاحات من الصحراء/ تقديم سلطان بن سلمان ابن عبدالعزيز.- الرياض: دار المواجب العربية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.- ١٧٦ ص.

(٢) انظر: عبدالله الزامل وفهد العجلان. نجاحات من الصحراء.- المرجع السابق.- ص ٦٧ - ٩٢.

السيرة الشخصية أو الترجمة الشخصية،[١] أو مذكِّرات أو وقفات تتخلَّلها بعض الرؤى والأفكار التي رأيت أنْ أثبتَها، بدلاً من أنْ تكون مجرَّد سرد لحياة شخص من الأشخاص الذين يمرُّون على هذه الحياة الرحبة، دون تحديد الأيَّام أو سيرة الحياة، ودون أنْ تكونَ لسردهم حياتَهم إضافةٌ تؤثِّر في مسار المتلقِّي، ويُترك التفريق بين هذه المفهومات - من حيث المصطلح - إلى المتخصِّصين في دراسة أدب السيرة الذاتية في مقابل «السيرة الغيرية»؛ لفكِّ إشكالية المصطلح.[٢]

وسيلاحظ القارئ الفاضل أنني في منهجي هذا قد أقحمت بعض المصادر والمراجع التي تخدم المقام أو الفكرة المطروحة، مما يكون قد أكسى هذه السيرة قدرًا من «العلمية» (الأكاديمية). وهذا نهجٌ أحسب أنه غير مألوف في السيَر الذاتية، وقد لا يكون مقبولاً، إلا أنِّي مقتنع به؛ توخيًّا للأمانة العلمية وتوثيقًا لمعلومات وردت في هذا السرد، ثم أثبتُّ هذه المصادر والمراجع نهاية هذه الوقفات.

كما قد يلاحظ القارئ أني أقحمت بعض الكلمات الدارجة، التي قد يُظنُّ أنها غير عربية؛ بحكم أنها دارجة؛ فيظن بعض القرَّاء أنها عامِّية، وهي لا تخلو من أصلها العربي.

ومما حيَّرني كثيرًا في تسطير هذه الانطباعات اختيار عنوانٍ لها، يكون معبِّرًا من ناحية، ولا تكون فيه نبرة «الأنا» أو النرجسية أو تزكية النفس من ناحية ثانية، ويكون كذلك طريفًا لطيفًا من ناحية ثالثة. واستشرت من أثق بهم من «ذوي

---

(١) انظر: خالد الخشرمي. الشرق والغرب في السيرة الذاتية العربية.- مكَّة المكرَّمة: نادي مكَّة الثقافي الأدبي، ١٤٣٤هـ.- ص ٤٢ - ٥٨.

(٢) انظر: صالح معيض الغامدي. كتابة الذات: دراسات في السيرة الذاتية.- بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠١٣م.- ص ٣٣ - ٤١.

العقول الراجحة»، فوجدت أنَّ الحيرة قد ازدادت، مع أنني لم أخرج في اختيار العنوان على ما طرحه عليَّ أحبَّتي «ذوو العقول الراجحة».

وقد عزمت على سرد مراحل حياتي على ما ظهر لي أنها عليه، دون إغفال بعض الجوانب التي هي عليَّ، بدلاً من التركيز على تلك الجوانب من المراحل التي هي لي. وقد تأثَّرت في هذا كثيرًا بعبارة الإمام الحافظ «عبدالرحمن ابن مهدي» (١٣٥ - ١٩٨هـ) - رحمه الله تعالى -؛ إذ إنَّها تعبِّر عن منتهى الموضوعية العلمية في قول الحقِّ والتجرُّد من الشعور بالتحيُّز: «أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلاَّ ما لهم».[1]

وقد يُنقل هذا النصُّ نفسُه عن الإمام «وكيع ابن الجرَّاح» (١٢٩ - ١٩٧هـ) - رحمه الله تعالى - ولا بأس، فكلا الإمامين متعاصر متصاحب، وهما من كبار أئمَّة الحديث الثقات. وأرجو أنْ أكون في هذه الوقفات من ذوي الصنف الأوَّل، الذين يكتبون ما لهم وما عليهم.

ومنذ أنْ شرعت في كتابة هذه الخواطر وأنا أعيد قراءتها في مراحل متقطِّعة، فأحذف ومنها أُضيف إليها؛ أحذف ما يظهر لي أنه غير مناسب؛ لما قد يُفهم منه أنَّ فيه تلميحاتٍ وتلويحاتٍ أو إساءات لأشخاص قد يُفهم من السياق أنهم معنيُّون، وما هم بمعنيين. وقد حذفت الكثير مع كثرة الرجوع للمسودة. وقد أضيف ما أرى أنه من المناسب عدم إغفاله. وقد أضفتُ القليل بالمقارنة بالمحذوف. وإذا قلت: إنني مررت على هذه الوقفات أكثر من عشر مرَّات فإنني لا أجانب الصواب. وكان هذا على مدى تسعة عشر عامًا أو تزيد. أي منذ سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

---

(١) انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، شيخ الإسلام. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم/ تحقيق وتعليق ناصر بن عبدالكريم العقل.- ط ٧.- الرياض: المحقِّق، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.- ص ٨٥.

وهـذا الـتردُّد الواضـح مبنـي علـى فـرط الحساسـية التـي تخيِّـم علـى هـذا الإنسان، بحيث لا يرغب في الإساءة إلى أحدٍ دون قصدٍ منه. وهو في الوقت نفسه مما ينطبق عليه قول «القاضي الفاضل» المنسوب إلى «العماد الأصفهاني: «إني رأيت أنه لا يكتب إنسانٌ كتابًا في يومه إلا قال في غده: لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زِيد كذا لكان يستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُركَ هذا لكان أجمل. وهذا من عظيم العِبَر. وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر». (١)

ثم إنني فضَّلت ألا أُقحم الصور لمشايخي وأساتذتي وأصدقائي وزملائي؛ فقد تبيَّن لي أنني سأكون حاضرًا فيها، مما قد يثير قدرًا من الإنكار لإقحام ذاتي في الصور؛ لأُثبت العلاقة والارتباط. فأحجمت عن هذا وألغيت تدبيج هذه الوقفات بالصور.

ومن المهم هنا أنني أقدِّم هذه الخواطر بحسب ما أملته عليَّ انطباعاتي، التي قد يرى فيها البعض قدرًا من العفوية. وهي الآن بنشرها لم تعُد ملكًا لي. والذي آمله أنْ يتقبَّلها القارئ على ما ظهرت عليه دون اللجوء إلى القول: ليتك لم تكتب هذا، أو ليتك كتبت هذا، فإنَّ في هذا محاولةً لإبداء الرأي الذاتي في أمرٍ قد تمَّ وجرى، دون إغفال النقد وبيان الهنات التي اعترضت هذه الوقفات. والحمد لله على ما تمَّ وجرى.

وقد جاءت هذه الوقفات بمقدِّمة واثنتين وأربعين وقفةً، فوقفة ختامية بعنوان «وبعد»، فقائمة وراقية «ببليوجرافية» بالمراجع التي ورد ذكرها في الوقفات، مع حذف ما ورد منها مما تيسَّر لي إصداره؛ لوجوده في الملحق المحتوي على قائمة وراقية «ببليوجرافية» بالكتب والمقالات والبحوث التي تيسَّر لي

---

(١) انظر: ياقوت الحموي. معجم الأدباء.- ط ٣.- ٢٠ ج، ١٠ مج.- القاهرة: دار الفكر، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.- ٥: ٣.

إعدادها، وبعض الدراسات عني داخل البلاد وخارجها، في مصر والعراق واليمن. ولا بدَّ من التوكيد أنَّ الهدفُ والمراد من هذا السرد كلِّه هو إقامةُ علاقةٍ ما مع المتلقِّي،[١] تُفضي إلى ألاَّ تكونَ قراءتُها - بإذن الله تعالى - قد ذهبت هباءً منثورًا!

علي بن إبراهيم الحمد النملة

الرياض ١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٤م

*****

---

(١) انظر: عصام العسل. فنُّ كتابة السيرة الذاتيَّة: مقاربات في المنهج.- بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٠م.- ١٦٠ ص.

المقدِّمة: في وُجْهَة هذه السياحة

هذه سياحة ذاتية، قد لا تعني شيئًا لكثيرٍ من القرَّاء، وقد ينظر إليها آخرون نظرةً من الزاوية غيرِ التي أراد لها راويها أنْ يُنظر إليها منها، بل ربما رُئي أنها مضيعةٌ للوقت؛ لما تحتويه من معلومات غير مفيدة، أو لما لا تحتويه من معلومات في نظره! وعليه فإني أتحمَّل وحدي ما قد ينتج عنها من نظرات غير حسنة «غير إيجابية».

وأنصح بألاَّ تُقرأ من أولئك الذين لا يروق لهم الأسلوب العفوي الواضح، الذي سرتُ عليه في تعامُلي مع الأشخاص والأشياء. وكذا الأسلوب السردي الذي اخترته لهذه الخواطر، ولا من أولئك الأشخاص النقّادة، الذين يبحثون عن الهنات أكثر من بحثهم عن الحسنات. ومع هذا فإنَّ هذه الرواية تؤمن بالمبدأ القائل بأنْ ليس كلُّ ما يُعلم يُقال، لا سيَّما إذا كان هذا المعلوم الذي لا يُقال يمسُّ أشخاصًا بالاسم، أو يُفشي أسرارًا ليس من المروءة إفشاؤها.

وكما مرَّ التلميح إليه في التمهيد أحاول في هذه الوقفات أنْ أؤرِّخ للشأن الإنساني والاجتماعي والعلمي والإداري في حياتي التي عشتها، في مراحل الانتقال من الفاقة إلى الخير العميم، ليس على المستوى الفردي والأُسْري فحسب، بل على المستوى المحلِّي العامِّ. والأحداث التي تسرد هنا يراد من ورائها تصوير تلك الحقبة من التاريخ الاجتماعي (١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م إلى نهاية سرد هذه الخواطر بعد ما لا يقلُّ عن سبعين سنة)، وربَّما قبل تلك المرحلة - بحسب ما سمعت من الأهل والأجداد - لبقعة أو أكثر من بقاع هذا البلد المترامي، الذي جمعته رايةٌ واحدة، لم يكن يتوقَّع أنْ تجمعَه رايةٌ غيرُها.

لم أكنْ في يومٍ من الأيَّام أفكِّر في أنْ أُحقِّق ذاتي، فقد وجدتها بين ركام من الحرمان والفقر والمعاناة والتحدِّي والخوف، وربَّما التعقيدات النفسية التي تزامنت مع طبع في النفس يريد من كلِّ شيء أنْ يكون على تمامه. وكانت والدتي - رحمها الله تعالى - تعيِّرني بذلك، فقد كانت هي ووالدي - رحمه الله تعالى - من أعرف الناس بتركيبتي الشخصية، وكانت والدتي تقول دائمًا: إنَّ أبا حسين يريد أنْ يصلح الكون، أو على حدِّ تعبيرها: «يبي يصفِّي الكون».

وقد كنت كذلك أريد أنْ يكون كلُّ شيء على تمامه، ولا أطيق أنصاف الحلول. وقد لقيت من هذا الإحساس عنتًا شديدًا؛ لأنَّ الظروف لا تأتي على الهوى والرغبات. وقد قيل دائمًا: ما لا يُدرك جلُّه لا يُترك كلُّه. وانعكس هذا على بعض مؤلَّفاتي التي أسهمتُ بها في الساحة الفكرية العربية، ومنها كتاب «هاجس المؤامرة في الفكر العربي بين التهوين والتهويل» في طبعته الأولى (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).(١)

وفي الحديث عن هاجس المؤامرة يمكنني القول إنني قد لقيتُ من هذا المفهوم عنتًا كبيرًا، وما أزال عندما خالطتُ إخوةً أعزَّاء على نفسي، فكانوا يُعيدون أيَّ حدث يمر بالأمَّة أو الوطن أو المدينة أو الحي بأنَّ وراءه مؤامرة. وما كانوا يقبلون الأمور ابتداءً على ظاهرها أبدًا. ولا يريدون أنْ يروا الأمور كما هي، بل لا بُدَّ من تأويل سلبي لأيِّ حدث، مهما كان إيجابيًّا.

وكانوا لا يتردَّدون في أنْ يروا بعض الناس على أنهم مخبرون أو عيون أو جواسيس. وربَّما كان هذا من الإفراط في التذاكي المولِّد دائمًا للقلق. ومن هذه الفئة أخٌ زاملته بكلِّية اللغة العربية، وكان من أشدِّهم بكثير. وقد أُصيب صاحبي ذا - رحمه الله تعالى - بمرض البارانويا أو الشعور بالملاحقة أو «جنون الارتياب»، فكان يظن دائمًا أنه ملاحق من آخرين!

---

(١) صدرت الطبعة الثانية من الكتاب عن مكتبة بيسان ببيروت سنة ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

وغني عن القول إنَّ هذا الشعور قد أتعبني كثيرًا؛ لأني أشعر أنه نغَّص على الناس حياتهم وشعورهم بالأمن الداخلي، وجعلهم دائمًا في قلق. وقد لامني أحدُ أحبَّتي مقرِّعًا - ونحن نجيد فنَّ التقريع بامتياز - بأنَّ تلك الحال التي عايشتها قد تلبَّست بي في حكمي على الآخرين.

وإذا كنت أنا الذي تلبّستْ بي هذه الحال مع صاحبي، بمعنى أنها كانت حالاً خاصة لا يقاس عليها، فتكون حالاً استثنائية مضت بمضي صاحبها - رحمه الله تعالى -. ومع هذا فأنا أصرُّ على وجود نماذجَ منها بيننا نعايشهم، ونسعى إلى صرفهم عن هذا الوسواس وربَّما تضايقوا من هذه المحاولات، وإنْ لم تكن هذه النماذجُ بتلك الحدَّة التي كانت عليها حال صاحبي.

وكان هذا ينبئ عندي عن قلق نفسي مع محاولة البعض التذاكي والمبالغة - كما ذكرت أعلاه - في قراءة ما بين السطور قبل قراءة السطور نفسها، والقفز إلى النتائج قبل وضوح الرؤية. وهذا من الهوى المبيَّت كما يظهر. كما أنه ينبئ عن قدر من اهتزاز الثقة بالنفس والثقة بالمبادئ التي نؤمن بها ونتمثَّلها في حياتنا كلِّها. وربَّما - أقول ربَّما - يوحي بنقصٍ غيرِ مُدْرَك في التوكُّل على الله تعالى في التصدِّي للمكر والكيد والوقيعة بالأفراد والمجتمع والأمَّة، التي لا يخلو العالم اليوم منها بوضوح وتخطيط ورسم الإستراتيجيات المعلنة للملأ، وليس بالضرورة بالمؤامرة والسرِّية والتكتُّم. والسرِّية من لوازم المؤامرات.

وهنا وجه الدقَّة في التفريق بين المفهومين؛ بين التخطيط الصريح والمعلن والمؤامرات السرِّية الشرِّيرة. والمؤامرات على وجودها وسرِّيتها والتكتُّم عليها ونزوعها إلى الشرِّ والوقيعة بين الناس والأمم هي أقلُّ بكثير مما هو معلن بالتخطيط ووضع الاستراتيجيات المعلنة، وإنشاء مراكز التفكير والبحوث والدراسات لها والتفكير الجمعي "THINK TANK"، ومن ثمَّ نشرها بصورة تقارير، تتطوَّر أحيانًا إلى مقالات وكتب منشورة ومترجمة، بعد انتهاء الإفادة

منها من قبل الجهات التي كلَّفت الباحث بإعدادها، مثل العمل المشهور عن صدام الحضارات،[١] والعمل الآخر عن الأصولية في العالم العربي.[٢] وغيرهما كثير.

أدَّى هذا الموقف من الناس عند هذه الفئة ممن تلبَّست بهم عقدة المؤامرة إلى تفسير الأمور دائمًا على غير ظاهرها. ونتج هذا عن النظر إلى كلِّ شيء بسوء الظنِّ دائمًا وهاجس تعمُّد الضرر، وأنَّ وراءَ كلِّ سلوك فردي أو جماعي ترتيبًا مسبقًا، مؤدَّاه الاحتيال والتآمُر والكيد للناس والتحايُل عليهم، والوقيعة والدسائس بينهم.

وكان من طباعي التي أعتزُّ بها، ولكني في الوقت نفسه لا أفرضها على أحدٍ، ولا أذكرها في المجالس والمناسبات إلا أنْ أُسألَ عنها، أنني لا أرغب في المباهاة والتفاخُر، والنزوع إلى ما يثبت ذلك، أو يؤدِّي إليه من اللباس والمركب والمسكن. إلا أنَّ ظروفي الوظيفية فرضت عليَّ نمطًا من اللباس والمسكن والمركب لم أكن مقتنعًا به. ولكنها الضغوط الاجتماعية التي تفرض على المرء أنْ يكون كما يريد المجتمع، لا أنْ يكون كما يريد هو. وقد قيل: كُل ما يُعجبك، والبس ما يلبس الناس!

ولذلك سطَّرت عبارةً أثق بصحَّتها تقول: «أجمع بعض العقلاء على أنَّ راحتك في تركِك تفعل ما تريد فعله، لا ما يُراد لك فعلُه». وأردف عاقلٌ آخرُ

---

(١) انظر: صامويل هنتنجتون. صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي/ ترجمة طلعت الشايب، تقديم صلاح قنصوه.- ط ٢.- القاهرة: سطور، ١٩٩٩م.- ٢٢٥ ص الهوامش. وانظر إلى طبعة أخرى في: صموئيل هنتنغتون. صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي/ ترجمة مالك عبيد أبو شهيوة ومحمود محمَّد خلف.- مصراتة (ليبيا): الدار الجماهيرية، ١٩٩٩م.- ٣٩٠ ص.

(٢) انظر: ريتشارد هرير دكمجيان. الأصولية في العالم العربي/ ترجمة عبدالوارث سعيد.- ط ٢.- المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.- ٣٠٨ ص.

منهم محترزًا: «فيما لا يُغضب الله». وكتبت عن معنى الراحة في المساحة التي كنت أكتب بها زاويةً أسبوعيَّة في صحيفة الجزيرة أو صحيفة عكاظ، وأنها ترك المرء - لا سيَّما كبار السن من الذكور والإناث - من قِبَل أهله يفعل ما يريد هو، لا ما يريده أولاده وأقرباؤه له، مهما رأى أولاده وأحفاده أنهم يسعون لراحته.

ومع هذا فقد كان لي هامشٌ من أنْ أكون أنا كما أُريد في ملبسي ومركبي ومسكني. ومن الملبس مثلاً رفضي للبس النظَّارة الشمسية، التي كنت أشعر أنَّ لبسها يوحي بالمباهاة وتصنُّع الوجاهة، وإنْ كنا نسكن في منطقة حارَّة شمسها «تشوي الطير»، بالإضافة إلى ما أصابني من ضعف في النظر منذ طفولتي، ولا أذكر أنني اقتنيت نظَّارةً شمسيةً، في الوقت الذي أرى فيه أقرب الناس إليَّ من أولادي من يتفنَّنون في اقتناء النظَّارات الشمسية، حتى النظَّارة الطبية التي أجبرني عليها ضعف نظري منذ الصغر، عزفتُ عن أنْ تكون ملوَّنة أو معتمة، ورفضت تلك التي تتلوَّن في حال السطوع أو العتمة.

انشغلتُ في شقِّ الطريق الذي كان ممهَّدًا لي مقارنةً بغيري من أبناء جيلي، ولكني لم أعمد إلى السباق فيه، بل كانت القناعة عندي عاليةً، بحيث أتردَّد كثيرًا قبل القبول بأيِّ مسؤولية إدارية، إلى حدٍّ جعل بعض الناس يشكُّون في مقدرتي الذاتية على القيام بما يُناط بي من مهمَّات، وأنَّ نفَسي قصير لا أثبت على عمل واحد، وأنني ملول لا أثبت على مقامٍ واحد، وأني أفتقر إلى روح القيادة، وأني أقرب إلى أنْ انقاد، لا سيَّما أنِّي كنت وما أزال أردِّد ألاَّ طموحَ إداريًا أبحثُ عنه. ومن ثمَّ فلا وجاهةَ اجتماعيةً أتعلَّق بها. وقد طلب أحدُ مَن لهم تأثير قويٌّ عليَّ وفضل عندما رفضت عروضه المغرية لشغل مناصب إدارية أكاديمية - وعلى سبيل إبداء تعجُّبه من موقفي السلبي من المناصب الإدارية وتلطُّفًا منه - طلب من زميل وصديق عزيز أنْ يقرأ عليَّ، أي يرقيني، لعلَّ موقفي هذا يتبدَّل!

كنت من هذه الناحية مرتاحًا نفسيًا، وإنْ فسَّره آخرون على أنه قلقٌ نفسي.

لم أشعر في يوم من الأيام بالحسد تجاه نعمة أنعمها الله تعالى على غيري، أو حتى الغبطة تجاه زملائي الذين أنعم الله عليهم، أو بالأحرى ابتلاهم بالمراكز والمناصب والثروة والجاه والدنيا.

ولم أشأْ في يوم من الأيام أنْ أكونَ طرفًا في نزاع، بل ربَّما أسديت نصحي لزملائي المبتدئين، من الأكاديميين العائدين من البعثة أو المنظِّمين للقسم العلمي الذي كنت أنتمي إليه، بالابتعاد عن تنغيص الذات والآخرين بالدخول في مشكلات مع الزملاء والمسؤولين المباشرين، على غرار ما يحدث في بعض الأوساط الإدارية والعلمية والأكاديمية والفنية في عالمنا العربي، حينما تجد الصراع على أشدِّه لأتفه الأسباب، مما يسبِّب في تكوين شلليات لا تجتمع في الغالب إلا على التوافه من الرؤى، فتهيِّئ جوًّا من العمل غيرَ صحِّي، يُتعب النفسَ ويؤثِّر في الخدمة التي تقدَّم للمستفيد، ويفسد العلاقة بين الزملاء، فتتأثَّر الخدمة المقدَّمة للمستفيد سلبًا، وهو «المحصِّلة النهائية» للوظيفة.

ومن باب القول: الشيء بالشيء يُذكر هناك من المسؤولين في بعض الإدارات من يؤجِّج هذا الأسلوب في العلاقات، من منطلق فرِّق تسُدْ،[(١)] فينشر العيون، ويتتبَّع عورات العاملين معه، ويشجِّع على الغِيبة والنميمة بينهم، ويغلِّف ذلك كله بالغيرة على هؤلاء الموظَّفين والرغبة في الانضباط في العمل، تحدوه لهذا الإجراء «مصلحة العمل». هذا المصطلح الذي أضحى حجَّةً لمن يبحث عن هنات الموظَّفين أو العاملين؛ ليوقع عليهم العقوبات! ويظهر أنَّ هذا الإجراء من

---

(١) فرِّق تسُد مصطلح سياسي عسكري اقتصادي، الأصل اللاتيني له "*divide et impera*". ويعني تفريق قوَّة الخصم الكبيرة إلى أقسام متفرِّقة لتصبح أقلَّ قوَّة وهي غير متَّحدة مع بعضها البعض، مما يسهل التعامُل معها. كذلك يتطرَّق المصطلح للقوى المتفرِّقة التي لم يسبق أنْ اتَّحدت، والتي يراد منعها من الاتِّحاد وتشكيل قوَّة كبيرة يصعب التعامُل معها. انظر: موسوعة ويكيبيديا الحرَّة على موقعها في الشبكة العنكبوتية «الإنترنت».- ٦/ ١٢/ ١٤٣٠هـ الموافق ٢٣/ ١١/ ٢٠٠٩م.

الأمراض النفسية والإدارية والاجتماعية غير الظاهرة. وقد مرَّت عليَّ حالاتٌ من هذا النمط، سيأتي ذكرها - إن شاء الله - في هذا السرد.

يتَّسم بعض الموظَّفين خارج عملهم في الأصل بسمات طيِّبة ويحافظون على وظائفهم الدينية والاجتماعية خارج محيط العمل. وإذا قدم هذا البعضُ إلى عملهم نزعوا هذا اللباس لدى البوابة الخارجية للمنشأة وعلَّقوه على سورها الخارجي، ولبسوا لباسًا آخرَ كما يلبس الفنّيون والأطباء ومساعدوهم، ولكنه لباسٌ معنويٌّ يقوم على قدر من غير المبالاة (اللامبالاة) والتصيُّد في العلاقات مع زملائهم ورؤسائهم ومرؤوسيهم ومراجعيهم.

يتحوَّل الأصل عندهم من أنْ يكون التيسير على الناس هو ديدنهم إلى أنْ يكون التشديد على خلق الله هو خُلُقهم. وفي التشديد يقول سفيان الثوري إمام الحفَّاظ، الكوفي المجتهد، (٩٧ - ١٦١هـ): «إنَّما العلمُ عندنا الرُّخصةُ من ثقةٍ، فأمَّا التشديد فيُحسنه كلُّ أحد».[1] فتراهم يتَّبعون في تعاملهم أضرَّ الضررين، وربَّما صدموا المراجِع بأنَّ النظام لا يسمح بهذه الخدمة أو تلك، وربّما لأنهم لم يقرؤوا النظام أو يطَّلعوا عليه، وربَّما لأنهم لم يُعوَّدوا تحمُّل المسؤولية من قِبل رؤسائهم، ولاحقتهم التأنيبات ولفت النظر، ولم يفوَّضوا من الصلاحيات ما يجعلهم قادرين على صنع القرار والمضي فيه. بالإضافة إلى الإحباطات التي يواجهونها في حياتهم الوظيفية. يستوي في هذا الموظَّفون والموظَّفات.

وهذا مرضٌ إداريٌّ يحتاج إلى دراسة إدارية ونفسية، تستفيد منها الدول في أدائها الإداري، وفي سعيها لتحفيز موظَّفيها وحثِّهم على تحقيق مصالح الناس؛ إذ إنَّ هذا الوضع ليس محصورًا على جهة دون أخرى، ولكنه ديدنُ كثير من مصالح القطاعات الحكومية وبعض جهات من القطاع الأهلي. وأعلم أنَّ صاحب السمو

(١) ذكره النووي في: المجموع: (١: ٨٠)، والخطيب البغدادي في: الفقيه والمتفقِّه.- وانظر: الموسوعة الفقهية الكويتية: (١٤: ٢٤٥).

الملكي الأمير «سلطان بن عبدالعزيز» (١٣٤٦ - ١٤٣٢ هـ/ ١٩٢٨ - ٢٠١١م) قد توفِّي - رحمه الله تعالى - وفي نفسه شيء كثيرٌ من الأداء الإداري الحكومي. وقد كان - رحمه الله - يرأس لجنة الإصلاح الإداري، ثم لجنة إعادة هيكلة مصالح الدولة، وكنت عضوًا فيها. ولم يكن وحده - رحمه الله - في هذا الهمِّ.

غنيٌّ عن التوسُّع في أنَّ من الإحباطات الإدارية التي مررتُ بها - وقد مررت بإحباطات كثيرة - ذلك الإحباط في العجز عن إيجاد بيئة عمل صحيَّة، خالية من هذه الصراعات السطحية. ولعلَّ من أبرز أسبابها في ضوء محدودية الصلاحيات وضعف القدرة على تحمُّل المسؤولية قلَّة المهمَّات التي يقوم بها غالب الموظَّفين والموظَّفات، بحيث تشغلهم عن الفراغ، ومن ثمَّ اللجوء إلى هذه الأساليب غير الصحيَّة.

لم أشأ أنْ أوجد فلسفة أختلف بها عن الآخرين، أو أنْ أُنظِّر للإدارة وأنا لست متخصِّصًا بها، أو أتصنَّع الحكمة وأنا أحوج الناس إليها. إلا أنَّ عواملَ ثقافيةً ونفسيةً واجتماعيةً ووراثيةً ومسلكيةً حتَّمت وجود توجُّهٍ ما، قد يكتنف فهمًا للحياة من منطلق أنَّ الدنيا كلَّها لا تستحقّ منَّا كلَّ هذا العناء غير المطلوب وغير الطبيعي. وهذا إيمان عملي - وليس بالضرورة فلسفة - بأنَّ المناصب لا تدوم، وحقًّا قد قيل: لو دامت لمن قبلك ما وصلت إليك. ثم إنَّ المناصب محكُّ الإنجاز وتحقيق التطلُّعات، التي مُنح الشخص هذا المنصب أو ذاك من أجل تحقيقها. وهي فرصٌ، وقد قيل: إنَّ الفرص لا تتكرَّر، ولذا ينبغي اهتبالُها حال توفُّرها لمصلحة وطنية وذاتية أُخروية بعيدة المدى، لا للمصالح الشخصية الآنية، وهذا - لَعمري - ابتلاءٌ عظيمٌ في الدنيا قبل الآخرة.

لا تسعى هذه السياحة الذاتية - من ثمَّ - إلى أنْ تلبس اللبوس الوعظي، أو تدَّعي الحكمة، أو تعمَد إلى التنظير والمثالية أو تلمح إلى التميُّز عن الآخرين،

وتُظهر صاحبها على أنه الحمل الوديع، وأنَّ ما حصل له في حياته سلبًا أو إيجابًا إنما هو من تأثير الآخرين، دون أنْ يكون له أثر فيه.

كما لا تعمد إلى بسط الجوانب الحسنة «الإيجابية» في الحياة مع إغفال الجوانب السيئة «السلبية»، بما في ذلك جوانب التقصير، بل إنه من الإنصاف لمن يتابع هذه الخواطر أنْ يجد فيها ما وقع فيه صاحبها من أخطاء، وما طرأ عليه من تقصير. ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾ [يوسف: ٥٣].

بقراءة هذه الخواطر سيجد المتأمِّل أنها ربَّما سعت إلى إثبات الوجود، وإيجاد مكان لهذا المعنيِّ بها في خضم الصراع من أجل البقاء، ليس صراعًا خارجيًّا، بل هو الصراع الداخلي في التكوين النفسي لشخص تربَّى على الحرمان، وعاش على الفاقة والخوف من كلِّ شيء حوله تقريبًا؛ لإفراطٍ في الحساسية عنده. وغفر الله تعالى للجميع.

لازمني الخوف حتَّى أضحى سجيَّةً من سجيَّاتي لا أملك أنْ أخفيها. وأثَّر هذا في قدرتي على المواجهة، فلم أعمد إلى التصدِّي للأحداث التي تمرُّ بنا من منطلق الرغبة في الانتصار على الآخرين، بل كنت ذلك الفتى الذي لا يمانع أنْ يتجرَّع الكدمات والصدمات الجسمية والنفسية. وكان ابن الجيران إذا تولاَّني بالضرب اكتفيت بالانزواء في ركن قصِّيٍّ حتى أفرِّغ شحنات القهر بالدموع، ثم أمضي في سبيلي. وما كنت أشتكي لأحد كوالدي وأخي الذي يكبرني - رحمهما الله تعالى -؛ خوفًا من تصعيد الأمور، وكلُّها على أيِّ حال كانت «لِعْبَ عيال»!

في طفولتي حصلت مشادَّةٌ بين أخي عبدالله - رحمه الله تعالى - وأحد أبناء الجيران، أدَّت إلى شجَّة في رأس أخي، «دحاها» الوالد - رحمه الله تعالى - بالملح باستخدام محَّاية قلم الرصاص. وأثناء ذلك وقبل عودة والدي - رحمه الله تعالى - من الدوام دفعني من دفعني إلى الذهاب لمركز الشرطة، وهو بجوار

البيت، ولكني رفضت الفكرة تمامًا. بل إني استبعدت الفكرة من مبدئها. والحمد لله ربِّ العالمين.

شظف العيش لا يسمح بالتعبير عن هامش بسيط من الحميمية والعواطف والحب بين الوالدين وأولادهم، وإنْ كانت موجودة، وهي موجودة، وربَّما يعبَّر عنها بعضُ المحبِّين بالقلق المستمرِّ على هذا المحبوب، ثمَّ بالدعاء المتواصل له أو لها. والدعاء يكون أثناء الانفراد وفي أوقات منتقاة غالبًا. إذًا الأمر ليس جفافًا في «الحميمية» والعواطف والحب، ولكنه تقصير في أسلوب التعبير عنها.

ربَّما عاب بعضنا على بعض كلمةً عاطفية وجدانيَّة يقولها الواحد منا لأهله وأولاده، أو يقولها أهلُه وأولاده له أو لأصدقائه وأقاربه وأحبابه. هذا عندنا في بعض مجتمعاتنا يتعارض مع بنية الشخص الرجولية، وربَّما الأنوثية المسيطرة الوثَّابة دائمًا، الملتفتة للعيوب المتجاهلة للحسنات على كثرتها، حيث يتواصى الرجال بينهم والنساء بينهن أنَّ الطرفين مقبلان على حلبة صراع، لا عشَّ زوجية تحفُّه المودَّة والرحمة ويلفُّه الحبُّ. ولذلك أستغرب كثيرًا في ضوء شيوع قنوات التواصُل الاجتماعي أنْ تُرمى عبارات حميمية جُزافًا أثناء التواصُل. وأشعر أنَّ هذه العبارات العاطفية تُهان حينما تُطلق في غير مجالها.

وقد احترت كثيرًا، كما مرَّ ذكره، في اختيار العنوان المناسب لهذه الخواطر. ومن أسباب هذه الحيرة الابتعاد عن تزكية النفس، وعدم اللجوء - في الوقت نفسه - إلى التهوين من الذات (أو جلد الذات)، وتحميلها أكثر مما تحتمل. وهذا لعمري مسلكٌ صعبٌ في الجمع بين الطرفين، ومسك العصا من الوسط. حتى جاءت هذه الوقفات على العنوان الذي استقرَّ عليه الاختيار وهو «أبو حسين: النشأة - البيئة - التعايُش». ولعلَّ في هذا العنوان خيرًا.

والابتعاد عن تزكية النفس أو التهوين من الذات، ومن ثمَّ الجمع بين الطرفين

جانبٌ مطلوب، إذا دخل في مفهوم الرغبة في الستر وتجاوز هذه الهفوات التي لا تخدم الموضوع وليست بذاتها مجالاً للإبراز. ويتعدَّى الأمر ذلك إلى السعي إلى إخفاء النواقص الشخصية. وهذا هو المقصود، فيظهر المرء ذاته بأنه قد سما إلى درجات الكمال البشري، وأنَّ غيره يتحمَّل ما حلَّ به هو من نواقص.

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فقد اشتهر بين بعض كتَّاب المذكِّرات الشخصية أو السير الذاتية تركيزهم على الجوانب المضيئة في حياتهم، أو أنَّ النقَّاد يتَّهمونهم بذلك على سبيل التعميم. ومن ثمَّ ينزعون إلى تجنُّب المؤثِّرات السلبية في حياتهم والهروب عن إبرازها أو التعرُّض لها.

ولقد وطَّنت النفس عند مواجهة أيِّ مشكلة أنْ أتَّهم نفسي الأمَّارة بالسوء أولاً، ثم أبحث عن أثر الآخرين بعد ذلك. وسيأتي مثالٌ لذلك في وقفة من هذه المواقف. وسأزيد من هذا فيما يأتي - بإذن الله -.

وقد سعيت في هذه الوقفات ما استطعت إلى ألاَّ أتجاهل صفاتي السلبية، التي لا بُدَّ من وجودها في كثير من الناس، متمثِّلاً قول الشاعر:[1]

مَنْ ذَا الَّذِيْ تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّها

كَفَى الْمَرْءَ نُبْلاً أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُه

ولا بُدَّ من سقطات وهنات وتجاوزات، تستدعي في النهاية الاستغفار والتوبة إلى الله تعالى، ومن ثمَّ الاعتذار بعد العلم بها لمن تأثَّروا بها من القريب أو البعيد. وهذا من طبيعة البشر التي يؤكِّدها حديث المصطفى ﷺ في صحيح مسلم وغيره: ((والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا وتستغفروا لذهب الله بكم، ولَجاءَ بقوم

---

(١) البيت من قصيدة لبشَّار بن برد (٩٦ - ١٦٨هـ) في ديوانه بتحقيق إحسان عبَّاس. وطبعته ببيروت دار صادر، ومنها:

إذا كنت في كل الأمور معاتبًا ... صديقك لم تلقَ الذي لا تعاتبُه

فعشْ واحدًا أو صلْ أخاك فإنه ... مقارفُ ذنبٍ مرةً ومجانبُه.

غيركم يذنبون ويستغفرون الله فيغفر لهم)).[(١)] وقد أبالغ في اتِّهام نفسي ولومها إلى درجة تصل إلى ما نسمِّيه بـ«نكران الذات» أو ربَّما - عند بعض المتابعين - بتهوين الذات أو التهوين من الذات، أو ما قد يعبَّر عنه بـ«جلد الذات»، وهو تعبير غير مؤصَّل عربيًّا وإسلاميًّا.

بقي التوكيد على أنَّ ما سطَّرته هنا ينبئ عن اقتناعي الشخصي بما ورد فيه من رؤى وأفكار. فأنا أكتب هذه الرؤى والأفكار عن اقتناع بما أكتب حولها، وعن شعور بالمسؤولية عما يُكتب، وابتغي في ذلك رضا الله تعالى، بحيث لا أسعى جهدي أنْ أقول ما يسخط الله تعالى، في حدود علمي بما لا يُسخط الله تعالى، فأنا أدرك أنني سأحاسب عن كل كلمة كتبتها أو قلتها. ولم أجد في هذا النوع من المنهج ما يقيِّدني عن أنْ أنطلق في فضاء رحبٍ من سرد الذكريات، التي يظهر لي أنها تُفيد المستفيد. فهامش المباح أوسع بكثير من هامش الممنوع.

ولا أكتب إذا كتبت لأرضي طرفًا محدَّدًا من القرَّاء، قد تكون لهم اقتناعاتهم التي يريدون أنْ يروها في الآخرين، ممن يكتبون فيُقرأ لهم، ويُنتقد من لا يتبنَّاها منهم. وهذه الرؤية في الكتابة تنطبق على ما تيسَّر لي إعداده من مؤلَّفاتٍ ودراساتٍ وبحوث فكرية وعلمية واجتماعية مذكورة في ملحق هذه الوقفات، فلم تكُن تنزع إلى إرضاء أحدٍ على حساب الاقتناع الشخصي. على أنَّ رضا الناس يظلُّ غايةً لا تُدرك.

وقد سألني أحدُ المتابعين عن موقفي من الكتابة بعد تركي للعمل الرسمي، هل سيتغيَّر عنه عندما كنت على «رأس» العمل، فكانت إجابتي المباشرة أنَّ هذا الانتقال لا علاقة له بما أكتب من قريبٍ أو بعيد. والذي يُتابع بدقَّة يُدرك أنني لم أكتب إلا عن اقتناع بما أكتب وعمَّن أكتب وعمَّا أكتب، بغضِّ النظر عن وضعي الوظيفي والرسمي قبل وبعد؛ إذ الأمر هنا هو موضوع انتماء وولاء.

---

(١) مسلم، الجامع الصحيح. - بيروت: دار الآفاق الجديدة (د. ت). - ج٨/ ٩٤.

وعزوفي عن الكتابة في الصحافة بعد عشرين سنة من الزوايا الأسبوعية (١٤٠٤ - ١٤٢٤هـ) هيّأ لي مجالاً أرحب في أنْ أكون أنا كما أنا. بمعنى أنَّ كتابة الزاوية الصحفية قد تجرُّ الكاتب إلى أنْ يخوض في شيء لا يدرك أبعاده كلَّها، لا سيَّما في مواطن النقد للشأن العام والنظرات المثالية التنظيرية للأمور العامَّة، فالمهم أنْ يملأ الكاتب الزاوية!

وهذا تحدٍّ رأيت أنني في غنًى عنه، فما رغبت في يوم من الأيام في ولوج صحافة الشغب، كما كان أحد القيادات الصحفية في البلاد يسمِّيه، لا سيَّما أنه دخل الكتابة الصحفية كلُّ من هبَّ ودبَّ، فما أدري هل أنا ممن هبَّ أم دبَّ، وإنْ كنت أقرب إلى من دبَّ؛ إذ إنَّ النملة تدبُّ دبيبًا! وهذه كانت إجابتي لأحد الزملاء في أحد المجالس عندما قال هذه العبارة. وبعدها ترك عمله فتوجَّه هو نفسه إلى الكتابة الصحفية، ولا أدري إلى أيِّ الصنفين كان ينتمي! ممن هبَّ هو أو ممن دبَّ. ولكني أدرك أنه من تلك الفئة التي عندما تكتب إنما تكتب وهي تشعر أنها الوحيدة الذي تتقن الكتابة. غفر الله لي وله.

وإنْ قدرتُ أنْ أجمع بين الحسنيين؛ الكتابة والرضا بما أكتب فلا أتردَّد في ذلك. ومن طبعي أنْ أبحث عن رضا الآخرين، ولو كان على حساب نفسي من باب «نكران الذات»، إذا لم يتعلَّق الأمر بالاقتناعات الشخصية في الجوانب الفكرية والاجتماعية.

ويبقى قبول هذه الخواطر من القارئ مرهونًا بمدى رضاه عن كاتبها من منطلق ما يُنقل عن الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى:

وعَينُ الرِّضا عَن كُلِّ عَيبٍ كَلِيلَةٌ

ولَكنَّ عَينَ السُّخْطِ تُبْدي المَسَاوِيا(١)

---

(١) البيت من قصيدة للإمام الشافعي رضي الله عنه (١٥٠ - ٢٠٤هـ) من قصيدة من ديوانه «الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس، من إعداد وتعليق وتقديم محمد إبراهيم =

وهذا مهمٌّ عندي في ضوء عدم رضا بعض المتابعين لما قد يفهمون منه أنَّ فيه تزلُّفًا أو تقرُّبًا لأحد، أو أنَّ ما كتبتُ فيه أو مَن كتبتُ عنه لا يستحقُّ عندهم أنْ يُكتب فيه أو أنْ يُكتب عنه. وقد أرى ما لا يرون وقد يرون ما لا أراه. والذي يكتب ربَّما قيل له لِمَ كتبت؟! ومن ألَّف فقد استهدف. والذي لا يكتب قد لا يُسأل: لِمَ لمْ تكتب؟! مع أني سئلتُ كثيرًا، وطُلب مني كثيرًا أنْ أسجِّل خواطري هذه، لعلَّ فيها نفعًا لغيري.

وبعض من الأسماء الواردة في هذه الوقفات ربَّما لم يكن لها بالضرورة تأثير إيجابي، مما يستدعي إعادة النظر في مسألة إدراج جميع الأسماء في هذه الوقفات، من منطلق عدم التشهير بهم، أو النقص من حقِّهم، أو من باب اللمز، فويلٌ لكلِّ همزةٍ لُمزة، في الوقت الذي أدعو الله تعالى فيه لي ولهم بالمغفرة والرحمة والعفو والعافية. وهكذا كانت الحال في وقفات المراجعة المستمرَّة لهذه الخواطر، فما كان الهدف من هذه الوقفات الانتقاص من عباد الله، ومن ثمَّ تعليق ما قد حصل في حياتي من تقصير عليهم.

وهكذا وجدتني أعيد النظر في بعض ما قلتُ عن أشخاص خالطتهم بالعمل وبغيره، عندما أحسستُ أنني قد أكون لمزتهم من قريب أو بعيد، فقيَّدت نفسي، وواصلت هذه الطريقة مع كلِّ مراجعة، وحذفت عبارات لم أجد أنها تهمُّ القارئ، بقدر ما قد توحي بشيء من الغِيبة التي آليتُ على نفسي أنْ اتجنَّبها ما استطعت في أجواء لا تكاد تخلو منها مع الأسف الشديد.

وقد راجعتُ هذه الوقفات مرارًا وتكرارًا كما ذكرت من قبلُ؛ فهذَّبتها مما ورد في أصلها من لمز لأشخاص سمَّيتهم بأسمائهم، فحذفت الاسم واكتفيت

= سليم، ونشرته بالقاهرة مكتبة ابن سينا، ص ١٥٧، يقول فيها:

ولست بهياب لمن لا يهابني	ولست أرى للمرء ما لا يرى ليا
فإن تدن مني تدن منك مودتي	وإنْ تنأ عني تلقني عنك نائيا
كلانا غني عن أخيه حياته	ونحن إذا متنا أشد تغانيا

بالحدث، واضطررت إلى التحرير والتعديل وحذف بعض الأحداث ما أمكن، وكنت حذرًا من أنْ أسيء لأحدٍ فيها، وحرصت على ذكر أهل الفضل فيها.

أما من كانت لي معهم وقفات غير إيجابية فقد ذكرت بعض حادثاتهم، ولم أشأ أنْ أصرِّح بأسمائهم، فليست المسألة هنا مسألةً شخصية بيني وبينهم. ولم أشأ أنْ استغلَّ هذه المساحات للشماتة بأحد أو للمز آخرين ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، فأنا في غنًى عن ذلك كلِّه ولله الحمد والمنَّة.

وقد يقول بعض من ورد ذكرهم هنا: ليتك لم تذكر هذا، وليتك تناسيت ذاك. وعلى أيِّ حال فالإساءة إلى الأشخاص ليست مقصودة هنا على الإطلاق. وكلِّي ثقةٌ في ذلك. وقد يغضب عليَّ كذلك مَن لم يرد ذكرهم، وكانت بيني وبينهم مواقف تستحقُّ الذكر. وعدم ذكرهم لا يعني إغفالهم، بل هي الذاكرة التي لم تسعف.

وبقي أنْ أعترفَ أيضًا أني وظَّفت هذه الوقفات ملاذًا للتعبير عما يجول في خاطري. ولذلك أجد بعض الراحة كلَّما قمت بزيارة لهذا الملف في جهاز الحاسب الآلي، فأضيف وأعدِّل وأراجع وأتراجع.

ولم أشأْ أنْ أعرض هذه الخواطر على فاحص أو ناقد، ينظر إليها من زاويته، فيسعى إلى تقويمها برؤيته؛ لا سيَّما أولئك الأشخاص الذين تسيطر عليهم روح النقد السلبي، فلا يرضيهم كلُّ شيء، ويتعمَّدون البحث عن الهنات في كلِّ شيء، ويغضُّون الطرف عن المحاسن، على اعتبار أنها هي الأصل في الإنسان، وليست هي دائمًا كذلك.

وقد فضَّلت أنْ تكونَ عفو الخاطر. وهذا على خلاف ما سرْتُ عليه فيما أكتب، حينما أعرضه على المقرَّبين مني علمًا ومعرفة و»موانة«. ومع هذا فقد خرجت عن النصِّ هنا عندما عرضته على أهلي، وهم يهمُّونني ولهم عليَّ فضل كبير بعد فضل الله تعالى؛ خوفًا من أنْ أكونَ قد ذكرت شيئًا لا يروق لهم، دون أنْ أدرك ذلك.

كما أنني عمدت كما أكَّدت من قبلُ إلى توثيق المعلومات الواردة في هذا السرد من الحكم والأبيات الشعرية، على غير عادة السيَر الذاتية، لا رغبةً في تحويل هذه الخواطر إلى أكاديميات، ولكن حرصًا على التثبُّت الذي يعاني هذه الأيام هجرانًا غير جميل من مستخدمي قنوات التواصُل الاجتماعي، التي تعتمد في معظمها على نقولٍ من نقول، دون أنْ يكلِّف الناقلون أنفسَهم التثبُّت مما ينقلون، وآفة الأخبار رواتُها. كما أنَّ توثيق المعلومة يضفي على هذه الخواطر قدرًا مطلوبًا من المصداقية في الاقتباسات والنقول.

ولم أرغب في تحديد وقت مبكِّر لنشر هذه الوقفات الذاتية؛ إذ إنني لم أكن مستعجلاً على نشرها، رغم دفع بعض الأصحاب لي للإسراع في ذلك، لا سيَّما أنها اشتملت على أسماء أشخاص كان لهم تأثير على مسيرة الحياة الخاصَّة بي. قد يكون هذا التأثير طيِّبًا فتثبت هذه الأسماء. وقد يكون خلاف ذلك؛ فعمدت لحذف الأسماء مع الإبقاء على الوقائع كما ذكرت.

وهذا ما تيسَّر لي ذكره إلى الوقت الذي رأيت فيه ضرورة إخراج هذه الخواطر، فإنْ كنتُ وفِّقتُ فيها فهذا فضل من الله تعالى، وإنْ قصَّرت دون ذلك أو أني لمزت شخصًا دون أنْ أقصد أو نسيت أشخاصًا لم يُذكروا دون تعمُّد مني، فهذا هو جهدي وعلى الله التُّكلان. وكان الله في عون الجميع.

* * * * *

الوقفة الأولى:
الانطلاقة

ورد على المفكِّر المسلم الجزائري «مالك بن نِبي» (١٣٢٣ - ١٣٩٣هـ الموافق لـ١٩٠٥ - ١٩٧٣م) - رحمه الله تعالى - أحدُ أقربائه يستشيره في تربية ابنه المولود حديثًا، فسأله «مالك بن نِبي» عن عمر ابنه، فقال إنه قد ولد لثماني ليالٍ خلت، فأظهر هذا المفكِّر - رحمه الله تعالى - أسفه لتأخُّر السائل في السؤال. وكان يقصد أنه كان من المفترض أنْ يسألَه هذا السؤال قبل تسعة أشهر من ولادة الطفل، أي قبل أنْ يقترن بأمِّه التي حملت به وأنجبته، والتي سيكون لها عليه تأثير قوي في تنشئته وتربيته ومتابعته ما دامت على الحياة. وصدق «مالك بن نبي» في هذه النظرة بعيدة المدى.(١)

ويأتي هذا موافقًا لما يؤثر عن «خولة بنت ثعلبة» التي جاءت تجادل رسول الله ﷺ حول ظهار زوجها «أوس بن الصامت» لها، فقد ذُكرَ أنها قالت في حال أولادهما: «... إنَّ لي صبيةً صغارًا إنْ ضممتهم إليه ضاعوا، وإنْ ضممتهم إليَّ جاعوا». كما في تفسير الإمام البغوي (توفي سنة ٥١٦هـ) «معالم التنزيل»،(٢) وغيره.

أزعم أنَّ والدي إبراهيم الحمد البراهيم النملة (١٣٥٠ - ١٤١٢هـ) - رحمه الله تعالى ووالديه - قد بدا عليه التوفيق في تربية أولاده الأربعة عشر قبل أنْ يولدوا، حينما وفَّقه الله في اختيار الزوج الولود الودود الطيبة «حلوة اللبن الوالدة

---

(١) انظر في كلمات حول ظاهرة مالك بن نبي: علي بن إبراهيم النملة. وبشِّر الصابرين: كلمات في رجال تركوا أثرًا.- ط ٢.- الرياض: المؤلِّف، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.- ص ٢٠٥ - ٢١٢.

(٢) انظر: الحسين بن مسعود البغوي، الإمام أبا محمد. معالم التنزيل/ حقَّقه وخرَّج أحاديثه محمد عبدالله النمر وعثمان جمعة خميرية وسليمان مسلم الحرش.- ٨ مج.- الرياض: دار طيبة، ١٤١٢هـ.- ٨: ٤٩.

الفاضلة » حصَّة بنت عبدالله العلي اللحيدان (١٣٥٥هـ ظنًّا - ٢٩/ ٩/ ١٤١٩هـ) - رحمهما الله تعالى.(١)

وتعود أسرة النملة إلى «العقيل» من عيون الجواء بالقصيم، فاستوطنت البكيرية، فانطلقت التسمية بـ«النملة» من العيون، على لسان الجدِّ الأوَّل «علي العقيل»، حينما كان يطلب من ابنه «حمود» أنْ يكفَّ النملة عن الزرع. فكان يأمره بذلك بعبارات تدرَّجت حتى وصلت إلى قوله - رحمة الله عليه -: يا حمود! النملة. أي إحذر النملة. وهذه إحدى الروايات حول التسمية. والأخرى أنَّ «حمود العقيل» كان يجمع البذور ويبيعها، فأطلق عليه «الجماعة» هذا اللقب. وربَّما تكون هناك رواية ثالثة ورابعة لم أعلم بها لأثبتها. بالإضافة إلى أقوال أخرى حول الأسرة والتسمية.

وقد توزع بقية أعضاء الأسرة من «العقيل» بين حرمة من سدير والشقة من القصيم وعيون الجواء من القصيم كذلك، بعد مغادرة أشيقر من الوشم إلى التويم، ثم من التويم توزَّعت الأسرة، حتى وصلت الزبير بالعراق، في شخص العم أبي نزار «إبراهيم العقيل» - رحمه الله تعالى - وأخيه الأكبر منه الوجيه «محمد بن سليمان العقيل» (١٣٠٥ - ١٣٩٥هـ/ ١٨٨٨ - ١٩٧٥م)، الذي كانت له جهود تُذكر في موضوع الإقامة في الزبير.(٢) وقد زاملت أخي «نزارًا» في أمريكا، وكان يدرس التخصُّص في المكتبات في مرحلة الماجستير في الجامعة نفسها، فارتبطت معه وأهلنا بصداقة قائمة على المودَّة والأُلفة.

سارت الوالدة مع الوالد في حياة كانت طويلة ومضنية؛ لأنها كانت حياةً قاسيةً في انطلاقتها على الأقلِّ، قامت على شظف من العيش والاغتراب من قِبَل

---

(١) اشتهرت المنطقة بإدخال «أل» التعريف على اسم الأب والجد واللقب، بدلًا من «ابن»، فيقال علي البراهيم الحمد النملة.

(٢) انظر: خالد بن عقيل بن سليمان العقيل. محمد السليمان العقيل: رجل الجود والشهامة، ١٣٠٥ - ١٣٩٥هـ/ ١٨٨٨ - ١٩٧٥م، سيرة ذاتية ولمحات من حياة محمد العقيل وإخوانه.- ط ٣.- الرياض: المؤلِّف، ١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م.- ٨٥٩ ص.

الوالد عن الوالدين والزوجة والأهل، دون إمكانية للاتِّصال سوى «الخط» أي الرسالة التي قد يمضي شهرٌ أو أكثر قبل وصولها.

و«الخطُّ» اصطلاح شعبي للرسالة المكتوبة، ذات الصيغة المتداولة، لا سيَّما في الاستهلال: «موجب الخط إبلاغ السلام والسؤال عن حالكم لا حلَّ بكم سوء ولا مكروه. أحوالنا من كرم الباري تسرُّكم من كافة الوجوه، ولا نسأل إلا عن صحَّتكم الغالية. ثم يدخل الخط في «الزبدة»: من طرف الموضوع الفلاني... إلخ». وقد يكون مع الخطِّ بعض القريشات! والمتعلِّم في ذلك الوقت من كان قادرًا على أنْ «يفكَّ الخطَّ»، أي الرسائل التي ترد إلى الأهل من أبنائهم «المغتربين» عنهم لكسب لقمة العيش.

مع هذا فقد قاد هذان الوالدان الفاضلان السفينة قيادةً فطرية حسنة بفضل الله تعالى ثم بالإخلاص والإدراك والمعاناة والصبر والتحمُّل والتضحيات، تلك المعاني التي تُكتسب عمليًّا في ميادين الحياة الصعبة والظروف القاسية، وليس في تلك المؤسَّسات الاجتماعية، مثل وسائل التواصُل، أو من خلال الثقافة العامَّة أو متابعة الإنتاج العلمي بالقراءة، وحضور المؤتمرات والندوات والمشاركة في اللجان والاجتماعات وورش العمل وحلقات النقاش، ونحوها من مكوِّنات الثقافة والوعي، بما في ذلك هذا الزخم الهائل في وسائل التواصُل الجديدة، التي لا يُدرى مدى موثوقيَّتها، إذ إنها نُقول عن نُقول عن نُقول! كما أنبِّه دائمًا.

رمى الوالد «لوح» الدراسة في كُتَّاب البكيرية، حيث يدرِّس الأولاد «دحيم السالم» «عبدالرحمن السالم الكريديس» - رحمه الله تعالى - وتوجَّه إلى شركة أرامكو، حيث أسهم في مدِّ خط الأنابيب «البايب لاين»، وربَّما سمَّاه بعضهم «التَّيب لاين».[1]

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. وبشِّر الصابرين: كلمات في رجال تركوا أثرًا.- ط ٢.- مرجع سابق.- ص ٩٣ - ١٠٠.

وللوالد - رحمه الله تعالى - ذكريات ربَّما تنطلق من رأس مشعاب، الذي ما فتئ يردِّدها لنا ونحن صغارٌ، ثم في عرعر في منطقة الحدود الشمالية، حيث كانت عرعر إحدى محطَّات الرحلة في مدِّ خطِّ الأنابيب، مرورًا بحفر الباطن - كما أفادني بهذه المعلومة أخي وصديقي اللواء «عبدالله بن عثمان البرَّاك» لاحقًا. وقد التقط والدي - رحمه الله تعالى - أثناءها بعض الكلمات والعبارات الإنجليزية على اللهجة الأمريكية. ولم تكن تلك الأماكنُ في ذلك الوقت على ما هي عليه الآن، بل ربَّما لم تكن شيئًا يذكر قبل التخييم فيها وتأسيسها من قبل فريق مدِّ الخطِّ «الأنابيب».

وكم طلبت من عدد من المسؤولين في شركة أرامكو السعودية توثيق هذه التجربة عن طريق سرد «التاريخ» الشفوي لمن عملوا فيها من عامة المواطنين السعوديين، بالإضافة إلى من عملوا بها من الأمريكيين. على غرار ما يقوم بعض من عملوا في أرامكوا من الأمريكيين في سرد تجاربهم الخاصَّة..

رمت الوالدة - رحمها الله تعالى - بدورها «لوح» الدراسة في كُتّاب البكيرية، حيث تدرِّس البنات المطوَّعة «مزنة «مزينة» العمير/ البكري» - رحمها الله تعالى - وتوجَّهت مع أمِّها «نورة بنت سليمان بن محمد الجربوع» من «سنجارة» من شمَّر وأختيها «رقية» التي تكبرها، و»عائشة» التي تصغرها - رحمهن الله تعالى جميعًا - إلى «الفلايح»، حيث تحصدن القتَّ «العلف» البرسيم مقابل تميرات «حويل» ترجعن بها إلى والدتهن، التي كانت هي الأمَّ والأبَ والأخَ لوالدتي وأختيها، فقد فقدت أمِّي والدها «عبدالله العلي اللحيدان» - رحمه الله تعالى - وهي صغيرة جدًا، وفقدت إخوتها الثلاثة: «علي» و»محمد» و»سليمان»، وهم في عمر الزهور، فعاشت الصغيرة في بيت الأرملة مع أختيها في كنف أمِّهن، فحُرمت البناتُ الثلاث نعمةَ الأب ونعمة الإخوة الذكور في وقت كانت الحاجة فيه ملحَّة إلى وجود رجل في البيت، أب أو ابن أو زوج. وخالاهن «عبدالله» و»عبدالعزيز السليمان الجربوع» - رحمة الله عليهما - كانا مشغولَين في حياتهما وإنْ لم يبخلا

عليها بالمرور الدوري والاطمئنان إلى الأحوال، ولم يكن للأخوات الثلاث على ما أعلم أعمامٌ مباشرون.

لمَّا تقدَّم لها الشابُّ «إبراهيم الحمد النملة»، في نهاية الستينات الهجرية الأربعينات الميلادية من القرنين الماضيين الرابع عشر الهجري والعشرين الميلادي، تعلَّقت به وتحمَّلت معه في سبيل ذلك الشيء الكثير، الذي يمكن أنْ يكون مبعثه شظفَ العيش والحرمان، مع قدر كبير من التعقُّل والنظر في البدائل، التي لم تكن أفضل من هذا التعلُّق.(١)

لم تكن الوالدة لتنتقلَ من بيت فقير إلى بيت أغنى منه، فالحال كانت من بعضها، ولكنها فطرة المرأة التي فطرها الله تعالى عليها في تعلُّقها بالرجل، ورغبتها في الستر والإسهام في بناء بيت والحفاظ على الوجود، والاستمرار في عمارة الأرض وتحقيق العبودية لله تعالى، ثم تعالج الفاقة بعد ذلك بالتعاون و«المواربة»، ومن ثمَّ التعامُل مع الفقر بإيجابية وتحدٍّ وإصرار. وهكذا كان، فقد كانت نتيجة هذا أربعة عشر ولدًا؛ عشرة ذكور وأربع إناث، وسبقهما منهم ثلاثة ولحقتهم الرابعة يشفعون لهما، وبقي منهم عشرة يدعون لهما بحول الله ومنِّه وكرمه.

هذا ما كان من الوالدين، الأمر الذي جعلهما يستمرَّان في الإحساس بالفقر، حتى بعد أنْ يسَّر الله تعالى عليهما وعلى أولادهما. وصدق الخليفة الراشد علي ابن أبي طالب رضي الله عنه في حديث يؤثر عنه رضي الله عنه قوله: «لو كان الفقر رجلاً لقتلتُه». هذا الفقر الذي كان عامًّا في معظم البلاد، ولم يكن خاصًّا بأهلي ولا قريتي البكيرية التي أضحت مدينة، هو ما حدا ببعض أبناء المنطقة إلى الهجرة «المطراش» طلبًا للعيش، فذهبتْ من المنطقة ومن نجدٍ كلِّها لا من القرية بالضرورة العقيلات إلى الشام ومصر، ووصلت إلى الهند وأفريقيا. وقد قيل في هذا: «الشام شامك إلى

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. وبشِّر الصابرين: كلمات في رجال تركوا أثرًا. المرجع السابق.- ص ١٠١ - ١٠٣.

مِن الدهر ضامك، والهند هندك إلى قلّ ما عندك». أو ربَّما قيل بفصاحة أكثر: «الشام شامُك إذا ما الدهرُ ضامك، والهند هندُك إذا قلَّ ما عندك»، والمعنى واحد.[(١)]

وقد تحدَّث العمّ «عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن عبدالله النملة» (١٣٣٩ - ١٤٢٠هـ الموافق لـ١٩٢٠ - ٢٠٠٠م) - رحمه الله تعالى - رجل الأعمال الموفَّق، في سيرته الذاتية التي نُشرت في كتاب: «العصاميون»، عن الفقر أنَّه لم يعرف أحدٌ الفقر كما عرفه.[(٢)] ونحن نقول كذلك - ولله الحمد على كلِّ الأحوال - وليس هذا من باب الشكوى، فليست الشكوى مؤشِّرًا من مؤشِّرات ذوي المعتقد السليم.

ونرى أننا في هذا المجتمع كنا وما نزال - بفضل الله - نملك قوَّةً في العقيدة، نُغبط عليها من كثير من المجتمعات الإسلامية دون مزايدة بين المسلمين على هذا الشأن. ولكن هذه الوقفة حول الفاقة من باب الحديث بنعم الله تعالى، نعتبر فيها ونتذكَّر ما مضى، فنزيد من شكرنا لله تعالى على ما نحن فيه.

ولدتُ في هذه البيئة الفقيرة التي استمرَّت معي إلى وقت طويل، وكنت أعيش في البكيرية من منطقة القصيم في السنتين أو السنوات الثلاث الأولى من حياتي فقط

---

(١) انظر: عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم. نجديون وراء الحدود: العقيلات ودورهم في علاقة نجد العسكرية والاقتصادية بالعراق والشام ومصر.- بيروت: دار الساقي، ١٩٩١م.- ٣١٢ ص.- وانظر أيضًا: نوَّاف بن صالح الحليسي. عصر العقيلات: الجذور العربية في مصر والشام والعراق، قطوف على هامش قصصهم في مهاجرهم.- الرياض: المؤلِّف، ١٤١٧هـ.- ٣٣٨ ص.- (سلسلة من تراث نجد مع قوافل تجارة العقيلات؛ ١) وانظر كذلك: إبراهيم المسلَّم. العقيلات.- الرياض: دار الأصالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.- ٣١٤ ص. وانظر كذلك: إبراهيم المسلَّم. رحلتي مع العقيلات.- الرياض: دار الثلوثية، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.- ٢٠٥ ص. وانظر كذلك: عبدالرحمن بن زيد السويداء. عقيلات الجبل.- حائل: النادي الأدبي، ١٤١٦هـ.- ٤١٢ ص.

(٢) انظر قصة العم عبدالرحمن، كما يرويها هو، بصياغة الأستاذ سليمان بن إبراهيم بن سليمان النملة وهو ابن أخته وزوج ابنته، في: عبدالله الخشرمي. عصاميون: قصص وتجارب رجال أعمال.- ٢ ج.- جدة: دار الخشرمي، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.- ٢: ١٢٦ - ١٣٣.

بين بيتين؛ بيت جدَّتي لأمِّي «نورة بنت سليمان الجربوع» «المطوَّعية»، الذي يقع في القسم الشمالي من البكيرية بخطوات قليلة عن مسجد العُبَيد، وبيت جدِّي لأبي «حمد البراهيم العلي الحمود النملة»، الذي كان في الشارع نفسه، تمامًا أمام مسجد العُبَيد، وكان إمامه الشيخ «عبدالله بن علي الراجحي» - رحمه الله تعالى - وكان قد أمَّ مسجد العُبَيد لسنين طويلة. وقد زرته آخر حياته؛ لأني أدرك أنَّ والدي لو كان حيًّا فلن يتردَّد في زيارته.[1] وما يزال المسجد قائمًا، وقد جدَّده أخي الأستاذ الدكتور «علي بن سليمان العُبيد»، من وقف والده وافتُتح سنة ١٤٣٨هـ.[2] وكان جدِّي «حمد» - رحمه الله تعالى - من مؤذِّني هذا المسجد.[3]

كان في فناء دار جدِّي لأمِّي «عبدالله العلي اللحيدان» نخلتان، تسمَّيان الشقراء والكويرية، يجمعهما حوض واحد. كان هذا الحوض هو مستشفى الولادة الذي شهد قدوم هذا الرضيع. وكانت إحدى النخلتين هي القابلة، التي أسهمت في ولادتي، حيث استعانت بها الوالدة - بعد عون الله تعالى - في مدَّة المخاض التي سبقت الولادة، وذلك باستخدامها جذع النخلة وسيلةً للضغط. رحم الله والدتي رحمة واسعة فقد كانت لا ترغب في أنْ يعلم بإنجابها أولادَها أحدٌ، ربَّما خوفًا من العين، والعين حقٌّ. ولذلك وبعد أنْ منَّ الله عليَّ بالانتقال إلى منزلي الجديد بحيِّ الفلاح شمال الرياض رغبت في أنْ أجلب هاتين النخلتين أو مثليتيهما إنْ لم أجدهما وأزرعهما في مقدِّمة المنزل، كيف لا وإحداهما كانت هي القابلة!

---

(١) توفي الشيخ عبدالله بن علي الراجحي - رحمه الله تعالى - يوم الأربعاء ١٨/ ٣/ ١٤٢٩هـ - ٢٦/ ٣/ ٢٠٠٨م.

(٢) انظر: عبدالعزيز بن محمد بن عبدالمحسن الفريح. مساجد البكيرية: تاريخها وأئمَّتها.- ط ٢.- الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م.- ص ٧٣ - ٧٩.- وانظر أيضًا: عبدالعزيز بن محمد بن عبدالمحسن الفريح. وصايا وأوقاف أهل البكيرية.- ط ٢.- الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م.- ص ٤٠٢.

(٣) انظر: عبدالعزيز بن محمد بن عبدالمحسن الفريح. مساجد البكيرية: تاريخها وأئمَّتها.- مرجع سابق.- ص ٧٣ - ٧٩.

في النزوع إلى هذه الوسيلة الخطرة في الولادة نوعٌ من الإخفاء للخبر مهما كان نوعه، نسمِّيه «الجحادة»، وهي أنْ «تجحد» ما لديك وتخفيه عن أنظار الناس. وفي هذه الجحادة مبالغة في النظر إلى تأثير العين، في ضوء قولنا: إننا نملك عقيدة قوية، نحتمي بها من صنوف التحدِّيات التي نواجهُها، مع الاستعانة دائمًا بالأوراد الصباحية والمسائية، وفي كلِّ الأحوال.

لمَّا سألتُ الوالدة - رحمها الله تعالى - عن تاريخ ولادتي أجابتني بأنه كان على هلال صفر، قبل موت الشيوخ بسنة. والشيوخ الملك «عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود» موحّد هذه البلاد - رحمه الله تعالى - توفي سنة ١٣٧٣هـ. وعليه أكون قد رأيت النور يوم الأحد ليلة الاثنين ١/ ٢/ ١٣٧٢هـ الموافق ١٩/ ١٠/ ١٩٥٢م، في شمال البكيرية من القصيم، من نجد في المملكة العربية السعودية، من جزيرة العرب. وقد وُلدتُّ شبيهًا لأبي - رحمة الله عليه - إلى درجة أنَّ من يرونني يعرفون أنني ابن ذلك الرجل.

كانت البيوت التي سادت في القرى في المنطقة التي ولدتُّ فيها مكوَّنةٌ من «القبَّة» التي تتوزَّع فيها الغرف. وتسمَّى الغرفة «الصفَّة». والمجلس خارج هذا الإطار، وله مدخلٌ خاصٌّ. والمطبخ «الموقد» في فناء البيت؛ لأن الطبخ على الحطب، فلا يتسلَّل دخَّان الحطب داخل البيت. وأحيانًا يوقد الناس بـ«الجلَّة»، يجفَّف ثم يوقد به، ودخَّانه كثيف، ولا يصل إلى الطعام؛ لأنَّ الطعام عادةً مغطًّى.

وقد رأيت هذا المصدر من الوقود «الجلَّة» سنة ١٤١١هـ في بعض القرى الباكستانية في سلسلة الجبال التي تفصل الباكستان عن أفغانستان «سوات»، حيث يقطن الباتان غرب الباكستان وشرق أفغانستان. ورأيت «الجلَّة» قد أُلصقت على الجدران من الجهة الغربية مقابل غروب الشمس؛ لتجفَّ وتستخدم وقودًا. فعادت بي الذاكرة إلى قريتي، ولو لم أُقم بها كثيرًا.

أذكر من هذه النشأة القليل جدًّا، ومنها أنَّني كنت ضعيف البصر، فكانت

عيناي لا تخلوان من «اللعوط» بين ليلة وأخرى. وهو دواء يترك أثرًا على الوجه والعينين لونه بنفسجي، ويلعط العين، أي يلسعها حال استخدامه؛ ليمسح ما عليها من أثر. كما أنه يلعطها بحرارته، وفي المثل الشعبي: «ما حرَّكَ داواك!». وهو غير «السعوط» الذي يُسعَط به الطفل، ليزيل ما في معدته من أذًى، ولم يكن هذا اللعوط بالضرورة معقَّمًا، وكان حارًّا أيضًا يقرص العين.

وكان أولاد شارعنا يعيِّرونني بضعف البصر عندي، وبهذا اللعوط الذي يكسو عينيَّ بلونه البنفسجي، مما كان له أثر في تكويني النفسي. فكنت عندما انتقل من بيت والدي إلى بيت والدتي أو العكس - وهما في الشارع نفسه - أُسرع الخطى تجنُّبًا للتعرُّض لأولاد شارعنا، الذين لا يتردَّدون في تعييري. وتلك المنطقة عمومًا كانت تعجُّ بالرغبة في إطلاق المعايير والتنابُز بالألقاب.

ولأن الشيءَ بالشيء يُذكر كنت مدعوًّا لرحلة بالحمادَّة من الوشم مع عدد من الزملاء المعيدين شتاء سنة ١٣٩٥هـ، وكان اللقاء في منزل والد أحد الأصدقاء في شقراء، وأُحجم عن ذكر اسمه هنا لأتجنَّب منابزته - رحمة الله تعالى عليه - فتأخَّرت عن الركب، ولم أكنْ أعرف المنزل، فنزلت إلى السوق أبحث عن أبيه ليصف لي المنزل.

فلما سألت أحد الباعة من المواطنين عن منزل والد صديقي قال لي: لا بدَّ أنْ تذكره بمعيارته، ولو عرفتها لما جعلتها مجالاً للتعيير. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحجرات: ١١]. فقلت لابن الحلال: والله ما أدري عن معيارته. فذكرها وقال لي: إلا قلها! فقلتها، فوصف لي البيت!

استعنت بالله ثم بالنظَّارات الطبِّية على ضعف البصر مبكِّرًا من حياتي، عندما تهيَّأت لي القدرة على دفع ثمن النظَّارة الطبِّية، من خلال المكافأة التي كان

مقدارها مئتين وخمسين (٢٥٠) ريالاً، كنت أتسلَّمها من معهد الرياض العلمي، الذي سُمِّي فيما بعد بالمعهد العلمي بالرياض، عندما انتقلت إليه من المتوسِّطة الثالثة، بعد نجاحي إلى السنة الثالثة المتوسطة بالتعويض في مادَّة الرياضيات، (الحساب والهندسة والجبر)، حيث كانت نتيجة الاختبار في هذه الموادِّ الثلاث مجتمعةً هي تسعَ درجات من أربعين درجة، بمعدَّل ثلاث درجات من ثلاث عشرة درجة لكلِّ مادَّة! ومنذ ذلك اليوم الذي تلقَّيت فيه خبر النجاح بالتعويض وأنا أتمثّل قول الشاعر:(١)

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعْهُ وَجَاوِزْهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيْعُ

استمرَّ ضعف البصر عندي حتى اللحظة. ولست أقول قصر النظر، لما لهذا التعبير من مدلولات فكرية، ولله الحمد على كل الأحوال. وكانت لي رحلة طويلة مع النظَّارات بأنواع العدسات التي توافرت في حينها.

ومرَّة من المرَّات في رحلة التعامُل مع النظَّارات الطبِّية يبدو أنني لم أوفَّق في اختيار البرواز «الإطار» المناسب لطالب ثمَّ معيد في الكلِّية، فقد كان بروازًا أسود مع أذرعة أو سيقان فضيَّة، وكان ملفتًا. وكنت في مكتب العميد الدكتور، فرأى هذا البرواز «الخِلفة»، لكنه لم يشأْ أنْ يجرح شعوري - جزاه الله خيرًا - فما كان منه إلا أنْ سألني: هل أُعاني من ضعف البصر؟ فقلت نعم. وفهمت رسالته فغيَّرت الإطار، وما عدت إلى هذا النوع من الإطارات بعد ذلك؛ لأني شعرت سلفًا أنه إطار لا يليق بي.

*****

(١) البيت لعمرو بن معدي كرب، وتكتب أحيانًا: معد يكرب رضي الله عنه - (توفِّي سنة ٢١هـ)، من ديوانه بتحقيق مطاع الطرابيشي، ونشره مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.- ص ١٤٥.

الوقفة الثانية:
في الرياض

تـركَ الوالـد اليافـع - رحمـه الله تعالـى - في رحلتـه الأولـى قريتـه، قبـل أنْ يكـون هـو نفسُـه والـدًا، وهـو وحيـد والديـه مـن الذكـور، بالإضافـة إلـى بنـت واحـدة: عمَّتـي حصَّـة - رحمهـا الله تعالـى -[1] و«طـرَش» إلـى الريـاض بصحبـة والـده، يعمـلان في البنـاء «اللَّبِـن والطيـن» في حـيِّ المربَّـع، وكـان يقـود فريـق البنَّائيـن الأسـتاذ «بالـدال المهملـة» «حمـد القبَّـاع» - رحمـه الله تعالـى -. والمطـراش هـو السـفر خـارج المنطقـة؛ طلبًـا للـرزق.

وكـان الوالـد لصغـر سنِّه وعـدم قدرتـه علـى حمـل اللبـن والطيـن يهتـمُّ بالعزبـة، مـن حيـث الطبـخ والتهيئـة، وذكـر أنـه كان يطبـخ القهـوة بتنكـة! ثـم عـاد إلـى البكيريـة وتـزوَّج ببنـت الحـلال، وبعـد زواجـه سـافر وحـده شـمال شـرق البـلاد بـدءًا بـرأس مشـعاب مـرورًا برفحـا وحفـر الباطـن وعرعـر إلـى طريـف - كمـا مرَّ ذكـره -، حيـث المشـروعات النفطيـة مـن حفـر وتنقيـب، ومـدِّ أنابيـب نقـل النفـط مـن شـرق البـلاد، مـرورًا بشـمالها إلـى ميناء الزهـراني في لبنـان. وكـان هـذا في نهايـة السـتينات الهجريـة الأربعينـات الميلاديـة مـن القرنيـن الماضييـن. ومـا تـزال آثـار هـذا المشـروع قائمـة، بمـا في ذلـك خـطُّ الأنبـوب والسـكن النموذجـي الـذي خلَّفتـه الشـركة في محطَّـات مـدِّ الأنبـوب. وقـد دخلـتُ أحـدَ هـذه المسـاكن في زيـارة رسـميَّةٍ مـع عـدد مـن الزمـلاء للحـدود الشـمالية «طريـف» في منتصـف العشـرينات مـن هـذا القـرن الخامـس عشـر الهجـري، حيـث يسـكنه ابـن العـم أبـو طـلال «عبـدالله بـن عبدالرحمـن بـن محمـد النملـة» وأخـوه «محمـد» يسـكن حولـه.

---

(١) توفِّيت عمتي الفاضلة أم محمد «حصَّة الحمد البراهيم النملة» يوم الخميس ١٢/ ١١/ ١٤٣٣هـ الموافق ٢٧/ ٩/ ٢٠١٢م. وكانت زوج الفاضل العم «عبدالعزيز المحمد الربع» الذي اشتهر في تجارة الحفَّارات (الارتوازات). وتركت وراءها أولادًا وأحفادًا صالحين- أحسبهم كذلك - من البنين والبناتٍ يدعون لها.

وكان الوالد مع مجموعة العاملين يحصلون على راحة وسط النهار، يشربون فيها القهوة المطبوخة على الحطب. وينادي دخَّانُه من يشاركهم من بعض أبناء البادية في شرب القهوة على عادة العرب، وما يتخلَّلها من حكايات وأشعار وطُرف. وفي يوم من أيام العمل لم تشعل النار، فتعجَّب أهل البادية من هذا السلوك، فشرح والدي وأترابه من العمَّال لهم الوضع بأنه قد حلَّ عليهم شهر رمضان المبارك، وأنَّ المسلمين يُمسكون، أي يصومون، عن الأكل والشرب وغيرهما في هذا الشهر المبارك. فتعجَّبوا من هذا التوقُّف عن الأكل والشرب في النهار، والعودة إليهما في الليل. ولم تكن التوعية الدينية من خلال «المطوِّعين» قد وصلت إلى تلك الفئة من المواطنين؛ بسببٍ من كثرة تنقُّلاتهم.

يكشف هذا العجب من الركن الرابع من أركان الإسلام مدى الأمِّيَّة الدينية التي كانت موجودة في بعض المجتمعات الرعوية داخل المملكة العربية السعودية في جهاتها المختلفة وخارجها، وليس في تلك البقعة من البلاد فقط، في الوقت الذي نهج فيه الملك «عبدالعزيز» - رحمه الله - بعث طلبة العلم «المطوِّعين»؛ لتوجيه هذه التجمُّعات البشرية الوجهة الدينية الصحيحة. وسمِّيت هذه الحملة بحملَة المطوِّعين. لكن الوضع على ما يظهر كان يحتاج إلى المزيد من تلك الجهود في التوعية الدينية والاجتماعية والثقافية بين الرحَّل من المواطنين.

ثم عمل الوالد في شبكة المياه ببلدية مدينة الرياض، قبل أنْ تصبح مصلحة مياه الرياض، ثم تدخل تحت إدارة وزارة المياه والكهرباء، وتتحوَّل إلى الشركة الوطنية للمياه، وكانت تحت إدارة سمو الأمير فهد الفيصل ثم الشيخ عبدالله بن خميس - رحمهما الله تعالى -،[1] ثم الأستاذ صالح العجروش - رحمه الله تعالى -.[2] ثم

(١) توفي الشيخ «عبدالله بن محمد بن خميس» - رحمه الله تعالى - في شهر جمادى الثانية ١٤٣٢هـ/ مايو سنة ٢٠١١م.

(٢) توفي الشيخ «صالح العجروش» - رحمه الله تعالى - نهاية سنة ١٤٢٨هـ/ فبراير سنة ٢٠٠٧م.

بعث والدي في طلبنا للقدوم إلى الرياض، بعد أن أمَّن لنا بيتًا طينيًّا عشوائيًّا في جانب من المطار آنذاك، شمال الرياض موقع جمرك الرياض اليوم، فجئنا على «حمَّالية» من ناقلات البضائع. وكنَّا والدتي وأخي عبدالله[(١)] وأختي مزنة[(٢)] – رحمهم الله تعالى جميعًا – في سلَّة الحمّالية فوق «الغمارة» طيلة الطريق من البكيرية إلى الرياض، والطريق آنذاك طويل وترابي وفيه غراز و»بطانيج» وتعب ونصب.

وصلنا إلى شمالي الرياض «الديرة» آنذاك قرب المطار القديم، حيث بيوت من الطين بنيت عشوائيًا، كما ذكرتُ أعلاه، بعيدًا عن التخطيط السليم، ولم يكن الوالد – رحمه الله – موجودًا لحظة وصولنا، فقد كان له دوامان؛ صباحي ومسائي. فدخلنا البيت ونحن جياع متعبون، وانطلقنا إلى المطبخ، فلم نجد فيه شيئًا، ثم التفتنا إلى الحوش فوجدنا قدرًا صغيرًا على الدافور «الموقد»، فانطلقنا إليه أنا وأخي عبدالله وأختي مزنة أم أنس – رحمهما الله تعالى – ففتحنا القُدير ووجدنا فيه بقية من أرز لاصق في قاع القُدير نسمِّيها «الحكاكة»، وربما يسمِّيها أهل الوشم بالقرارة، أي ما يستقرُّ في قاع القدر بفعل كثرة الطبخ، فتهاوشنا عليه. ثم التفتنا إلى أبيريق الشاي فلم نجد فيه إلا «التول»، وهو بقايا ورق الشاي المطبوخ فالتهمناه. وتلفَّتنا نبحث عن الطعام فلم نجد شيئًا. وكل هذا على مرأى من الوالدة الحنون – رحمها الله تعالى – التي لم تكن أحسن حالاً منا تعبًا وجوعًا، ولكن ما باليد حيلة، فالعين بصيرة واليد قصيرة؛ فكيف نلحق جزاءهما؟ والحمد لله على كل حال.

ممَّا أذكره عن هذه المدَّة الزمنية أنَّ الرواتب قد تأخَّرت على الوالد – رحمه الله تعالى – لمدة وصلت إلى تسعة أشهر، كما روى لي أحد من عملوا مع الوالد؛

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. وبشِّر الصابرين: كلمات في رجال تركوا أثرًا.– مرجع سابق.– ص ١٠٤ – ١٠٦.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم النملة. وبشِّر الصابرين: كلمات في رجال تركوا أثرًا.– المرجع السابق.– ص ١٠٧ – ١٠٨.

وذلك بسبب شحِّ الموارد المالية للدولة، وكان يستلف - رحمه الله - ممَّن حوله من الموسرين نسبيًا في ذلك الوقت، حتى إذا تسلَّم رواتبه أتى بها إلى البيت المتواضع «مصرورة» في شماغه يحملها على ظهره، وكانت من العملة المعدن، وكأنِّي أراه الآن سعيدًا يكاد يطير من الفرح لولا أنَّ الدراهم قد أثقلت عليه، أين هو الآن من التحويلات البنكية السريعة وغيرها من وسائل التحويلات؟!

فلمَّا دخل البيت فرش الشماغ، ووزَّع الرواتب على الدائنين، كل له نصيبه، فلم يبقَ من رواتب التسعة أشهر إلا أقلّ القليل، أعطاني منها أنا وأخي وأختي - رحمهما الله تعالى - كلَّ واحد منا ريالاً، ولا أذكر أنه بقي معه ريالات كافية لبقية الشهر. والحمد لله على كل حال.

كنا عيالاً صغارًا نعيش حول مطار الرياض «القديم»، فنخترق شبك المطار، وندخل إلى حيث تُرمى بقايا خدمات الطيارات، لا سيَّما الأكل الباقي والكيك والعلوك، وكنا نسمِّيه «مكبَّ العسكر»؛ لأن الذين يكبُّون هذا الخير من العمَّال الوافدين، من عمَّال النظافة في المطار، كانوا يلبسون الخاكي. فنأخذ من هذه البقايا النظيف منها، الذي لم يتعرَّض له المسافرون بالأكل أو مجرَّد تفتيح العلب على متن هذه الطيارات الكونفير والداكوتا. وكنا نترقَّبهم حتى يكبُّوا ما معهم في العربيات التي يدفعونها أمامهم ثم ينصرفون، لنتسلَّل من شبك المطار ونختار ما لذَّ وطاب من الطعام والكيك والعلوك.

ولم ترُق هذه المعلومة عن الفقر والفاقة لأحد الأقارب عندما قرأها في كتاب: نجاحات من الصحراء، وتمنى أنْ لم أذكرها، ففهمت من هذا أنه من أولئك الذين لا يرغبون في ذكر الماضي، الذي قام على شظف العيش والفاقة، وكان هو - غفر الله تعالى لي وله - كذلك قد مرَّ بها بصورة قد تكون أقسى مما مررت به، بينما لا أجد غضاضةً البتة في ذكر ذلك من باب الحديث بالنعم.

أذكر أنَّ فتًى وفتاةً من أبناء الحيِّ، ومعظم أبناء الحي هذا من فقراء البكيرية المتسبِّبين، خرجا علينا وفي يد كل واحدٍ منهما قطعة من أكل لونه أبيض، سهل الأكل، فسألناهما عن اسمه فقال لنا الولد: اسمه «كُلْ واصْ»، أي «كلْ واسكُت»، هكذا عرَّفهما أهلُهما بهذه الأكلة، لئلا يعلمَ الجيران بها من منطلق «الجحادة»! وتبيَّن لنا بعدُ أنهما كانا يأكلان فاكهة الموز! ولم نكن نعرف الموز، ولذا كان ردُّنا على قطعة قراءة في مقرَّر المطالعة في السنة الثانية الابتدائية عنوانها: لا ترمِ قشرَ الموز: أنتم أعطونا الآن موزًا، ونحن نريكم ما نفعل بقشره، حتمًا سنأكل القشر قبل اللب! وليس مثل ذلك المسكين الذي أكل القشر ورمى اللبَّ ظنًّا منه أنه كالنوى من التمر!

كان لديَّ أخٌ أصغر مني ومن أختي «مزنة» - رحمها الله - اسمه «صالح»، ولكنني افتقدته ونحن ساكنون في حيِّ المطار، ولا أتذكَّر قسماته، ولعله ولد عليلاً، فسألت الوالدة - رحمها الله تعالى - في يوم من الأيَّام: أين «صالح»؟ فأشارت بيدها أنه ذهب إلى السماء. ولم يبدُ عليها في نظرتي لها شيء من الحزن، مما يعني أنه قد مات قبل مدَّة من افتقادي له، فلم أكن قد وصلت إلى مرحلة الإحساس بالموت والفقد بعدُ، وكأني أراني قد انصرفت حينها إلى لهوي البريء المحدود، فلم أرَ «صالحًا». ولعلَّ العين تقرُّ برؤياه مع الوالدين والإخوة والأحبَّة في الفردوس الأعلى من الجنة.

تبعته بُنيةٌ سمّاها الوالد «فاطمة» «فطيمة» تيمُّنًا بوالدته جدَّتي لأبي «فاطمة بنت عبدالله العبلاني» - رحمها الله تعالى -. ولكنَّها هي الأخرى ضعُفت وذبُلت، وسقطت من درج البيت الذي اشتراه والدي من «علي الرُّشَيد» - رحمهما الله تعالى - في حلَّة القصمان في الرياض، بعد الانتقال من المطار إلى الرياض. وهنا في هذه المرحلة من العمر بدأت أدرك معنى الحزن والفقد في عينيّ والدتي ومحيَّاها الطاهر، قدَّس الله روحها بالجنة.

وكان انتقالنا من حي المطار قد جاء بعد أنْ صدر القرار بتوسيع المطار، فطُلب منَّا مغادرة هذا الحيِّ العشوائي الصغير، ولكننا تلكَّأنا في البداية، لعدم قدرتنا المالية على دفع أجرة البيت، الخطة ١٠٠م٢، أو نصف الخطة ٥٠م٢ داخل المدينة، حتى جاء العمَّال حوالي سنة ١٣٧٥هـ يهدمون البيوت من بداية الحيِّ الذي خلا من أهله، وكانت أول البدايات في تعريفنا بالعمال الوافدين، فقد كانوا من اليمن.

وليتنا بقينا معهم وبقوا معنا بيننا، حيث أفسدت السياسة والأفكار التقدُّمية البعثية وجودهم إخوةً بيننا، لا سيَّما بعد غزو حزب البعث بالعراق للكويت سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، وكانوا ينشدون وهم يهدمون البيوت: «أربعة شَلّوا جمل والجمل ما شَلَّهم»، فطفقنا ننشدها معهم، ونحن لا نعلم معناها إلا فيما بعد، وأنَّ هذه الأربعة هي يدا الجمل ورجلاه! حملتاه وما حملهما مجازًا.

أمام هذا الإجراء ما كان منا إلا أن «ظفَّينا قشّنا» ونزلنا إلى مدينة الرياض، حيث استأجرنا فيها بيتًا لشخص من أسرة أخوالي «اللحيدان» من الطين، فيما كان يسمَّى بحلَّة القصمان، شرق البطحاء السوق التجارية الثانية في المدينة بعد سوق المقيبرة «الديرة». وكنا نذهب إلى البطحاء نحضر «القتَّ» العلف أو البرسيم للشهباء ونمرة، وهما عنزتان رافقتانا في رحلتنا من حي المطار إلى البلد. وكم مرَّة «عفَّتني» نطحتني الشهباء وأنا أقدم لها القتَّ أو البرسيم أو العلف!

كان الوالد - رحمه الله تعالى - يهتم بالعنز إلى درجة كنا نظن فيها أنه يهتمُّ بها أكثر منا! فكنا نغار من المعازي، مما يؤكِّد رغبتنا في الحميمية والعاطفة والحب. وعندما جرؤنا على مفاتحته في ذلك في حال صفاء قال لنا - رحمه الله تعالى -: إنكم إذا جعتم أو عطشتم تطلبون ما تريدون. أمَّا هذه البهائم فلا تنطق، ولذا فلن نتأخَّر في إطعامها. ويبدو أننا اقتنعنا بهذا المنطق، وأدركنا أنَّ المسألة ليست تقديم العنزة على الولد، قدَّس الله روحه بالجنة.

كانت الماشية من الماعز والبقر وربَّما الدجاج والحمام والأرانب جزءًا من تكوين البيت العربي وغير العربي، لا يستغني عنها البيت الذي يبدأ عليه شيء من اليسار. وكانت الأسرة تستفيد من ألبانها وأولادها وبيض الدجاج والحمام، باستغناء واضح عن «الحليب والبيض الصناعي»! الذي يأتي مسحوقًا أو مختومًا في عُلبٍ وقوالب لم تكن تشفي رغبات الناس المولعين بالإنتاج الطبيعي المنتج على عين الأسرة. واستمرَّت هذه العادة إلى عهد قريب. وأحسب أنها ما تزال في بعض البيوت في المدن الصغيرة، وأحياء من المدن الكبيرة.

*****

الوقفة الثالثة:
شكلٌ من المعاناة

مما لا يمكن نسيانه هنا هو أنَّ الوالد - رحمه الله تعالى - إذا عاد من العمل يعود متعبًا جدًّا، بحيث لا تحسُن مواجهته بما يزيد من عنائه. وكنَّا نتسابق كما عوَّدتنا الوالدة - رحمها الله تعالى - إلى أن نبادره بالقول: «يا الله عافُه»، بضم الفاء، أو «يا الله قوُّوه»، بضم الواو المشدَّدة، ثم نسارع إلى زير الماء ونحضر له طاسةً من الماء البارد، فيجلس ويشرب الماء، فينزل عنه التعب مع نزول قطرات العرق في يوم قائظ، ثم نقدِّم من الغداء ما تيسَّر، وما كان يتيسَّر الكثير - ولله الحمد - ونجلس معه نأكل من صحن واحد نسمِّيه «التبسي»، بعدها يهجع للراحة، مع توكيدات الوالدة بالتزام الهدوء حتى لو اقتضى الأمر خروجنا للشارع، وكان هذه ديدننا كلَّ يوم من أيام العمل.

وأذكر في هذا الوقت أنَّ والدي - رحمه الله تعالى - اصطحب الأسرة إلى حوش كبير قريب من دوَّار الخرج، ولعله كان يسمَّى بحوش العجلان، وفي هذا الحوش تجمَّع عدد كبير من الرجال والنساء والأطفال، وجاء مندوبون من الديوان الملكي من «الخويا» أيام الملك «سعود بن عبدالعزيز» - رحمه الله تعالى - ومعهم ريالات نقدية من فئة العشرة والخمسة ريالات، فكانوا يوزِّعون على الرجال والنساء كلٍّ منهم عشرة ريالات والأطفال كلٍّ منهم خمسة ريالات.

وكنا في أوَّل الصفِّ فحصلنا على الخمسة، وبسرعة ومن وراء الصفوف أسرعنا إلى الربع الأول منه فحصلنا على الخمسة الثانية، ثم أسرعنا من وراء الصفوف إلى منتصف الصف وحصلنا على الخمسة الثالثة، ثم أسرعنا من وراء الصفوف أيضًا إلى ما قبل الربع الأخير من الصفِّ، وحصلنا على الخمسة الرابعة، ثم أسرعنا إلى آخر الصفِّ، وهنا اكتشف المندوبون حيلتنا، فأعجبتهم

الحيلة، ولم يترددوا - جزاهم الله خيرًا - وهم يضحكون متعجِّبين في أن يعطونا الخمسة الخامسة، فكان نصيبنا من هذه المناسبة الطيِّبة خمسةً وعشرين ريالاً لكلِّ طفل، بينما كان نصيب الوالد - رحمه الله تعالى - عشرة ونصيب الوالدة - رحمها الله تعالى - كذلك.

وكنت أظنُّ أننا قد تفرَّدنا بهذه الخدعة الصبيانية الطريفة، ثم بعد أنْ وقفت على كتاب «خليل بن أيبك الصفدي» «الوافي بالوفيات» وأنا أبحث عن الورَّاقين،[1] قرأتُ القصَّة الطريفة الآتية - مع الفارق - عن القاضي «إبراهيم بن عرفات بن صالح زين الدين بن أبي المنى القنائي»، وكان جوادًا يتصدَّق كلَّ سنة يومَ عاشوراء بألف دينار: «قالت امرأةٌ: جئت إليه في يوم عاشوراء، فأعطاني، ثم جئت إليه في رداء آخر فأعطاني، وتكرَّرت في أردية مختلفة وهو يعطيني، حتَّى حصل لي من جهته ستُّ مئة درهم، فاشتريتُ بها مسكنًا».[2]

ملك الوالد - رحمه الله تعالى - كما مرَّت الإشارة إليه، بيتًا على امتداد شارع ثليم شرقًا بحلَّة القصمان شرق الرياض القديم، كانت مساحته نصف خطَّة أي خمسين مترًا مربَّعًا (٥٠م٢)، اشتراه من العمِّ «علي الرُّشيد» - رحمه الله تعالى - بثمن بخس ريالات معدودة، لا أذكر أنه سدَّد إلا جزءًا يسيرًا منها. وصبر عليه «علي الرشيد» - جزاه الله خيرًا - وفي هذا البيت بدأ التفكير بتدريسي بمدرسة الحِلل، التي كانت تقع في حلَّة القصمان، بعيدًا شيئًا ما عن دارنا المتواضعة شرق شارع ثليم.

وفي بيتنا الجديد ظهرت أوَّل شقاواتي وآخرها - ولله الحمد والمنَّة - فقد خرجت يومًا من البيت بعد أنْ أغضبت والدتي - رحمها الله تعالى - وسرت أهيم

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الوراقة والورَّاقون في الحضارة الإسلامية.- ٤ مج.- الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.- ١٢٠٠ ص.

(٢) انظر: خليل بن أيبك الصفدي. الوافي بالوفيات ٣٠ مج.- بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.- ٦: ٥٥، في ترجمة ٢٤٩٥، (إبراهيم بن عرفات بن صالح، زين الدين بن أبي المنى القنائي).

على وجهي وقد اسودَّت الدنيا في عينيَّ، وعندي شعور بالضيق تجاه موقفي من والدتي حلوة اللبن، فتصدَّى لي فتىً في سنِّي من أسرة معروفة يريد «المضاربة» على عادة فتيان ذلك الزمان، فما كان مني إلا أنْ أتناول قطعة صفيح وأضربه بها على أسفلِ رأسه، فسال الدم منه، وتجمَّع أهله حولي وقادوني محمولاً بينهم إلى مركز الشرطة «المنطقة الرابعة» القريبة جدًّا من بيتنا، وحملوا الفتى إلى الإسعاف في مستشفى الملك سعود في الشميسي، وأوقفوني في المركز وأنا أبكي بكاء الطفل، وكنت طفلاً، حتَّى حنَّ عليَّ أحد الموقوفين، وقدَّم لي «بيالة» شاي. وما كانت حالي حال شرب الشاي! ولا أعلم أني قد تجاوزت السابعة من عمري!

لا أدري إلى الآن كيف وصل الخبر إلى أبي - رحمة الله عليه - فلم يكن هناك أيُّ وسيلة للتواصل. وفي الليل أنهى والدي مشكلتي مع أهل الفتى ودفع - على ما أذكر - تكاليف نقل الفتى بالإسعاف، وكانت ثلاثين ريالاً، فأطلقت الشرطة سراحي بعد تنازُل ولي الطفل، وحملني الوالد وهو يقول: الحساب بعدين، فما كان يؤدِّبنا بالليل. ورأى - رحمه الله تعالى - أنَّ ما حصل لي من فزع نقلي إلى الشرطة كافٍ في تأديبي. وقد كان.

ولا أذكر أنَّ والدي - رحمه الله تعالى - قد أثار هذا الموضوع معي. ومضى وكأنه حلم جثم عليَّ، نلت فيه جزائي على إغضاب والدتي - رحمها الله تعالى -. ولم أقابل الفتى بعدها، وإنْ كنت قابلت أسرته في الحارة مرارًا، والحمد لله على كلِّ حال.

وفي هذا الحيّ كان هناك فتيان متخلِّفان عقليًّا. وكانا يهيمان على وجهيهما، ويتندَّر الأطفال بهما، حتِّي سمِّي الأوَّل «سُدى»، من الآية الكريمة: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾ [القيامة: ٣٦]. وما كان أهله ليتركوه، لكنهم كانوا عاجزين عنه. وما كانت لدينا دورٌ إيوائية للمعوقين فكريًّا، بل كان أوَّل مستشفى نفساني

يقع في حيٍّ شهار بالطائف. وهو مستشفىً مشهور، ويمارس دوره إلى الآن. وما كنَّا نرى «سُدًى» كثيرًا.

والذي يتردَّد علينا بانتظام هو الآخر باسم «عايد» وهو اسمه. وكنَّا نعيره بسجعة يغضب منها. ومع حاله إلا أنه كان على قدرٍ من الذكاء، بحيث كان يوقعنا في مطبَّات، ينتقم فيها منَّا بأسلوب ذكي، يفوق عبثنا معه. رحمهما الله تعالى رحمة واسعة ورحمنا الله بهما وبغيرهما من الضعفاء. وإنما تُرحمون بضعفائكم.

*****

الوقفة الرابعة:
الدراسة

أذكر أوَّل يوم درست فيه كان أخي «عبدالله» - رحمه الله تعالى - يجرُّني إلى المدرسة جرًّا في شارع ترابي، وأنا في بكاء مستمرٍّ، فقد كنت صغيرًا، ربَّما لم أصل إلى السن «النظامية» لدخول المدرسة الابتدائية. وكنت أهاب المدرسة. وأخي «عبدالله» - رحمه الله تعالى - هو عريف الفصل. وكان هو المساعد للمدرِّس الذي كان يخرجنا إلى السبورة لنقرأ. ولم أكن أعرف كيف أقرأ، فكان أخي «يقبصني» قبصًا شديدًا مؤلمًا لأقرأ، وكان لهذه القبصات أثرها الممتدُّ في نفسي، لا سيَّما من أخي وشقيقي - رحمة الله عليه -.

وكان مدير المدرسة الأستاذ «عبدالرحمن العقيل» - رحمه الله تعالى - وكان مهيبًا وفي صوته بحَّة، وكنت أنظر إليه على أنه من العمالقة. وقد أنشأ قبيل تقاعده سنة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، مكيتبةً صغيرةً «قرطاسية» في شارع جرير بالملز سمَّاها مكتبة الوعي العربي، ثم صار اسمها مكتبة جرير وتولاَّها أولاده البررة، ومنها انطلقت مكتبة جرير على يد أولاده البررة، وعلى مستوى المملكة والخليج، بشعار: إنها ليست مجرَّد مكتبة، وكان لها ذلك. وهكذا بدا لي.

أمضيت في مدرسة الحلل هذه مدَّة محدودة جدًّا، لا أذكر الآن تحديدها، ولكنها لا تصل إلى الشهر. وقد تحوَّلت المدرسة بعد ذلك إلى اسمها الجديد مدرسة «سعد بن أبي وقَّاص»، وانتقلت إلى حيّ من أحياء شرق الرياض الحديثة في حيِّ الريان، على شارع الأمير «بدر بن عبدالعزيز».

المدرسة السعودية الجديدة:

نقلونا من مدرسة الحِلل إلى المدرسة السعودية الجديدة بشارع الريل، شمال حلَّة القصمان، وكان النقل، إذ ذاك، مشيًا على الأقدام، يحيط بنا فرّاشان

«ساعيان»، حتى وصلنا إلى المدرسة السعودية الجديدة، وكانت في البداية تحت إدارة الأستاذ «عبدالعزيز الشعيل» - غفر الله له -. وقد عني بعد ذلك بملف العلاقة بين المملكة العربية السعودية وتايلاند، تلك التي اعتراها شيء من البرود لسبب له علاقة ببعض العمَّال الذين وفدوا للبلاد. وفي المدرسة السعودية الجديدة أمضيتُ سبع سنين، حيث رسبت في الحساب في السنة الثانية الابتدائية! ولم أتقدَّم للدور الثاني. ولعلَّ في ذلك خيرة. والحمد لله على كل الأحوال.

في المدرسة السعودية الجديدة بشارع الريل كان بيننا أولاد موسرون نسبيًا، فيأتون من بيوتهم ومعهم الفطور، أو معهم ريالات يشترون بها الأكل والشراب الحار والبارد من مقصف المدرسة. وكان من بين زملائي في هذه المدرسة بعض أبناء الوافدين من البلاد العربية من فلسطين المحتلَّة أو سوريا أو مصر. ولا يخرج هؤلاء الصغار من بيوت أهلهم إلا وقد انقسمت حقائبهم الدراسية قسمين؛ قسم يحوي الكتب والدفاتر، وكانت في زمننا خفيفة الحمل، وقسم فيه «الفسحة» من أكل وشرب. ومع هذا فلم تظهر عندنا تلك المجتمعات المخملية التي عرفتها بعض المجتمعات، إذ كانت الأحوال متقاربة إلى حدٍّ كبير.

أمَّا أنا وأخي «عبدالله» - رحمه الله تعالى - وبعض زملائنا مثل الأستاذ «علي ابن إبراهيم السديس» - رحمه الله تعالى - واللواء/ م «عبدالله بن عثمان البراك» والأخ «سعود الخرجي» فلم نكن نحمل معنا إلا شنطًا قديمة، كان بعضها من الصفيح «الزنك» المصبوغة بالأخضر والزهري، المزينة بالورود والزهور! كتلك التي كانت تنقل بها المعاملات من مدينة إلى أخرى، أو تحفظ بها المعاملات والأوراق الزائدة، قبل انتشار تقنية المعلومات والتخزين الآلي وتعميم الحكومة الإلكترونية. ولم يكن في هذه الشنَط إلا بعض من الدفاتر والكتب التي نحافظ عليها محافظتنا على أغلى شيء عندنا، ولم يكن عندنا شيء يمكن أن يكون غاليًا من متاع الدنيا.

كنت أنا وبعض زملائي ننظر إلى هؤلاء الموسرين وهم يأكلون ويشربون في الفسحة الطويلة، ثم ننطلق سريعًا نلعب «الحَبْشَة»، يلحق بعضنا بعضًا حتى تنتهي الفسحة، ونعود إلى فصولنا نواصل الدراسة، حتى ينتهي اليوم. وقد يكون أحدنا قد أفطر على بقايا المرقوق من عشاء الليلة البارحة! هذا لمن يبقى عندهم من المرقوق شيء، أو قل من يتعشَّون المرقوق! والحمد لله على كل حال.

في هذه المدرسة السعودية الجديدة كان يدرِّسنا مادَّة العلوم أستاذ من صعيد مصر، كان يدعى «السباعي»، وكان عندما تنتهي الفسحة الطويلة يلقط خيزرانة المراقب ويلزخ التلاميذ بهذه العصا مع مؤخِّراتهم، فيضربهم ضربًا مبرحًا على مرأىً من المراقبين والمدرسين وهم يضحكون. فأصبحنا نحن التلاميذ ملهاة له ولزملائه من المدرِّسين والمراقبين، بل كان هذا (المربِّي) - عفا الله عنا وعنه - يشتمنا وهو يضربنا شتمًا لا يجرؤ أحد من المعلِّمين اليوم أنْ يفكِّر فيه تفكيرًا فقط - ولله الحمد -. بل إنني أذكر أنَّ مدرِّس الرياضة البدنية، وكنَّا نسمِّيها هي فقط التربية! ونفرح بها؛ لأنها لعب ولهو دون زينة! كان مدرِّسها في المرحلة المتوسِّطة يحثُّنا على الركض قائلاً: اركض يا ابن الكلب! أو يقول: اركض يا ملعون! والآخر، وهو مدرِّس التربية كذلك، في المرحلة المتوسِّطة أيضًا يقول لنا: اركض يا واطي! وكأنَّ هذا الإجراء جزءٌ من العملية التربوية!

في هذه المدرسة السعودية الجديدة وفي كلِّ المدارس يُمنع مضغ العلك وتقشيم الفصفص. والذي لم أفهمه إلى الآن وقوفي عند باب الفصل في السنة الخامسة سارحًا أفكِّر في حالي، وأنا بطبعي كثير السرحان و«أقشِّم» الفصفص دون وعي مني، وإذا بالمدير - وأحتفظ باسمه رغبة فيما عند الله تعالى مع دعائي لي وله بالعفو والمغفرة - يُقبل عليَّ مسرعًا، ثمَّ يصُكَّنْ بعدد من الكفوف، التي جعلت الدوخة تقرب منِّي، والرهبة والخوف أخذا مني مأخذًا! ولن أنسى هذه الواقعة، رغم أني مخطئ بها، إلا أني أزعم أنه خطأ لم يكن مقصودًا، فقد كنت غافلاً سارحًا كعادتي، ويا غافل لك الله.

في هـذه المدرسـة السـعودية الجديـدة يراجـع لنـا أسـتاذ العلـوم الصعيـدي «السباعي» - غفـر الله تعالـى لـي ولـه - ذاك الـذي كان يلزخنا بالعصا «السيسية» أو الخيزرانة في الفسحة، حتى نتطاير من بين يديه كما الدجاج التي تتطاير من أمام قط مفترس! ولست أشبِّهه هنا بالقط المفترس، فمهما يكن فله قدر المعلم، وله قدر المسلم، وله قدر الإنسان، كما قال «أحمد شوقي» في ديوانه «الشوقيات»:

قُـمْ لـلـمُـعَـلِّـمِ وفِّـهِ التَّبجِيلا كَـادَ الـمُـعلِّـمُ أنْ يـكُـونَ رَسُـولا

كنتُ ممَّن لم يستوعب الدرس الماضي في مادَّة العلوم، وكنت أعلم سلفًا أنه سيضربني بالخيزرانة مع يديّ الثنتين الضعيفتين، ولذا عقدت العزم مع زملائي على أنْ نتحدَّاه بالامتناع عن البكاء إذا ما ضربنا! وكان هذا كلَّ ما لدينا من احتجاج على الضرب. وقد ضربني بالخيزرانة أربعًا شِدادًا، فلم أبكِ ولم أتألَّم ولم أُظهر أيَّ انفعال، فزاد أستاذي حنقًا عليَّ، ولكن بعد أنْ شبع من ضربي.

في هـذه المدرسـة السـعودية الجديـدة درّسـنا معلِّـم الحديـث الشـريف الأسـتاذ «محمد»، وأحتفظ باسمه الأخير تقديرًا واحترامًا له، حديثًا رواه أبو هريرة ﵁، وذكر أنَّ «أبا هريرة» ﵁ هو «عبدالله بن مسعود» ﵁، وكنت أتابع تراجم الرواة من كتاب الحديث لأخي «عبدالله» - رحمه الله تعالى - وكان في السنة الأولى المتوسِّطة، وفي كُتُب الحديث للمرحلة المتوسِّطة ترجمةٌ لرواة الحديث، وعلمت أنَّ «أبا هريرة» لم يكن «عبدالله بن مسعود»، فرفعت يدي وقلت لأستاذي «محمد»: بل هو «عبدالرحمن بن صخر» يا أستاذ، فردَّ الأستاذ «محمد» بأنه «عبدالله بن مسعود»، وكرَّرت عليه معاندًا أو واثقًا بأنه «عبدالرحمن بن صخر»، فناداني من نهاية الفصل وكنت أظنُّ أنه سيشيد بي أمام زملائي، فإذا به يصكّني بكفٍّ أو كفّين، ولعله كان كفًّا واحدًا ما يزال يرنُّ في ذاكرتي. وكنت أظنُّ أنه سيشيد بي أمام زملائي التلاميذ.

ومن الغد أحضرتُ ترجمة «أبي هريرة» ﵁ على أنه «عبدالرحمن بن صخر» وأريتها الأستاذ «محمدًا»، فما كان منه - عفا الله عنا وعنه - إلا أنْ قال

لي: إجلس كلهم عبيدٌ لله! ومن الطيِّب هذه المرَّة أنه لم يصكَّنْ كفًّا آخر!

واضح أنَّ الضرب المبرح كان الوسيلةَ التربوية الطاغية على جيلي، ضرب بأصناف العُصي والمساطر والخيزران. وكان بعض الأهل يقولون لإدارة المدرسة: لكم اللحم ولنا العظم! و«ما لنا إلا ولد يقرأ»! فلا مجال للشكوى لهم. هذا النوع من الضرب المبرح القاسي كان مجالاً لإفساد عدد من تلاميذ جيلي، ويبدو لي أنَّ هذه الفئة كانت تتعرَّض للضرب في المدرسة وفي البيت في آن واحد، فما كان من عدد منهم - على مستوى البلاد، وليس على مستوى المدرسة - إلا أنْ يتوقَّفوا عن الدراسة وتطوير ذواتهم. فما أُعطوا الفرصة والجو والبيئة لتطوير ذواتهم، فقد كانوا دائمًا مهدَّدين بالعصا.

أزعم الآن أنَّ هذا الأسلوب في التربية في البيت والمدرسة جعل من فئة من الشباب اليافعين ينتقمون من البيت ومن المدرسة، وربَّما من المجتمع ومن ثقافته وتراثه في أنفسهم. أي أنهم أهملوا أنفسهم انتقامًا من أساتذتهم وآبائهم ومجتمعهم. وكانت هي الوسيلة الأقرب للانتقام. فإذا كان الأستاذ حريصًا على الطالب حرصًا أفضى إلى القسوة فإنَّ الطالب يقابل هذا الحرص القاسي بالتبلُّد وتعمُّد الإهمال؛ لأنه في نظره يسيء بهذا السلوك للمدرِّس.

وإذا كان الأب حريصًا على طريقة «قسا ليزدجروا»؛ حرصًا قاسيًا على تجنيب أولاده بعض السلوكيات المشينة، كالتدخين مثلاً وترك الصلاة ومصاحبة أصدقاء السوء، فإنَّ الفتى قد يعمد إلى التدخين لا حبًّا فيه، ولكن لأنه يعلم أنه يغيض به والده، أو يتعمَّد ترك الصلاة أو أداء الصلاة أحيانًا مراءاةً لوالده، دون أنْ يكون جاهزًا لها مستعدًّا.

وأحسب أنَّ هذا الحرص القاسي قد أدَّى إلى وجود فئة من الشباب مناوئة للدِّين، لا بُغضًا في الدين ابتداءً، بل انتقامًا من حرص الآباء القاسي. ولديَّ أمثلة حيَّة على هذا النهج لا أذكرها هنا؛ رغبة في هداية من الله تعالى لهذه الفئة الباقية، التي تنتقم من أهلها ومجتمعها ودينها بنفسها.

وفئة أخرى من الشباب الذين تعرَّضوا للمواقف نفسها قابلوها بإيجابية، وشقُّوا طريقهم في مسالك طيبة من الصلاح والإنجاز والمواصلة في التعليم وفي التعامُل الإيجابي مع الحياة. كلا الفريقين تعرَّض للظروف القاسية نفسها من المدرسة والبيت، أو من المدرسة وحدها أو من البيت وحده، فردود الفعل كانت متباينة بصورة واضحة. وقد يكون صاحب الفئة الأولى مع القسوة دعاء الوالد أو الوالدين عليهم. وقد يكون صاحب الفئة الثانية مع القسوة دعاء الوالد أو الوالدين لهم.

الضرب مبدئيًا أسلوب تأديب مطلوب في أحوال كثيرة. وهو ركيزة من ركائز التأديب. ولا بُدَّ من اعتبار هذا الأسلوب في التربية. ثم تأتي بعد ذلك ضوابط الضرب وآليَّاته وحدوده وأوقاته، وكل ما يكفُل نتائجه الإيجابية لا العكسية. أما تركه من منطلق تربوي فإنه أمرٌ يحتاج إلى مراجعة وتقويم للمرحلة التي مُنع فيها الضرب في المدارس، وكيف آلت الأمور بحقِّ المعلم والإدارة المدرسية وضياع هيبة الجميع، بل وربَّما انقلب الأمر إلى حال لم يُحسب لها حسبان.

في هذه المدرسة السعودية الجديدة كان يحلُّ علينا فصل الشتاء، ولكننا لا نجد الثياب الشتوية الواقية من البرد، فكانت الوالدة - رحمها الله تعالى - تلبسنا الثوبين البيض والثلاثة، حتى تمتلئ أجسامنا بالهدوم. وحدث أنْ زارنا فريق تطعيم «تعضيب» ضدَّ أحد الأوبئة، فبحث الممرِّض عن عضدي الضعيف بين الثياب، ووجد صعوبة في لفِّ الثياب الثلاثة حتى يصل إلى موضع التطعيم «التعضيب». وعندما وخزني بالإبرة قال لي هو وزميله المرافق له كلامًا يبدو أنه كان توجيهًا لي حول التطعيم، ولكني لم أفهم ما قال، فقد كساني الخجل والشعور بالضعة والهوان، وحالت هذه العوامل النفسية المحطِّمة دون أنْ أسمع أو أرى، فما كان منه - سامحه الله - إلا أنْ رماني بعنف حتى كاد العمود الشاخص أمامي يحطِّم رأسي الضعيف.

في هـذه المدرسـة السـعودية الجديـدة كان أسـتاذ التربيـة الرياضيـة الأسـتاذ الفاضـل «عبـدالله النجيـدي» يصعـد بنـا إلـى سـطح المدرسـة للتدريبـات واللعـب بالكـرة، فالمدرسـة بيت علـى الشـارع الرئيسـي «شـارع الريـل»، ليـس فيـه فنـاء أو ملعـب، فنرقـى إلـى السـطح، حيـث نتمـرَّن ونلعـب الكـرة فتسـطِّح الكـرة في بيت الجيـران، وكان يسـكن فيـه العـم الزعيـم «محمـد بـن سـليمان النملـة» - رحمـه الله تعالـى - الـذي كان وكيـلاً للحـرس الملكـي في عهـد الملـك «سـعود» - رحمـه الله تعالـى -[1] فنفـرح لأننـا سـنذهب للإتيـان بهـا. وهـذا يعنـي أننـا سـنخرج من المدرسـة. فالمدرسـة كانـت ومـا تـزال طـاردةً لا جاذبـةً!

وحدث أنَّ جسـمًا خشـبيًا كبيـرًا كان مسـندًا على الجدار في السـطح، ولعلـه كان مشـروعَ خشـبة مسـرح، فجلـس تحتـه أحـدُ زملائنـا واسـمه «عبدالعزيـز»، وكان مريضًـا لا يقـوى على اللعـب، فسـقط عليه الجسـم الكبيـر مـن الخشـب، وكاد يهلـك، ولكـن الله سـلَّم. وتأثَّـر الأسـتاذ الفاضـل «عبـدالله النجيـدي» من هـذا الإهمـال تأثُّـرًا واضحًـا؛ إذ شـعر بالمسـؤولية تجـاه التلميـذ «عبدالعزيـز» الـذي لـم يشـارك في تدريبـات ذلـك اليـوم، فـكان نصيبـه أنْ جلـس متِّكئًـا علـى هـذا الجسـم مـن الخشـب، والحمـد لله علـى السـلامة.

كنـت أرى في وجـه أسـتاذ التربيـة البدنيـة الأسـتاذ الفاضـل «عبـدالله النجيـدي» الإخـلاص والتفـاني في أدائـه، بخـلاف أسـاتذة التربيـة البدنيـة الذيـن مـرَّ ذكرهـم. وكان جـادًّا في عملـه فأحببنـاه وأحبَّنـا. وهـو مـن العلامـات المضيئـة في حيـاتي الدراسـية، أكـنُّ لـه التقديـر والاحـترام والدعـاء.

وفي المدرسـة السـعودية الجديـدة مارسـت أوَّل خطـواتي نحـو التطـوُّع، حيـث قامـت المدرسـة بحملـة تنظيـف شـارع الريـل. وكنَّـا نحـن التلاميـذ الذيـن قمنـا بهـذا

(١) انظـر: علـي بـن إبراهيـم النملـة. وبشِّـر الصابريـن: كلمـات في رجـال تركـوا أثـرًا.- ط ٢.- مرجـع سـابق.- ص ١٠٩ - ١١٣.

العمل الممتع بمكانسنا وعربيَّاتنا الخضراء، التي تُستخدم في البناء. وكان مشوارًا ماتعًا لتلاميذ خرجوا من المدرسة ليوم دراسي. فذرعنا الشارع من غربه إلى شرقه، نمرُّ على الورش ومخلَّفاتها من الزيوت والبويات ونحوها. فتعلَّمت من هذا النشاط العفوي أمرين مهمَّين؛ أوَّلهما حبُّ النظافة، والآخر الانطلاقة في مفهوم التطوُّع، الذي ما فتئت أتحدَّث عن مفهومه مؤخَّرًا في مناطق المملكة - حرسها الله -.

* * * * *

الوقفة الخامسة:
التجارة!

ما دام الحال على ما وصفت سابقًا من العوز والفاقة لم أجد بُدًّا من بيع الماء البارد مع أخي «عبدالله» - رحمه الله - في شارع البطحاء، السوق الثانية في مدينة الرياض بعد سوق المقيبرة، حيث أملأ السطل من ماء المسجد، وأرمي به قطعةً من ثلج، ومعي طويستان صغيرتان، والثمن لكل «روية» بقرش واحد، وكان شعارنا الذي ننادي به الزبائن: اشرب وبرِّد، البارد اشرب، اشرب إلى أنْ تروى بقرش. وقد يشرب الزبون ثلاث طويسات بقرش واحد، وربَّما شرب أحدهم من الماء البارد حتى يروى ثم يذهب ولا يدفع القرش! فندعو عليه، لكننا اليوم ندعو الله أنْ يغفر لنا وله. ثم يأتي مراقب البلدية ويدلق الماء البارد في الشارع، فتخسر التجارة، ولكنها تعوّض في اليوم التالي. وقبل ذلك وفي الحارة مارست بيع الفصفص والعسكريم(!) وكنا نسمِّيها البسطة، وكانت أقرب إلى شغل الفراغ بالعبث منها إلى التجارة.

ثم تطوَّرت تجارة الماء البارد واشترينا «حنفيَّات» من الصفيح لها غطاء؛ حرصًا على النظافة! ونصبُّ الماء من الصنبور، وكنا قبلها نغرفه من السطول، ولكنها مع نظافتها لم تسلم من مراقب البلدية الذي استمرَّ في دلق الماء على الأرض. وفي يوم من الأيام كان ماء المسجد أحمرَ من الصدأ، ومع هذا ملأنا الحنفيات وبعنا الماء الأحمر، ولم يقع ذلك في عين المراقب وإلا لعمل لنا عملةً أقوى من مجرَّد دلق الماء البارد!

وتطوَّرت التجارة أكثر من ذي قبل، وتحوَّلنا من بيع الماء إلى تجارة الخضرة الورقية، كرَّاث وبصل وخس وجرجير ثم البطيخ، نبيع في دكَّان في الحي جنوب شارع الريل بمشاركة مع الصديق «سعود الخرجي». وربَّما يشتري الواحد من

الزبائن بطِّيخة على السكِّين، فلا تعجبه ثم يتركها عندنا دون أنْ يدفع ثمنها؛ بحجَّة أنه سيذهب لشراء الخبز من الخبَّاز عامر - ذكره الله بالخير - ثم يعود لأخذها، لكنه لا يعود ولا يدفع ثمنها، فنأكلها!

في فجر يوم من الأيَّام اشتريت أنا وأخي عبدالله - رحمه الله تعالى - صفقةً بطيخ من النوع المدوّر الطيِّب «المقزّز». ونقلناها على أكتافنا في خيشة، لنستأجر سيارة أجرة، توصِّلنا للدكَّان من المقيبرة إلى شارع الريل، وكان الطلب بريالين، والطلب هو الاستئثار بسيارة الأجرة لتوصِّلنا إلى حيث نريد، أمَّا الراكب الواحد في سيارة الأجرة فيدفع ربع ريال.

وبينما نحن في انتظار سيارة الأجرة جاء رجلٌ بسيَّارته فداس على بطيخنا، فتحوَّل البطيخ إلى عصير يجري في الأرض، ولم يعوِّضنا الرجل شيئًا، ولم يكلِّف نفسه - عفا الله عنا وعنه - الاعتذار لنا. وكانت قمَّة موقفنا منه في العتاب أنْ قلنا له: الشرهة على اللي خلاَّك تسوق! وذهب رأس المال، عصير بطِّيخ في المقيبرة، وعدنا نجرُّ أذيال الخيبة؛ لأننا لا نملك رأس المال، الذي يجعلنا نشتري بطيخًا آخر. ولا أذكر من هول هذه الصدمة أننا أخذنا الخيشة معنا من باب «العوض ولا القطيعة»، والحمد لله على كل الأحوال.

وفي هذه المرحلة توفِّي جدِّي لأبي «حمد بن إبراهيم بن علي بن حمود النملة» - رحمه الله تعالى - سنة ١٣٨٢هـ،[1] بعد أنْ سقط من دَرَج بيت العم «إبراهيم بن عبدالرحمن النملة» - رحمه الله تعالى - بعد عصر يوم من أيام السبت الذي تخلَّف فيه والدي - رحمه الله تعالى - عن الذهاب إلى عمله في الحاير جنوب الرياض، حيث كان يقيم هناك لمدَّة أسبوع، يعود يوم الخميس ويرجع إلى عمله مساء يوم الجمعة أو فجر يوم السبت. فحمل مع ابن عمه

---

(١) انظر: عبدالعزيز بن محمد بن عبدالمحسن الفريح. مساجد البكيرية: تاريخها وأئمَّتها.- مرجع سابق.- ص ٧٣ - ٧٩.

«إبراهيم بن عبدالرحمن» جدِّي على كتفيهما من بيت عمي إلى بيتنا، ولم تكن المسافة بعيدة. مرض جدِّي بعدها لأيام معدودة ثم وافاه أجله - رحمه الله تعالى رحمة واسعة -.

وكان والدي قد وعدنا أنا وأخي «عبدالله» - رحمه الله تعالى - بشراء «بسكليت» بعد نجاحنا. وكنَّا نتوق للسيكل، فكانت وصية جدِّي وهو في الرمق الأخير أنْ يعجِّل في شراء السيكل، فكان يردِّد على أبي كلمة «عاجلُه» أي خير البرِّ عاجلُه، هكذا فهمها والدي - رحمة الله عليهما -. وما أنْ انتهت مدَّة تجهيز الجنازة والعزاء حتى هرع الوالد - رحمه الله تعالى - إلى معرض العصيمي لبيع الدرَّاجات في البطحاء في قيصرية المصيريعي، واشترى لنا السيكل. وغني عن البيان أنَّ أخي «عبدالله» - رحمة الله عليه - قد استحوذ على السيكل، وقليلاً ما يعطيني الفرصة لقيادته، وكثيرًا ما أعطبته عندما أقوده، مما تأكَّد لأخي - رحمه الله تعالى - عدم جدوى مشاركتي فيه.

كنت أقود السكيل في الحي فصادف أنْ جاءت سيارة توزيع صناديق الببسي وأنا مقبل عليها، فاندعست بينها وبين سيَّارة العم «عبدالله السليمان النملة» - رحمه الله تعالى - فسقطت من السيكل ودهسَتْ سيَّارة الببسي قدمي اليمنى، وبلطف من الله تعالى يبدو أنَّ وضع قدمي كان على حال يسمح بمرور ثقل العجلة عليه، كما يبدو أنَّ العجلة كانت خفيفة الهواء، وإلاَّ لكان الأمر على غير ما انتهى إليه من سلامتي، وقد اصفرَّ وجه السائق السعودي، وكاد يركلني، ولكني كنت في حالٍ من الهلع تكفيني. أمرٌ لا يصدَّق، ولكن بدت آثاره بعد سنين طويلة، دون تعطيل - بفضل الله تعالى - لوظائف الرِّجْل.

وكانت ابنة العم «عبدالله السليمان العبدالله النملة» واسمها «نورة» ترقب الوضعَ من الباب، وكانت حينها صغيرةً، فلم تملك أنْ «تنبس ببنت شفه»، أي «عُلْجِم» على لسانها من هول الموقف. وأحسب أنها - رعاها الله - ما تزال تذكر هذه الحادثة جيِّدًا. وقد هاتفتها مذكِّرًا إياها بالموقف، فتذكَّرت شيئًا منه.

الوقفة السادسة: في المرحلة المتوسِّطة

انتقلت إلى المدرسة المتوسِّطة الثالثة بشارع الريل أيضًا، بعمارة العم «عبدالكريم الخليفي» - رحمه الله تعالى - وكان ذلك سنة ١٣٨٤هـ الموافقة لسنة ١٩٦٤م. وهي كما هو اسمها ثالث مدرسة متوسِّطة تُفتح في الرياض. وكان مديرها الشيخ «صالح بن عبدالله الحديثي»، وفيها من المدرِّسين معالي الشيخ «عبدالعزيز الفالح»، نائب رئيس شؤون الحرم المكي والحرم النبوي لشؤون الحرم النبوي. وكان من بين أعماله اهتمامُه بمكتبة المدرسة، وكنت أتردَّد عليها، فلمس الشيخ فيَّ شيئًا من حبِّ القراءة، فأهداني نسخة من رسالة «كتيّب» ما أزال أذكر حجمها ولون غلافها الأزرق السماوي. وقد ذكّرته بها أكثر من مرَّة.

في المدرسة المتوسِّطة درَّسنا كذلك الفنان التشكيلي «محمد بن موسى السليم» - رحمه الله تعالى - ودرَّسنا اللغة الإنجليزية الأستاذ العراقي «أحمد الدستوري». وقد شاغبت كثيرًا في حصَّته - غفر الله لي وله - نظرًا لاستهتاري باللغة الإنجليزية وطريقة تدريسها، رغم أنِّي كنتُ متفوِّقًا بها. ودرَّسنا الرياضيات أستاذ وافد شديد مقطِّب، ولم أكن ذا ميول للرياضيات، وقد صكَّنْ هذا الأستاذ - عفا الله عني وعنه - من الكفوف ما زاد في إعراضي عن المادَّة. ودرَّسنا مادَّة المطالعة الأستاذ «صالح الشيحة» - ذكره الله بالخير - وعلَّمنا فنَّ القراءة.

ويبدو أنَّ «صكّي» بالكفوف أضحى جزءًا من تكويني التربوي في صروح التربية، لا في الشارع ولا على يد والدي - رحمه الله تعالى - الذي كان يتوقَّع منه ذلك؛ حرصًا عليَّ وتقويمًا لما اعوجَّ من سلوكياتي! فهل كان لهذه الكفوف تأثيرها النفسي عليَّ؟ لا أستطيع أنْ أنفي ذلك، فقد شعرت بالمهانة والإذلال والضعف والخوف. ومع هذا فما أزال وسأظلُّ مع التأديب في المدارس من

حيث المبدأ، ثم يأتي الحديث بعد ذلك عن مدى الضرب وحدّته وقوّته ووقته وآلته والهدف من استخدامه.

وفي المدرسة المتوسِّطة درَّسنا الجغرافيا أستاذ مهندم نسيت اسمه الآن، لكنه أخرجني مرَّةً لمقدِّمة الفصل لأحدِّد بلدًا على الخريطة، فلم أوفَّق في التحديد، فسألني الأستاذ - عفا الله عني وعنه - هل في وجهك دمٌّ؟ فمسحت بيدي على وجهي وبسطتها بكلِّ هدوء وبرود، ونظرت إليها ثم نظرت إلى الأستاذ باستغباء ظاهر وبشكل من الاستخفاف! وقلت له: لا! قال بعد وقفة تفكير: إجلس، وكأنَّ لسان حاله يقول: إما أنه غبيٌّ لا نفعَ فيه، أو أنه يريد المشاكسة والاستهتار فلست بحاجة إلى هذا الموقف، والحاجة في النهاية له، أي لي أنا. وصدق في حدسه هذا - غفر الله لي وله-.

وكانت السنة الثانية المتوسطة - على ما يبدو - هي السنة التي ظهرت فيها شقاوتي وتمرُّدي على أساتذتي ومدرستي. الأمر الذي أستغربه إلى اليوم. وقد هدأتُ بعدها وتحوَّلت إلى تلميذ جادٍّ - ولله الحمد والمنة -.

في المدرسة المتوسِّطة الثالثة انتقلنا إلى دوَّار الخرج، في مدرسة حكومية جديدة، فتحوَّل الموقع الأول في شارع الريل إلى بيت لحفلات الأعراس، تزوَّج فيه أخي «عبدالله» من ابنة العم أم إبراهيم «موضي بنت عبدالله بن سليمان النملة» - رحمهما الله تعالى -. وأدار المدرسة في موقعها الجديد الأستاذ «صالح الخريجي»، وكان - رحمه الله تعالى - حازمًا شديدًا معنا، فقد كان يدعونا بالأجلاف، وربما كنَّا كذلك! توفي - رحمه الله تعالى - مع عائلته في حادث سيارة على طريق من الطرق الطويلة، ولم تكن حينها سريعة، كتبه الله تعالى وأهلَه من الشهداء.

في المدرسة المتوسِّطة الثالثة تبيَّن ضعفي الشديد أكثر في الرياضيات، وقوَّتي في الآداب واللغة الإنجليزية، فكان هذا من الأسباب التي أكَّدت على توجُّهي

إلى معهد الرياض العلمي. وكنت قد تقدَّمت للمرة الأولى والثانية للالتحاق بالمعهد، ولم أوفَّق في القبول.

وفي السنة الثانية المتوسطة نجحت للثالثة المتوسطة معوّضًا بالرياضيات. وكانت درجتي في الموادِّ الثلاث؛ الحساب والجبر والهندسة تسعَ درجات من أربعين درجة، بمعدَّل ثلاث درجات لكل مادَّة! - كما مرَّ ذكره - مما يعني ضرورة نجاحي بالمادَّة في السنة الثالثة دون تعويض؛ لأنَّ نظام التعويض يقتضي أنَّ من يعوَّض في المادَّة لا بدَّ أنْ ينجح بها في السنة التالية نجاحًا تامًّا. وليس هناك ما نسمِّيه اليوم بالدور الثاني، فتأكَّد لي مرَّة ثانية قول الشاعر:

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعْهُ وَجَاوِزْهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيْعُ

في المدرسة المتوسِّطة الثالثة تطوَّعت للبيع في مقصف المدرسة في الفسحة الطويلة. وما كان المسؤول عن المقصف يتركني دون جائزة بعد نهاية الفسحة، كانت خبزة «صامولي» بالجبن وعلبة مشروب غازي. وقد كان يُسمح ببيع المشروبات الغازية في المقاصف. آكلها على أنها هي في الغالب فطوري لذلك اليوم، إذا لم أفطر على بقية مرقوق عشاء الليلة البارحة!

توجَّهت للمرة الثالثة إلى المعهد العلمي، وبعد المقابلة الشفهية والتحريرية قُبلت في السنة الثانية، مع أني ناجحٌ في المتوسِّطة إلى السنة الثالثة، فخسرت سنة ثانية من عمري الزمني التعليمي، وكانت الأولى في السنة الثانية الابتدائية، حيث رسبت - ولا أقول سقطت - بالحساب! ولكن هذه الأخيرة كانت خسارةً في محلِّها، فقد كان لها مردود إيجابيٌّ عليَّ، إذ إنني أقبلت على الدراسة بقوَّة، كان لها أثر في تفوُّقي فيها فيما تلا من أيَّام الدراسة في المعهد وفي الكلِّية وفي الدراسات العليا. ولله الحمد والمنة. فقد كنت أسابق مشايخي الأساتذة في المعلومة التي كنت قد مررت بها في الثانية المتوسِّطة واختبرت فيها ونجحت، وما كان مفهوم معادلة الموادِّ حاضرًا في حالي هذه، فكان هذا السبق يثير إعجابهم بي.

الوقفة السابعة:
في معهد الرياض العلمي (١)

طلبت القبول في المعهد العلمي على أنْ أعيد السنة الثانية المتوسطة، فقوبلت وقُبلت. وأعدت السنة الثانية بالمعهد، مما كان له أثر كبير في تقويتي، إذ إني أعدت كثيرًا من الموادِّ التي درَستها في السنة الثانية المتوسطة. وتكاد هذه الحركة تكون هي الانطلاقة المباركة - بحمد الله تعالى ومنته - ثم بدعاء الوالدين وحدبهما عليَّ، إذ إنِّي أقبلت بقوَّة على الموادِّ وأبدعت فيها، وبدأت الدخول إلى مصافِّ الأوائل.

مرَّت سنون المعهد جميلة طيِّبة، تتلمذت فيها على جمع طيِّب من العلماء والأساتذة، من أمثال الشيخ «محمد بن علي البراك»، - رحمه الله تعالى -[(١)] ومعالي الشيخ الدكتور «محمد بن عبدالله العجلان» - رحمه الله تعالى -[(٢)] الذي تولَّى إدارة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بعد انتقال معالي الدكتور «عبدالله بن عبدالمحسن التركي» إلى وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وقد تشرَّفت بمزاملته في مجلس الشورى، وخَلَفَه على إدارة الجامعة الأستاذ الدكتور المؤرِّخ «عبدالله بن يوسف الشبل» - رحمه الله تعالى -.[(٣)]

---

(١) توفي الشيخ الدكتور «محمد بن علي البرَّاك» بالبكيرية أوَّل شهر رمضان من سنة ١٤٤٣هـ بعد معاناة مع المرض، بعد خدمته للعلم، فخلَّف أبو علي من بعده علمًا ينتفع به وأولادًا وتلاميذ صالحين يدعون له. رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

(٢) توفي معالي الشيخ الدكتور «محمد بن عبدالله العجلان» يوم الثلاثاء ٨/ ٣/ ١٤٣٣هـ بعد معاناة مع المرض، بعد خدمته للعلم والدعوة، فخلَّف أبو خالد من بعده علمًا ينتفع به وأولادًا وتلاميذ صالحين يدعون له. وقد طرحه المرض لسنين كان فيها يزيد من حسناته ويطرح من سيئاته بفضل الله تعالى ومنِّه وكرمه، رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

(٣) توفي الأستاذ الدكتور «عبدالله بن يوسف الشبل» ليلة الإثنين ٦/ ٧/ ١٤٣٧هـ بعد معاناة مع المرض، بعد خدمته للعلم والإدارة الأكاديمية، فقد كان وكيلاً للجامعة لمدَّة طويلة وأشرف على بناء الجامعة في مقرِّها الجديد بالرياض على طريق مطار الملك خالد.

ومن مشايخي الشيخ «صالح السويح»، والشيخ «عمر بن سليمان الحصّين» - رحمه الله تعالى - الذي أدرك أني من الطلبة الجادِّين، فكان يقفزني في طلب التسميع للقطع الأدبية، مما ترك أثرًا حسنًا في نفسي.

وفي معهد الرياض العلمي كان من مشايخي الشيخ «عبدالله بن منيف» - رحمه الله تعالى - الذي حرص على أنْ يعاتبنا بأبوية، ووصلت إلى أنْ يلزخنا بيده اليسرى «الجطلاء» على قفى أيدينا، والشيخ «سليمان العطيوي» درَّسنا التفسير، وكان حازمًا معنا بما يستدعيه الحزم، والشيخ «محمد الحنطي» - رحمه الله تعالى - وكان لطيفًا معنا إلا إذا أخطأنا، ومعالي الشيخ الدكتور «صالح بن عبدالرحمن الأطرم» - رحمه الله تعالى -.(١)

كان لي مع أحد مشايخي - رحمه الله تعالى - موقفان مهمَّان: أحدهما أنني بدأت أجمع تبرُّعات للفلسطينيين، عندما أطلق صاحب السمو الملكي أمير منطقة الرياض في حينه، خادم الحرمين الشريفين الملك «سلمان بن عبدالعزيز» شعار: إدفع ريالاً تُنقذ عربيًّا، وذلك ردًّا على شعار يهودي متطرِّف منطوقه: إدفع دولارًا تقتل عربيًّا! فطفقت «أحوم» على محلاَّت شارع الريل ووِرَشه من غربه إلى شرقه، وفيه ورش بأنواعها ومحلاَّت قطع الغيار، ومعي قسائم التبرُّع. ثم انتقلت إلى المعهد أجمع التبرُّعات. فمسكني شيخي وأفهمني ألا أتحمَّس أكثر من اللازم؛ لأنه لم يكن - رحمه الله تعالى - على ما بدا لي واثقًا من مصير هذه التبرُّعات. وقد تبيَّن لي ما ذكره شيخي، وتبيَّنت لي حكمته.

والموقف الثاني أنَّ شيخي كان يدرِّسنا في مادَّة الفقه باب الديات من كتاب

---

(١) توفي الشيخ «صالح بن عبدالرحمن الأطرم» بالرياض يوم الجمعة ٢٥/ ١٢/ ١٤٢٨هـ الموافق ٤/ ١/ ٢٠٠٨م، بعد خدمته للعلم والدعوة، فخلَّف من بعده علمًا ينتفع به وأولادًا صالحين أحسبهم كذلك يدعون له. وقد طرحه المرض لسنين كان فيها يزيد من حسناته ويطرح من سيئاته بفضل الله تعالى ومنِّه وكرمه، رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

«زاد المستقنع في اختصار المقنع»، فسألتُ أو سأل أحد الطلبة عن أنَّ الدية هذه لا علاقة لها بالعمر أو المكانة؛ حتى الشخص الكبير، فأجاب الشيخ بنعم. فتلقَّفت وقلت بعفوية: إيه هذا البلاء! وكنت ألمح إلى مقولة شعبية تتردَّد عند بعض الناس، وتطلق في مقام إبعاد كبار السن عن التهلكة، فيقال لأحدهم: تنحَّ لا تُحسب علينا ديةً كاملةً! بمعنى أنك لا تستحقُّ أنْ تُحسب ديةً كاملةً! وهي عبارة مرفوضة شرعًا. وكنت قلتها مازحًا بعفوية. ولكنها لم ترُقْ لشيخي، فعاجلني بقوله: البلاءُ أنت! وقد كان يظنُّ حينها أني استهترُ بأحكام الشرع! وما كنت بذاك التمرُّد الفكري الرافض لأحكام الشرع ولله الحمد والمنَّة.

ولأني لم أقلْها عن سبق إصرار أو استهتار بأحكام الله تعالى - معاذ الله - تمنّيت من شيخي أنْ يتريَّث حينها، ويستغلَّ مقولتي الطائشة هذه ليلقي علينا كلمةً أو محاضرةً أو توجيهًا لمدى عدالة هذا الدين، وأنه لا يفرِّق في أحكامه بالجملة بين الناس. ولكنه - رحمة الله عليه - على ما يبدو غار على هذه الأحكام فكان ردَّه هذا.

وفي معهد الرياض العلمي دخل علينا سنة ١٣٨٧هـ أحد المشايخ مفتِّشًا، والمفتِّشون لهم هيبة لدى المدرِّسين والطلاَّب. وسألنا عن الآية الكريمة التي تلي آية الكرسي من سورة البقرة [٢٥٦]: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾، فطلب المفتِّش منا قراءتها، فقرأها عدد ممن قبلي: فمن يؤمن بالله ويكفر بالطاغوت. فلمَّا جاء دوري قرأتها على ما هي عليه: فمن يكفرْ بالطاغوت ويؤمنْ بالله. فاستحسن الشيخ المفتِّش قراءتي لها. وكان هذا المفتِّش هو معالي الشيخ الدكتور «عبدالله بن عبدالمحسن التركي»، فقد عمل تلك السنة مفتِّشًا تربويًّا بالمعاهد العلمية. ولي مع معاليه وقفات متعدِّدة يأتي سردها تباعًا. ثم صارت التسمية «موجِّهًا»، ثم تحوَّلت إلى «مشرف تربوي»، وقد تعود إلى اسمها الأول. ويظهر لي أن المؤدَّى واحد.

ومن مشايخي معالي الشيخ الدكتور «عبدالله بن عبدالله الزايد» - رحمه الله تعالى - الذي عمل نائبًا لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوَّرة، ثم استقرَّ بها ومرض وتوفَّاه الله تعالى،[١] وكان لي مع ابنه خالد - رحمه الله - وقفات خاصَّة، وكان يعمل في مكتب مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية معالي الأستاذ الدكتور «عبدالله بن عبدالمحسن التركي»، وتوفِّي في حادث سيَّارة بين المدينة المنوَّرة والرياض.[٢] والأستاذ «عبدالرحمن الكريشان» درَّسنا مادَّة العروض، ومعالي الشيخ «حمود الفايز» - رحمه الله تعالى - درَّسنا الفقه، وقد زاملته في مجلس الشورى، ثمَّ رأس ديوان المظالم، والأستاذ «محمد الجاسر»، وقد درَّسنا الأدب، والشيخ «عبدالله الخويطر» - رحمه الله تعالى - درَّسنا الفقه، ومعالي الشيخ الدكتور «عبدالكريم اللاحم» - رحمه الله تعالى - ودرَّسنا الفرائض والفقه. وانتقل إلى ديوان المظالم.

وكان الشيخ «عبدالكريم اللاحم» - رحمه الله تعالى - يدرِّسنا الفقه، بعد أنْ درَّسنا الفرائض في السنة الثانية. وفي الاختبار الفصلي وزَّع علينا أوراق الإجابة بعد تصحيحها، وكان أنْ أعطاني ورقتي وهو غاضب؛ لأنه رأى أني لم آخذ إلا تسع (٩) درجات من ثلاثين (٣٠) درجة، فـ«التفع» وجهي، فلما تحقَّقت من الورقة وجدت أنَّ التسع (٩) درجات هذه كانت للسؤال الأول من ثلاثة أسئلة،

---

(١) توفِّي الشيخ الدكتور «عبدالله بن عبدالله الزايد» يوم الخميس ليلة الجمعة منشهر ربيع الأوَّل سنة ١٤٣٣هـ، الموافق ١٧/ ٢/ ٢٠١٢م، بعد خدمته للعلم والدعوة، فخلَّف من بعده علمًا ينتفع به وأولادًا صالحين يدعون له. وقد طرحه المرض لسنين كان فيها يزيد من حسناته ويطرح من سيئاته بفضل الله تعالى ومنِّه وكرمه، رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

(٢) توفِّي الأخ «خالد بن عبدالله الزايد» بالمستشفى بالمدينة المنوَّرة يوم عرفة ٩/ ١٢/ ١٤٢٧هـ. وكان خارجًا منها بعد أنْ زار والده الشيخ «عبدالله» واطمأنَّ عليه. وأخبرني ابنه الأستاذ «عبدالله» أنَّ والدته، زوجة الأخ خالد توفِّيت هي أيضًا بحادث بالمدينة المنوَّرة رابع أيام عيد الفطر المبارك من سنة ١٤٣٤هـ الموافق ١٢/ ٨/ ٢٠١٣م. رحمهم الله تعالى جميعًا رحمةً واسعةً.

وأنَّ المجموع سبعًا وعشرين (٢٧) درجة من ثلاثين (٣٠) درجة، فأريتها إياه فسُرَّ بها وكأنَّ لسان حاله يقول: إيه! هذي هي الهقوة!

والشيخ «فهد بن حميِّن الحميِّن» - رحمه الله تعالى - كان يدرِّسنا مادَّة التوحيد، وهو من أواخر السلف،[1] كما يقال، وكنا نحرص على أنْ نُتبع إجاباتنا عن الفرق الضالَّة بعبارات الدعاء بأن يحمينا الله من الزلل العقدي. وكانت هذه العبارات تعجبه، ويكافئنا عليها بالإغداق علينا بالدرجات، وكان - رحمه الله - يحفظ نونية «ابن القيِّم»، ويكرِّر قراءتها علينا. والأستاذ الدكتور الأديب الناقد «محمد بن سعد بن حسين»، كان يدرِّسنا الأدب والنصوص - رحمه الله تعالى -.

وكان يدير المعهد معالي الشيخ الفاضل «عبدالعزيز بن عبدالمنعم»، ثم انتقل إلى أمانة هيئة كبار العلماء، ثم معالي الشيخ الدكتور «عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعيد»، وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ثم الرئيس العام لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر السابق، وتولَّى المساعد لمدير المعهد الشيخ «علي بن فهد الغيث»، ثم معالي الشيخ الدكتور «صالح بن سعود آل علي»، وقد زاملته في مجلس الشورى في دورته الأولى ونصف الثانية، ثمَّ أضحى مساعدًا لرئيس مجلس الشورى، ثمَّ رئيسًا لهيئة الرقابة والتحقيق في سنة ١٤٢٨هـ - ١٤٣٦هـ/ ٢٠٠٧م - ٢٠١٥م.

ومن مشايخي الشيخ «راشد بن إبراهيم بن راشد الحديثي». وقد ترك الشيخ «راشد» التدريس واستقرَّ في أبها، حيث كان والده - رحمه الله تعالى - الشيخ «إبراهيم الراشد الحديثي» رئيسًا لمحاكم منطقة عسير.[2] وكان للشيخ «راشد»

(١) توفِّي الشيخ «فهد بن حميِّن الحمين» فجر الثلاثاء ١٤٢٨/٣/٢٩هـ الموافق ٢٠٠٧/٤/١٧م. رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

(٢) توفِّي فضيلة الشيخ «إبراهيم بن راشد الحديثي» - رحمه الله تعالى - في أبها يوم الجمعة ١٤٢٤/١١/١٧هـ الموافق ٢٠٠٤/١/٩م. ولم يكن قد ترك الحجَّ حتى أقعده المرض عن ذلك. وكنا نصلي معه الفروض في مقرِّ إقامته في منى كلَّما تيسَّر لنا أنا وأهلي الحجُّ.

فضل على والدي - رحمه الله تعالى - في أنه باعه قطعة أرض شرق الرياض، وصبر عليه حتى سدَّد قيمتها - فجزاه الله عنه خير الجزاء -.

وكان الشيخ «راشد بن إبراهيم الحديثي» في يوم من الأيام يحضِّرنا بالفصل، فعدَّ منا الزملاء «عبدالكريم الحصان» و«عبدالرحمن النمر» و«عبدالعزيز الصقر» و«عبدالله بن عبدالعزيز ابن باز» و«عبدالله القعود» و«علي النملة». فنظر إليَّ بين هذا الجمع من الألقاب وهو يعرفني ويعرف أسرتي؛ إذ إننا نعود إلى القرية - التي أضحت مدينة - البكيرية نفسها، ولكنها خطرت على باله أنْ يقول لي في تلك اللحظة: ما الذي جاء بك بينهم؟! وكنت وما أزال استغلُّ اسمي هذا للتلطُّف به في الخروج من بعض المآزق الاجتماعية، وتلطيف الأجواء التي قد تكون أحيانًا رسمية أكثر من اللازم.

من أصعب المواقف التي مرَّت بي في المعهد، وقد مرَّت بي مواقف صعبة كثيرة، أنِّي خرجت من اختبار المادَّة الأولى إلى حديقة الإدارة العامة للكليات والمعاهد العلمية لمذاكرة المادَّة الثانية «الفترة الثانية»، أنا وزميلاي «عبدالله ابن علي العبدالله البراك» و»محمد بن عبدالله الناصر الفريح». وعندما عدنا إلى المعهد لاختبار الفترة الثانية وجدنا التلاميذ قد دخلوا صالات الاختبار، ووزِّعت عليهم الأسئلة وبدؤوا يحلُّونها. ونحن حريصون جدًا على الدور الأول، بل على التفوُّق فيه وإحراز مجموعات عالية.

بينما نحن في هذه الحال وقعنا في عين المدير الذي رفض دخولنا؛ لأننا متأخِّرون. وهو معذور فهو يطبِّق نصَّ النظام، وهو في الوقت نفسه لا يعرفنا. ثم فرّج الله عنا بعد أنْ «اصفرّت» وجوهنا بمعالي الشيخ الأستاذ الدكتور «محمد ابن عبدالله العجلان» - رحمه الله تعالى - يُقبل مسرعًا كعادته من بعيد، وكان هو رئيس لجنة الاختبار، ويعرفنا فنحن من طلاَّبه المبرزين، فسأل عن الخطب وذكرنا له العذر، فعذرنا وطلب منا التوجُّه إلى القاعة وبسرعة.

كان هذا على مرأىً من مدير المعهد، الذي لم ينبس ببنت شفة، فقد قدَّر زميله الشيخ «محمد العجلان» واحترم قراره السريع، ولم يستخدم صلاحياته بصفته مديرًا للمعهد، ولم تأخذه العزَّة بالإثم فيصرُّ على عدم دخولنا ما دام أنه لم يسمح لنا بالدخول في البدء، وهكذا التربية، وهكذا القيادة وهكذا تقدير المواقف، وليس الصكَّ بالكفوف. جزاهما الله عنَّا نحن الثلاثة وعن جميع طلاَّبهما خير الجزاء.

انعكس هذا الموقف عليَّ حينما تسلَّمت وكالة كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٥ - ١٤٠٩هـ، إذ قدم طالبٌ ظهرت على يديه آثار الزيت، وجاء مع والده بعد ربع ساعة من توزيع الأسئلة. وعندما توجَّه إليَّ مجهِّزًا الأعذار طلبت منه أنْ يتوجَّه إلى صالة الاختبار، ولحقت به وأدخلته القاعة، وطلبت من الزميل الأستاذ المراقب أنْ يمهله لدقائق يستردّ أنفاسه، كما طلبت له الماء. ولم يعترض الزميل المراقب أو يحتجّ؛ لاحترامه موقف وكيل الكلِّية في قراره هذا. أمَّا والد الطالب فقد طمأنته، ومضى وهو يدعو لي على هذا الموقف. ولم يكنْ ذاك الموقف هو الوحيد ولله الحمد والمنَّة.

لذلك لا أنسى هذه الوقفة من أستاذي وشيخي معالي الأستاذ الدكتور «محمد ابن عبدالله العجلان» - رحمه الله تعالى - وقد ذكَّرته بها في موقف ومكان خاصِّين خارج البلاد، حينما شرفت بمشاركته في جهد من جهود الخير والإصلاح، التي تقوم بها هذه البلاد الطيِّبة بين الفصائل العربية والمسلمة المختلفة بينها.

وفي معهد الرياض العلمي درَّسنا الشيخ «صالح بن عبدالعزيز المنصور» (١٣٥٥ - ١٤٢٩هـ) - رحمه الله تعالى - مادَّة المطالعة. فاستغلَّ هذه المادَّة ليقرأ علينا كتاب «بروتوكولات حكماء صهيون». ولم يكتفِ - رحمة الله عليه - بالقراءة، بل كان يقف ويعلِّق على كلِّ «بروتوكول» من «البروتوكولات» الأربعة والعشرين. وأذكر أنَّ من بينها «البروتوكول» الثالث عشر، الذي فيه تعريض

بإشغال الناس بالرياضة، مما أدَّى إلى موقف غير إيجابي حول الرياضة، بعموم أنشطتها. وربَّما كان هذا الموقف مما لم يشجِّعني على التوجُّه للرياضة، كما سيأتي ذكره في وقفتَي المراهقة.

وفي المعهد العلمي بالرياض كان قد درَّسنا الأدب الأستاذ الشيخ الأديب «محمد بن سعد بن حسين» - رحمه الله تعالى - ثم درَّسنا الأستاذ «حسن حسني» الذي أنشأ النادي الأدبي بالمعهد. وعقد مسابقة القصَّة القصيرة للطلبة. فدخلت المسابقة بقصَّة عن طبيب سعودي يدخل ميدان الجهاد في فلسطين؛ ليعالج المصابين ويجاهد مع إخوانه الفلسطينيين، فيُقتل شهيدًا - بإذن الله - وتنتهي القصَّة بالآية الكريمة: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩]، فتنال القصَّة الجائزة الأولى والوحيدة.

وقد كانت الجائزة ثلاثة كتب أحتفظ بها في مكتبتي، وقلم ماركة «باركر ٢١». وكنت قد قرأت القصَّة في قاعة كلِّية الشريعة للمحاضرات العامَّة أمام جمع من المشايخ والطلبة ويداي ترتعدان من الهيبة، بل إنَّ جسمي كلَّه كان يرتعد «يتنافض»، فقد كانت المرَّة الأولى التي أقف فيها ذاك الموقف. وكان على رأس الحضور معالي الشيخ الدكتور «عبدالله بن عبدالمحسن التركي» وفضيلة الشيخ «عبدالعزيز بن عبدالرحمن المسند» - رحمه الله - وفضيلة الشيخ «عبدالرحمن الدخيِّل» - رحمه الله تعالى - وآخرون من المشايخ في المعهد وكلِّية الشريعة وكلِّية اللغة العربية.

وتقدَّم المتسابق الثاني - وهو زميل أديب وشاعر - رحمه الله تعالى - واصل مشواره الأدبي - بقصَّة ذات علاقة بالشأن الاجتماعي والعلاقات الثنائية، وكانت بعنوان «وصمة عارٍ في الجبين». ولم يظهر أنها نالت استحسان المحكَّمين من حيث الفكرة، فلم تفُز بجائزة.

* * * *

الوقفة الثامنة:
في معهد الرياض العلمي (٢)

وفي المعهد العلمي «طرَتْ» على بعض الطلاَّب - وكنت منهم - في يوم من الأيام أنْ يتمرَّدوا في الفسحة الطويلة. وكان مساعد المعهد حينها الشيخ الفاضل «علي بن فهد الغيث»، وكان يختلط بالطلاَّب ولا يُعرف. فدفرنا البوَّاب ونحَّيناه جانبًا وخرجنا. وبينما نحن مندفعون إلى الخارج نظرتُ إلى الوراء فإذا بعينيَّ تقعان على عيني الشيخ المساعد فعرفني؛ فوقعت وعلمت أني سأكون عبرة وعظة لبقية الطلاَّب المتمرِّدين.

حينها ألهمني الله أنْ أجري بسرعة فائقة من شارع البطحاء إلى شارع الوزير، وأدخل مع باب كلِّية الشريعة، دون أنْ يوقفني البوَّاب، الذي وُضع في هذا الموقف ليمنع الطلاب من الدخول أو الخروج، فقد كانت الكليتان تتبعان طريقة منع الطلاَّب من الخروج أو الدخول بعد دخول التلاميذ إلى فصولهم، ثمَّ أجري وأدخل مع باب يصل بين الكلية والمعهد، وبينهما وحدة الخدمات الطبِّية، دون أنْ يوقفني البوَّاب هناك، ثم أدخل مع الباب الثاني المفضي من وحدة الخدمات الطبية للمعهد، دون أنْ يوقفني البوَّاب كذلك، فأدخل الفصل دون أنْ يمنعني الشيخ «عبدالله الخويطر» - رحمه الله تعالى - أستاذ الفقه بالمعهد، وكان لا يسمح لأحدٍ أنْ يدخل بعده.

وبعد أنْ التقطت أنفاسي وهدأت، وإذا بباب الفصل يُفتح ويطلُّ منه الشيخ المساعد «علي الغيث»، فأَشرئِبُّ بعنقي ليراني، وكنت في ذلك قد بدأت في الامتداد عموديًّا، فتقع عيناي مرَّة أخرى على عينيه، ثم يُغلق الباب ولا أُستدعى للتحقيق؛ إذ إنَّ المدَّة التي أمضيتها من شارع البطحاء إلى شارع الوزير متخطِّيًا أربع عقبات بشرية كانت مدَّةً قياسية؛ بحيث تركت انطباعةً لدى الشيخ الفاضل المساعد بأني لست من رآه مع المتمرِّدين.

وكانت خطوةً عادلة من هذا الشيخ الفاضل للتثبُّت من الشخص قبل المبادرة بالتحقيق في الأمر. وكان إلهامًا من الله تعالى لي لأتجنَّب عواقب قد يكون لها أثرُها أو آثارُها السلبية في بقيَّة حياتي.

ذهبت بعدها بمدَّة للاستئذان من الشيخ الفاضل المساعد «علي بن فهد الغيث» للذهاب إلى مستشفى الملك سعود بالشميسي للعلاج الطبيعي، فسألني الشيخ الجليل: هل لك أشباه في المعهد؟ فاستحضرت الموقف ذاك وأجبت بسرعة: نعم لي أشباه في المعهد، بما في ذلك لبس النظَّارة الطبية. وكان منهم أحد الطلاَّب ويحمل اسم الدخيل! فلم أكذب عليه، ولكني كنت متيقِّنًا أنه يشير إلى تلك الحادثة، ولم اذكر اسم الدخيل الذي يشبهني للمساعد؛ إذ لا ذنبَ له.

وقد ذكرت هذه الحادثة لشيخي «علي بن فهد الغيث» في إحدى زياراتي له مع أخي وصديقي الأستاذ الدكتور «إبراهيم بن مبارك بن موسى الجوير» إبراءً لذمَّتي، فقبل عذري قبولاً مبطَّنًا - فجزاه الله عني خيرًا -.

وفي معهد الرياض العلمي تعرَّفت سنة ١٣٨٦هـ على أخي وصديقي الأستاذ «محمد بن عبدالعزيز الهزاع» الذي كان شغوفًا بالقراءة وجمع الكتب، فاستهواني هذا التوجُّه، فكانت بيننا صولات وجولات مع الكتب والمجلاَّت النادرة، نتلقَّفها في «حراج ابن قاسم»، عندما كان في موقعه الأوَّل شرق شمال المسجد الجامع بالديرة، مسجد الإمام تركي بن عبدالله، حيث باعة الكتب المستعملة، وربَّما منها ما هو غير مصرَّح بتداوله في البلاد، فيوضع تحت البساط الذي تنشر عليه الكتب المعلنة. وكنا نسأل عما تحت البساط، ويسأل غيرنا عما هو فوق البساط!

وكان لهذا الصديق العزيز الأثر الواضح في تكويني الثقافي، الذي اعتمدت فيه على القراءة الدؤوبة لساعات طويلة، في ملحق علوي في بيتنا شمال شارع الريل، الذي كان من طابق واحد فقط، أنسى فيها نفسي وغذائي، حتى يجرَّني

أخي «عبدالله» – رحمه الله تعالى – إلى الغداء جرًّا، كما جرَّني قبلها إلى مدرسة الحِلل!

وما تزال علاقتي بأبي فيصل الأستاذ «محمد بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن الهزَّاع» قويَّةً إلى تحرير هذه الخواطر وإلى أنْ يشاء الله، وكذا بأخيه معالي الدكتور «عبدالرحمن بن عبدالعزيز الهزاع»، وكيل وزارة الثقافة والإعلام للإعلام الداخلي ثم رئيس هيئة الإذاعة والتلفزيون سابقًا،(١) وبقية إخوانه «عبدالله» و«عبدالمحسن» واللواء ركن طيَّار «ماجد» و«حسن» والأسرة الفاضلة.

وكنت من آخر دفعة تمضي في المعهد خمس سنين، إذ تحوَّلت الدراسة في المعاهد العلمية بعد ذلك – سنة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م – إلى ستِّ سنين، وتوزَّعت المعاهد إلى قسم متوسِّط وقسم ثانوي.

وتبقى عندي ذكريات جميلة جدًّا مع إدارة المعهد وأساتذته وطلاَّبه، يحتفظ بها الإنسان لنفسه؛ خوفًا من الإثقال على القارئ، وربَّما تأتي منها بعض الحوادث تباعًا.

*****

(١) انظر: عبدالرحمن بن عبدالعزيز الهزَّاع. كنتُ هناك: رحلة ٤١ عامًا في الإعلام.– الرياض: دار تشكيل، ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م.– ٢٩٩ + ص.– وحصل على شهادة الدكتوراه في الإعلام من جامعة القاهرة يوم الأربعاء ٢٤/ ١٢/ ١٤٤٤هـ الموافق لـ١٢/ ٧/ ٢٠٢٣م. وكان لي شرف حضور المناقشة.

الوقفة التاسعة:
المراهقة (١)

تعدُّ مرحلة المراهقة - بكل المقاييس - أخطر المراحل في عمر الإنسان. ولن أعمد إلى التفصيل فيها، إلا أنَّ من نعم الله تعالى عليَّ أنْ هيَّأ لي صحبةً كانت في منتهى الحذر في التعامُل مع هذه المرحلة الخطرة. وأجزم أنَّ توفيق الله تعالى ثم دعوات الوالدين كانت هي النور الذي سرت عليه في شقِّ هذه المرحلة من حياتي.

ومع هذا فإنَّ الصحبة الطيبة أسهمت في أنْ نتجاوز سويًا هذه المرحلة بقدر كبير من الأمان، دون أنْ نكتم أنفاس المراهقة، فقد حصل لنا فيها من العبث البريء ما لم يخرجنا من هذه المرحلة دون هذا العبث.

هيَّأ لنا العم الزعيم «محمد السليمان النملة» - رحمه الله تعالى - اللواء المتقاعد في الجيش العربي السعودي،(١) وكان قبلها وكيلاً للحرس الملكي أيَّام حكم الملك «سعود بن عبدالعزيز» - رحمه الله تعالى - هيَّأ لنا داره نسهر بها ونسمر في نهاية الأسبوع تحت ناظريه من بعيد. فكنا نسهر في هذا البيت في شارع جرير بالملز، ثم بعد ذلك في شارع الفرزدق بالحيِّ نفسه مع ثلَّة من الصحاب سهرًا بريئًا. وكان يتعمَّد أنْ يمرَّ علينا من بعيد وهو في طريقه للمسجد ينبِّهنا إلى الصلاة، نهبُّ وراءه إلى المسجد، ثم نعود لمواصلة الجلسة. وكانت جلستنا هذه تقتصر على يوم الخميس ليلة الجمعة، فقد كنا ندرس يوم الخميس، فلا نسهر ليلته «السابقة له». ثم قد نخرج سويًا إلى البرِّ أيام الأعياد، نمضي الأيام في طلعات خلوية بريئة.

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. وبشِّر الصابرين: كلمات في رجال تركوا أثرًا.- مرجع سابق.- ص ١٠٩ - ١١٣.

أذكر من هذه الصحبة الطيبة أخي المقدَّم بحري طيَّار «عبدالله» - رحمة الله عليه - وكان له أثر واضح وقوي عليَّ في حياتي كلها، والعميد المهندس «عبدالعزيز بن محمد السليمان النملة» المتقاعد ورجل الأعمال وأخاه «أحمد ابن محمد السليمان النملة» المهندس الطموح، ويعمل في القطاع الأهلي، واللواء «عبدالله بن عثمان البراك» صديق الطفولة منذ الأيام الأولى من الإقامة بالبكيرية، فقد كنَّا متجاورين في البيوت، حتى أنَّ «الحُسُو» بئر الماء كان واحدًا مشتركًا بين البيتين، كما جرت العادة عليه في البيوت القروية. وقد تقاعد من السلك العسكري سنة ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، و«علي بن إبراهيم السديس» - رحمه الله تعالى - وكان يعمل إداريًّا في الحرس الوطني، وكان بيننا مثالاً للانتظام والدقَّة واحترام الوقت والمواعيد، والصديق العصامي «علي بن صالح العطر» الخبير الاقتصادي بالأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية وقد تقاعد، رفيق الدرب في المذاكرة في مسجد (الأمير) فهد شمالي شارع الغرابي قبل التقائه بطريق عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه.

وقد كان خادم الحرمين الشريفين الملك «فهد بن عبدالعزيز» - رحمه الله تعالى -(١) عندما كان وزيرًا للمعارف ثمَّ وزيرًا للداخلية يسكُن في شارع «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه بتقاطُعه مع شارع الغرابي شمالاً. وعَمَر هذا المسجد الذي ما يزال يؤدِّي مهمَّته بعد أنْ كثُر المصلُّون، ولم يكن ذلك المسجد هو الوحيد الذي بناه خادم الحرمين الشريفين الملك «فهد بن عبدالعزيز» على المستويين المحلِّي والدولي.

في هذا المسجد كانت المرابطة للمذاكرة، ثم النوم والعيش فيه على الخبز والجبنة والشاي - والحمد لله - يصنعه حارس العمارة التي كانت تحت الإنشاء جوار المسجد من الشمال، أو نجلب معنا الشاي بالحوافظ أو «الترامس»، وكنا نسمِّيها «الزمزميات»، ولعلَّ التسمية قد جاءت من كونها انطلقت من تعبئتها بماء زمزم.

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. وبشِّر الصابرين: كلمات في رجال تركوا أثرًا.- المرجع السابق.- ص ١٩ - ٢٥.

وكنَّا نقتطع من وقت المذاكرة وقتًا بين المغرب والعشاء، نعود للبيت للقاء الأهل، وكان والدي - رحمه الله تعالى - يستمتع بشرب القهوة مع القدوع بعد المغرب من كلِّ يوم ما تيسَّر له ذلك. ثم نعود للمسجد قبيل صلاة العشاء، فكانت والدتي - رحمها الله تعالى - تلاحقني بكأس شراب البرتقال. وهو من العصير المسحوق الذي يُحلُّ بالماء. ومادة البرتقال فيه محدودة. إلا أنها - رحمة الله عليها - كانت ترى أنه يقوِّيني - وأنا الضعيف - على المذاكرة. ولا أنسى أنها كانت تلاحقني إلى الباب الخارجي لأشرب الكأس من يديها الطاهرتين. وجزاء الوالد على الله.

من المجموعة المباركة كذلك الأستاذ «أحمد بن إبراهيم اليحيى» الخبير الاجتماعي في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، ومدير عام إدارة التأهيل التي تعنى بالمعوقين ووكيل الوزارة المساعد المكلَّف للرعاية الاجتماعية، و«محمد ابن عبدالكريم بن عبدالعزيز السديس»، وهو ضابط متقاعد في سلاح الحدود. ورافقنا فيها الأخ الفاضل الوجيه «سليمان بن إبراهيم بن سليمان النملة»، عندما كان يدرس في كلِّيَّة اللغة العربية بالرياض، وكان من سكَّان المدينة المنوَّرة. وهو الآن رجل أعمال معروف في مدينة جدَّة.

كما رافقنا «محمد بن صالح بن سليمان النملة»، وكان عسكريًّا فتقاعد وأقام في تبوك، و«محمد بن علي بن عبدالله النملة» - رحمه الله تعالى - من موظَّفي وزارة الدفاع، و«عبدالعزيز بن صالح بن سليمان النملة» من موظَّفي وزارة الدفاع كذلك، و«عبدالعزيز بن محمد بن عبدالرحمن النملة» وهو عسكري متقاعد عمل في مدينة الملك عبدالعزيز العسكرية بتبوك،[1] و«سعد بن فهد اليوسف»، وكان موظفًا في سابك. واللواء «سليمان بن علي المسلّم» وهو عسكري في القوات

---

(١) توفِّي أخي «عبدالعزيز بن محمد بن عبدالرحمن النملة» قبل شهر رمضان بيومين من سنة ١٤٣٥هـ إثر حادث موجع في الطريق بين حائل والجوف. وتوفِّيت معه زوجه أمّ محمد وخادمة لهم، وأصيبت ابنته وابن ابنه محمد واسمه عبدالعزيز إصابة قويَّة - رحمهم الله تعالى رحمة واسعة وكتب لهم الشهادة، وشفى المصابين عاجلاً بفضله ومنّته -.

الجوية الملكية السعودية وتقاعد لواءً، بعد أنْ قاد طائرات الاستطلاع الجوي (A-WAX) لأكثر من ربع قرن، والأستاذ «فهد الرشيد»، وانقطعت أخباره عني، وآخرون لم تكن لهم هذه القوَّة في العلاقة في تلك المرحلة، لكن بقيت لهم الذكرى الطيِّبة.

استمرَّت علاقاتنا إلى اليوم نلتقي بين الفينة والفينة، بحسب ظروف كلٍّ منَّا. وأُدين لهم جميعًا بالفضل - بعد فضل الله تعالى - لما لقيته منهم من صبر وتحمُّل واهتمام وتقدير ما يزال قائمًا. وكانوا ينادونني بالشيخ؛ لأني كنت الوحيد بينهم الذي يدرس في معهد الرياض العلمي، ومن يدرس في المعاهد العلمية آنذاك والآن فهو مشروع «شيخ»، مع ما بدا مني من اهتمام بالقراءة ومتابعة الكتاب وتكوين مكتبة منذ سنة ١٣٨٦هـ، أنفق عليها جزءًا كبيرًا من مكافأة المعهد. وما تزال عامرة بما لذّ وطاب من أطباق المعرفة والعلم والثقافة والفكر والأدب. هذا مع قدر نسبي من الاستقامة والتديُّن، التي ربَّما يسمِّيها البعض بالالتزام، وكلُّهم كانوا مستقيمين ملتزمين ذوي فضل عليَّ - والحمد لله ربِّ العالمين -.

يكفي من فضلهم جميعًا عليَّ أننا بفضل الله ومنَّته تعاونَّا على تخطِّي مرحلة المراهقة بقدر كبير من الاتِّزان، الذي لم يطغَ على الانطلاق الترفيهي البريء المشروع، الذي تتطلَّبه هذه المرحلة من العمر.

❋❋❋❋❋

الوقفة العاشرة:
المراهقة (٢)

وفي هذه المرحلة كان الوالد - رحمه الله تعالى - يبني لنا بيتًا شمال شارع الريل. وكان البناء مرحليًّا بحسب توافُر المادَّة، إلى درجة أننا سكنَّاه قبل أنْ يكتمل، فأكمله الوالد تدريجيًّا. وكنت أعاونه على تكملته. وقد حملتُ يومًا السقالة على كتفي الأيمن من الأرض إلى الدور العلوي، بالإضافة إلى حملي جالونين من الماء سعة كل واحد منهما خمسةٌ وعشرون رطلاً، وكنت نحيلاً ضعيف البنية؛ بسبب تركيزي على المذاكرة والقراءة. فكانت النتيجة أنْ انخلع كتفي الأيمن، واستمرَّ معي هذا «المزع» أو «المصع» أو «الملع» إلى هذا اليوم والحمد لله، مع أني بادرت بالعلاج الشعبي بالشبِّ الأسود، الذي تبيَّن أنه زاد من «الملع» والبيض البلدي والرشاد، وهي نبتة مفيدة لكنَّ رائحتها منفِّرة، والعلاج الحديث بالتدليك والجلسات الكهربائية «العلاج الطبيعي» في مستشفى الملك سعود في الشميسي والكي - وآخر الدواء الكي - عند الفاضلة «أم حسين» في المربَّع شمال رئاسة الحرس الوطني ومدرسة اليمامة الثانوية - جزاها الله عني خيرًا -.

وقد تبيَن لي فيما بعد أنَّ الشبَّ الأسود يزيد من الفتق ولا يلحمه! وكان الشرط في تناول البيض أنْ يؤخذ نيئًا وأنْ يكون بلديًّا، أي غير مستورد، فقد سرى بيننا أنَّ البيضَ المستورد صناعي! لا سيَّما أنه يأتي مختومًا، ولا يُختم إلا ما مرَّ على «المكينة»، وبما أنه قد مرَّ على المكينة فهو إذًا بيض صناعي!

عرضت نفسي على طبيب شعبي مشهور في الديرة «المقيبرة»، وكان - رحمه الله - يبيع في القماش، فطلب منِّي بعد أن «دلعتُ» لساني أمامه تجنُّب الحوارَّ والدسم والحامض لمدَّة عشرة أيَّام، فطفقت أتغذَّى على الطماطم الناضج

والخبز الحاف والشاي لمدَّة أربعين يومًا، على دفعات أربع كل دفعة عشرة أيام، ومع كل دفعة مراجعة للطبيب، ثم طلب الاستمرار.

وكانت الزيارة الخامسة والأخيرة بصحبة أخي «عبدالله» - رحمه الله تعالى - فكأنه لمَّا رأى طريقة الكشف بأن أدلع لساني، والطبيب يمتِّر القماش للزبائن أقسم أخي عليَّ أنْ آكل كلَّ ما منعني هذا الطبيب الشعبي من أكله من الحوارِّ والحوامض والدسم؛ لأني ازددت ضعفًا ونحولاً وهُزالاً، ما زال هذا كلُّه يصاحبني إلى اليوم.

كان هذا الأثر معي يزداد وجعًا مع قرب غروب الشمس من كل يوم إلى درجة الضيق والضنك. وفي يوم من الأيَّام لم أعُد أحتمل هذا الضيق، فطلبت من والدي أنْ يصحبني إلى «أم حسين» - رحمها الله تعالى - المتطبِّبة الشعبية التي تعالج بالكي، وتبيع الحليب واللبن مع بداية انطلاقة بيع الألبان. وكانت تسكن في المربَّع خلف رئاسة الحرس الوطني شمال ثانوية اليمامة، مركز الملك عبد العزيز التاريخي الآن، فعرضني عليها.

كان بصحبتنا أحدُ أقاربي الذي كان يعاني من الأثر نفسه. فلمَّا «قصَّت» «أم حسين» - جزاها الله خيرًا - موضع الألم، وأرت والدي إياه ضاغطةً عليه بأصبعها أصابني الدوار وسقطت على الأرض. كنت مستسلمًا لأيِّ علاج، فأوقَدَتْ النار في فناء المنزل، ووضعت الآلة «المطرق» حتى احمرَّت ثمَّ كوتني على موضع الملع، وكان والدي - رحمه الله تعالى - متحفِّزًا للإمساك بي خشية الهرب، إلا أنني لم أشعر بالكيَّة إلا من خلال رائحة احتراق الجلد!

شُفيت بعدها - بحمد الله - ولكنني كلَّما حملت شيئًا ثقيلاً عاودتني الحالُ، حتَّى لجأت إلى الله تعالى ثم إلى الوخز بالإبر، في تركيا ثم في الرياض، وما أزال أحاذر من أنْ يعود «الملع» مرَّة أخرى - والحمد لله على كلِّ حال -.

وفي هذه المرحلة كنَّا نحن المجموعة من الأقارب والأحباب نحاول ممارسة الرياضة، لا سيَّما كرة القدم. وقد أخذنا هذه اللعبة بجدِّية. إلا أنني أنا لم أوُفَّق في المضي في هذا المجال؛ لضعفي وهزالي. واللعبة تحتاج إلى جسم وقوَّة وتمارين، فما كنَّا رغم الجدِّية التي نظرنا فيها إلى اللعبة في مقام المنافسة لفرق أخرى. ولم تستهوني لا سيَّما مع الحماس الزائد لدى بعض أعضاء الفريق، فتركتها بعد إصابة آنيةٍ بالكرة نفسها دوَّختني في حينه، فتمثَّلت قول الشاعر مرَّةً أخرى:

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعْهُ ... وَجَاوِزْهُ إِلَىٰ مَا تَسْتَطِيْعُ

ومنذ ذلك الحين لم يكن لي حظٌّ في ممارسة الرياضة أو الاهتمام بها أو الاندفاع إليها أو توظيف التعصُّب والميل الرياضي، وإنْ لم أسلم من الاتِّهام بذلك، ما عدا الحرص والمداومة على المشي، وإنْ استهوتني كرة الطائرة في مدَّةٍ لا تستحقُّ التسجيل.

*****

الوقفة الحادية عشرة:
في كلية اللغة العربية

في سنة ١٣٩٠هـ التحقت بكلية اللغة العربية بالرياض. وكان موقعها على شارع الملك فيصل (الوزير). وفيها قضيت أربع سنين من حياتي هي من أجمل السنين التي قضيتها في صفوف الدراسة - والحمد لله -. فقد كانت مرحلة مليئة بالتفوُّق. وكنت وزميلي وأخي الدكتور «عجلان بن محمد العجلان» «نتناوب» الأوَّلية - ما شاء الله لا قوَّة إلا بالله - بمنافسة شريفة بمعنى الكلمة، انتهت بحصولي على الترتيب الأوَّل في السنة النهائية من الكلية وحصول أخي «عجلان» على الترتيب الثاني، ويبدو أنَّ أخي «عجلان» كان أحقَّ مني بالأوَّلية لو كانت «الحسبة» أدقَّ مما كانت عليه، إلا أنَّ اللجوء إلى الحساب التراكمي قد يكون هو الذي قدَّمني عليه.

ويأتي بقيَّة الزملاء الدكتور «إبراهيم بن محمد أبو عباة» والدكتور «حسن ابن محمد الحفظي» والبقية الذين انضممنا إليهم أو انضمُّوا إلينا، ومنهم الأستاذ الدكتور «إبراهيم بن مبارك بن موسى الجوير» والدكتور «محمد بن خالد الفاضل» والأخ الكاتب «عبدالله الجعيثن» والأخ الدكتور «محمد بن عبدالله الأطرم» «العزَّام» لاحقًا والأستاذ الدكتور «محمد بن علي الصامل».

بالإضافة إلى معيدِي قسم التاريخ وقسم الجغرافيا بالكلِّية، الذين يُعدُّون الدفعة الأولى من هذين القسمين، الأستاذ الدكتور «عبدالعزيز بن راشد العبيدي»، وكان الأوَّل على دفعته في قسم التاريخ، والدكتور «عبدالله بن ناصر الشقاري»، والأستاذ «أحمد بن عبدالعزيز الغليقة»، والأستاذ «فهد بن إبراهيم العسكر»، وكان الأوَّل على دفعته في قسم الجغرافيا.

وقد حصلت على مكافأة التفوُّق، وقدرها ثلاثة آلاف ريال، التي كانت تُمنح من صاحب السمو الملكي الأمير «عبدالله الفيصل بن عبدالعزيز» (١٣٤١ - ١٤٢٨هـ الموافق لـ١٩٢٣ - ٢٠٠٧م) - رحمه الله تعالى -.

أضفت إلى هذه المكافأة بدل الترحيل الذي يلي التعيين مباشرة بعد التخرُّج، واشتريت بها سيارة «بيجو»؛ لتكونَ لي ولوالدي من بعدي، عندما يأذن الله تعالى لي بالابتعاث. إلا أنَّ الوالد - رحمه الله تعالى - لم يتقبَّلها؛ لما فيها من رقَّة لم يعهدها! فقد تعوَّد على قيادة المعدِّات الثقيلة، أثناء عمله في تمديد خط الأنابيب «التيب لاين» شمال المملكة.

وعلى ذكر البيجو، سافرت به مرَّة مع الوالدة - رحمها الله تعالى - إلى القصيم. وكانت هي المرَّة الأولى التي تسافر بها معي وأنا أقود السيَّارة. وكان الطريق من الرياض إلى القصيم خطًّا واحدًا يمرُّ عبر الوشم والسرِّ. وكانت - غفر الله لها - جالسة إلى جواري دون أنْ ترتكي على المسند، وكأنها هي التي تقود السيَّارة. وكانت قدماها تتحرَّكان مع مراقبة الطريق. فما وصلنا القصيم (البكيرية) بحمد الله تعالى حتى أرتني ثوبها من جهة ظهرها، وكان ثوبها- رحمة الله عليها - أبيضَ من التعرُّق!

وكنت وما أزال مقتنعًا أنَّ الأبَ إذا ركب مع ابنه فهو - في الغالب - الذي يقود السيارة من مقعد الراكب، وليس الابن الذي يقودها من مقعد السائق، فتتوالى التوجيهات للابن في كلِّ لحظة، حتى ليكاد الابن يترك السيَّارة لوالده. وهذا في الغالب. وما كنت أتصوَّر أنَّ هذا الانطباع ينسحب على والداتنا اللائي لا يملكن الخبرة في قيادة السيارة ولا في أنظمة السير.

كان يدير كلية اللغة العربية عميدًا لها معالي الأستاذ الدكتور «عبدالله بن عبدالمحسن التركي»، ويتولَّى وكالتها الشيخ الدكتور العصامي «محمد بن عبدالله بن سليمان عرفة»، ثم تولَّى العمادة الشيخ الدكتور «محمد بن عبدالله

عرفـة»، بعـد أنْ انتقـل الدكتـور «عبـدالله التركـي» لوكالـة الجامعـة، حينمـا أُعلنت الرئاسـة العامـة للكليات والمعاهـد العلميـة جامعـةً باسـم جامعـة الإمـام محمـد بـن سعود الإسـلامية، وكان ذلـك سـنة ١٣٩٤هـ، وكنـت قـد تخرَّجـت في الكلية وأبقتني الكليـة معيـدًا فيهـا.

علمـت أنَّ شـيخي الدكتـور «محمـد بـن عبـدالله بـن سـليمان عرفـة» رجـلٌ عصاميٌّ مـن خـلال مقابلـة أُجريت معـه في إذاعـة القـرآن الكريـم بالمملكـة العربيـة السـعودية في شـهر رمضـان مـن سـنة ١٤٢٨هـ الموافـق أيلـول/ سـبتمبر ٢٠٠٧م، عندمـا سـرد رحلتـه في طلـب العلـم مـن العُـلا إلـى المدينـة المنـوَّرة، وكان يتيمًـا، وكانـت رحلـة مضنيـة محفوفـة بالمخاطـر والتحدِّيـات، ثـم مضيِّـه في طلـب العلـم إلـى أنْ نـال الدرجـات العليـا فيـه، وبقـي علـى قـدر مـن التواضُـع مـع مـن حولـه. وقـد اختيـر عضـوًا في مجلـس الشـورى في دورتيـه الثالثـة والرابعـة (١٤٢٢ - ١٤٢٦ و١٤٢٦ - ١٤٣٠هـ). وهـو ممـن أفتخـر بقربـي منهـم، حيـث اسـتمرَّت العلاقـة بيـن الشـيخ وتلميـذه، مـع شـعور بالتقصيـر مـن هـذا التلميـذ تجـاه شـيخه الفاضـل، بـل شـيوخه الفضـلاء.

عـرض علـيَّ أحـد الأحبَّـة سـنة ١٣٩٢هـ أن أرافقـه في رحلـة إلـى سـوريا. وهـو قريـب نسـبًا وقريـبٌ وضعًـا اجتماعيًّـا واقتصاديًّـا. فلمـا اسـتأذنت مـن الوالـد في رفقـة صاحبـي هـذا لـم تـرُق الفكـرة لـه - رحمـة الله عليـه - وكان لسـان حالـه يقـول: خـطّ خطَّيـن وامـحَ الثالـث. فتأثَّـرت دون وعـي منـي، وصـارت في خاطـري، إلا أننـي قطعًـا لـن أسـافر دون رضـاه وقبولـه. فجـاءت فكـرة الجولـة داخـل البـلاد - حرسـها الله تعالـى - تعويضًـا عـن السـفر إلـى الخـارج. فقبـل الوالـد وأعـارني سيارته الداتسـون بغمـارة واحـدة و»هنقليـن» وشـراع علـى «الهنقليـن».

جمعتنـي هـذه الرحلـة بالأصدقـاء «محمـد بـن عبدالعزيـز الهـزاع» ومعالـي الدكتـور «عبدالرحمـن بـن عبدالعزيـز الهـزَّاع» والعصامـي أ. «علـي بـن صالـح

العطر» والصديق الزميل «أحمد بن إبراهيم اليحيى». فانطلقنا للمنطقة الشرقية، بدءًا بالأحساء ثم بقية مدن المنطقة إلى الجبيل، ثم سافرنا للمدينة المنوَّرة عن طريق الرياض، التي لم نتوقَّف فيها؛ خوفًا من أنْ تخفَّ عزيمتنا. فمررنا على شقراء، حيث والدة الأخ «أحمد اليحيى»، ثم مررنا بالقصيم في طريقنا إلى المدينة المنوَّرة.

وفي المدينة المنوَّرة زرنا مسجد رسول الله ﷺ وتهيأ لنا السلام على المصطفى عليه الصلاة والسلام. وكنا في ضيافة العم «إبراهيم بن سليمان النملة» الساكن في شارع «أبي ذر الغفار» رضي الله عنه. فأوعز لنا أننا إذا أردنا العمرة بحقٍّ فلا بدَّ أنْ نحرم من «أبيار علي»، ميقات أهل المدينة ومن مرَّ بها. وهكذا كان. اعتمرنا ثم انطلقنا إلى جدة، ومعنا دليلنا أخونا أبو فيصل أ. «محمد الهزَّاع».

وكانت رحلةً طويلة، أزالت الكلفة بيننا نحن الخمسة، وعرفنا فيها طباع بعضنا. وكنت سائق الرحلة بحكم أنَّ السيارة لوالدي. وكان البقية يتناوبون المقاعد الداخلية، اثنان في «الصندوق» واثنان في الغمارة، حتى عودتنا للرياض. ولم تكن هذه الرحلة في خاطر الوالد؛ بسبب أخذي للسيارة، وتركه دون وسيلة نقل، فنظرت إليها على أنها حماقة مني، دون أنْ أُشعر أعضاء الرحلة، لكنه - رحمة الله عليه - تحمَّل وصبر. فكيف ألحق «أوفِّيه» جزاءه؟! غفر الله تعالى له ولي.

وبينما كنت أذاكر في مسجد الأمير فهد الواقع بنهاية شارع الغرابي شمالاً يوم الجمعة عصرًا، نهاية السنة الدراسية الثالثة ١٣٩٢ - ١٣٩٣هـ، أحسست بأعراض الزائدة، فتركت مذكِّراتي وكتبي لدى الزملاء في المسجد، وتوجَّهت مع الزميل «محمد بن عبدالله العطر» إلى مستشفى الملك عبدالعزيز الجامعي (طلال سابقًا)، فلمَّا وجدناه مزحومًا، ولم يسمح لنا المراجعون بالتقدُّم عليهم؛ بحجَّة أنهم جميعًا في حالة طارئة! توجَّهنا إلى المستشفى الوطني بشارع الستين «صلاح الدين الأيوبي»، إلا أنَّ الأعراض زادت، فاختصرنا المسافة إلى مستشفى

عبيد الأهلي في شارع الفرزدق، الذي استأصل الزائدة، واستأصل معها ما وفَّره الوالد لأولاده، ولعله - رحمه الله تعالى - قد اقترض لسداد الفاتورة!

في كلية اللغة العربية ظهرت الصداقة الصادقة مع كثير من الزملاء، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر وكما مرَّ ذكر معظمهم: إخوتي الدكتور «عجلان بن محمد العجلان»، والأستاذ «محمد بن عبدالعزيز الهزاع»، وأخوه معالي الدكتور «عبدالرحمن بن عبدالعزيز الهزاع»، وكانت قد بدأت في السنة الثانية بالمعهد العلمي، والأستاذ الدكتور «إبراهيم بن مبارك الجوير» والدكتور «إبراهيم بن محمد أبو عباة» والدكتور «محمد بن خالد بن سعد الفاضل» والدكتور «حسن ابن محمد بن إبراهيم الحفظي»، والأستاذ الدكتور «عبدالعزيز بن راشد العبيدي» والدكتور «محمد بن عبدالله الأطرم» (العزَّام لاحقًا)، والأستاذ الوافي «علي بن صالح اليحيى»، وكنا نذاكر سويًّا في مسجد الأمير فهد آخر شارع الغرابي شمالاً، والدكتور «عبدالعزيز بن فهد العقيِّل»، وغيرهم كثير وممن جاء بعدهم كذلك فقد يتعذَّر رصدهم هنا - ولله الحمد والمنَّة -.

تتلمذتُ في هذه المرحلة على نخبة من الأساتذة الذين أكنُّ لهم التقدير والدعاء، ويصعب عليَّ حصرهم، إلا أنَّ منهم الدكتور «عبدالرحمن رأفت الباشا» - رحمه الله تعالى - ودرَّسنا مادة النقد الأدبي، وأشرف علينا في بحوث التخرُّج في السنة الرابعة. وكنت أكتب بعده، ولا يفوتني شيء مما يقول إلا النادر، فأضحى ما كتبته مذكِّرة يطلبها زملائي ويصوِّرونها. ولم تخرج أسئلة الاختبار - بفضل الله - عنها.

أما بحث التخرُّج فكان من ضمن سلسلة بحوث عن شعر الدعوة الإسلامية. وكان عن شعر الدعوة الإسلامية في ديار الشام منذ عصر النهضة إلى زمن إعداد البحث، كتبته في سبع مئة (٧٠٠) صفحة بخطِّ اليد. ويظهر أنه لاقى قبولاً لدى الدكتور «الباشا» - رحمه الله - فاصطفاه للطباعة. ويبدو أنه أخذه معه لمقرِّ

سكنه؛ لأنه - رحمة الله عليه - كان ينتقي بعض البحوث المميَّزة، ويدفع بها للمطبعة على حساب الكلِّية.

ومن بعدها بحثت عنه مرارًا لطباعته على حسابي - إنْ كان يستحقُّ الطباعة - لكني لم أعثر له على أثر. ولعلَّ المرض ثم الأجل عاجل الدكتور «الباشا» - رحمه الله - قبل دفعه للمطبعة. ولم يكن قد تهيَّأ لي أنْ آخذ من البحث صورة أحتفظ بها عندي، واتصرَّف بها بما يُناسب.

ومن مشايخي في كلِّيَّة اللغة العربية الشيخ «محمد أبو شلباية» في النحو والصرف، والشيخ «زكي سويلم» في الأدب في السنَّة الأولى، والأستاذ «عمر عودة الخطيب» في الثقافة الإسلامية، والدكتور «فوزي فيض الله» في الحديث الشريف- رحمهم الله تعالى - وكان الدكتور «فوزي فيض الله» ينظر إليَّ نظرة حانية. وسبق أنْ قال لي في أحد الاختبارات الشفوية: أنت فيل، ولستَ نملة! والحمد لله ربِّ العالمين.(١)

والشيخ المبدع «محمد الراوي» - رحمه الله - الذي زرع فينا الثقة بأنفسنا. وكان يدرِّسنا مادَّة التفسير، وكان يرغب في أنْ يرانا متميِّزين من خلال إجاباتنا لأسئلة الاختبار. وكان يقول لنا: أريد إجابات مختلفة بعدد الطلاَّب المجيبين عن الأسئلة، رغم حساسية القول في تفسير آيات الكتاب الحكيم. والدكتور الشيخ «عبدالعزيز الربيعة» - رحمه الله - وكان قد درَّسنا التوحيد وعرفنا منه مفهوم الدور والتسلسل، وشرُفت بمزاملته في مجلس الشورى، والدكتور «محمد عبدالمنعم خفاجي» الباحث الشاعر.

ومن أساتذتي في كلِّيَّة اللغة العربية الشاعر المرهف الدكتور «محمَّد رجب

---

(١) (١) انظر: محمد ياسر القضماني. محمد فوزي فيض الله: العلاَّمة الفقيه المُربِّي.- دمشق: دار القلم، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.- ١٧٤ ص.- (سلسلة علماء ومفكِّرون معاصرون: لمحاتٌ من حياتهم وتعريف بمؤلَّفاته؛ ١٧).

البيُّومي» - رحمه الله تعالى - وقد درَّسنا الأدب، وحدَّثنا - من ضمن ما كان يشرح لنا - عن عشق «ابن زيدون» لـ«ولاَّدة بنت الخليفة المستكفي» الأندلُسي. فلما سألتُه بعفويةٍ عن تطاوُل شاعر «صُعيليك» كـ«ابن زيدون» - رغم أنه كان وزيرًا - ليعشق بنت الخليفة! وليقولَ فيها ما قال من خالد الشعر:

أضحى التنائي بديلاً عن تدانينا ... وناب عن طيب لقيانا تجافينا
بنتم وبنَّا فما ابتلَّت جوانحنا ... شوقًا إليكم ولا جفَّت مآقينا
نكاد حين تناجيكم ضمائرُنا ... يقضي علينا الأسى لولا تأسِّينا

أجابني أستاذي «البيُّومي» - رحمه الله تعالى - بقوله: إنني ما أزال صغيرًا لا أعرف معنى الحبِّ! وكان - رحمه الله تعالى - ممن أحبَّ، فأخرج ديوانًا في رثاء زوجه التي فارقته في مصر وهو في غربته في المملكة العربية السعودية، فزادت من غربته غربةً، فأضحى حبيس الغربتين - كما وصفه الصديق الأديب الدكتور «عايض بن بنيَّة الردَّادي»، جسَّد ذلك الفقد في ديوان «حصاد الدمع»[(١)].

وكان محقًّا في اتِّهامه لي بعدم إدراك معنى الحبِّ؛ لأنَّني كنت حينها صغيرًا. ويشاء الله تعالى أنْ اتجرَّع من الكأس الذي ذاقها البيُّومي، عندما فقدتُّ زوجتي رفيقة دربي «أم حمد» - رحمها الله تعالى رحمة واسعة وأسكنها فسيح جنَّاته -. وسيأتي الحديث عن هذا الفقد في مكانه من هذه السياحة الذاتية.

* * * * *

(١) (١) انظر: محمد رجب البيُّومي. حصاد الدمع.- الرياض: دار ثقيف، [١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م].-

الوقفة الثانية عشرة: الإعــــادة

أمضيت في الإعادة سنتين جميلتين؛ إذ كانت الجامعة تُعدُّ اللوائح لنظامها، ومن بينها لائحة الابتعاث. جزء من هاتين السنتين تحت عمادة الشيخ الدكتور «عبدالله بن عبدالمحسن التركي»، والجزء الآخر تحت عمادة الشيخ الدكتور «محمد بن عبدالله عرفة». وبعضها في عمادة شؤون المكتبات بالجامعة، وكان العميد فضيلةُ الأستاذ الدكتور «زاهر بن عوَّاض الألمعي» مثال العصامية والطموح، وقد زاملته في مجلس الشورى في دورته الأولى ١٤١٤- ١٤١٨هـ.

توجَّهت إليه لأكتسبَ خبرةً في مجال المكتبات والمعلومات، الذي تحوَّلت إليه مع أخي وزميلي الدكتور «عجلان بن محمد العجلان». فاستغرب الأستاذ الدكتور «زاهر» هذه الخطوة منِّي، وبيَّن لي أنَّ البند لا يسمح بالمكافآت، وأكَّدت له أني لم أكنْ أبحث عن مكافأة فزاد استغرابه. وعملت عنده حتى أذن الله بابتعاثي وزملائي ليلة عيد الفطر من سنة ١٣٩٦هـ. وكنت أعمل مع مجموعة من الزملاء المصريين زاد عددهم على الثلاثين، وكنت قد عقدت صداقاتٍ مع معظمهم.

في هذه المرحلة عقدت جامعة الملك سعود بالرياض مؤتمر رسالة الجامعة، تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير «سلطان بن عبدالعزيز» وزير الدفاع والطيران والمفتِّش العام - رحمه الله تعالى - وعُقد على هامش المؤتمر معرض رسالة الجامعة، الذي عُرضت فيه المؤلَّفات العلمية لمنسوبي الجامعة من أعضاء هيئة التدريس. وكنت أمثِّل جامعة الإمام مع زميلي وصديقي الأستاذ الدكتور أبي عاصم «محمد العودة السعوي»، الأستاذ بكلية الشريعة ثم كلِّية أصول الدين.

وافتتح صاحب السمو الملكي الأمير «سلطان بن عبدالعزيز» المؤتمر، فعرَّج على المعرض، وكنت وزميلي الأستاذ الدكتور أبو عاصم «محمد السعوي» في استقبال سموه في جناح الجامعة، فوقع ناظرا سموِّه على رسالة الأستاذ الدكتور «زاهر بن عوَّاض الألمعي»، وأشاد بعصاميته، فعقَّبت بعفوية بأنه قد انطلق من الجندية، وواصل طموحه حتى وصل إلى الشهادة العالمية العليا «الدكتوراه»، فرمقني سموُّه بنظرةٍ خاصَّةٍ، فهمت منها أنه - رحمه الله - كان على علمٍ بذلك.

وقد عملنا معًا أنا وأبو عاصم أ. د. «محمد السعوي» عملاً في المعرض يبدو أنه كان مشرِّفًا للجامعة، فكان أنْ أكرمني عميد الكلية معالي الدكتور «عبدالله بن عبدالمحسن التركي» بالإشادة بالجهد الذي قمتُ به وزميلي في هذا المعرض، وكان ذلك أمام زملائي المعيدين، بعد أنْ قرَّبني منه لأجلس في مكتب العميد على الكرسي المجاور له تمامًا، وكنت كعادتي التي أصرُّ عليها دائمًا قد أخذت مكاني في آخر مكتب العميد. وكان لهذه الإشادة أثرٌ طيب في نفسي. ووجدت معالي الدكتور «عبدالله بن عبدالمحسن التركي» يذكرني في لمحاته مع عدد من الطلاَّب الذين واجههم في الكلِّية ممن يُثنى عليهم. وهذا ذكر أعتزُّ به من قامة علمية قيادية.(١)

في عمادة شؤون المكتبات قضيت مدَّة ممتعة تحت إدارة العميد الشيخ الدكتور «زاهر ابن عوَّاض الألمعي»، وكانت وكالة العمادة أثناء وجودي بيد الشيخ الفاضل «عبدالعزيز بن عبداللطيف» والإدارة لدى الشيخ أبي ناصر «عثمان المدلج»، وكان ينظر إليَّ بإعجاب؛ إذ إنني كنت المواطن الوحيد الذي يعمل في الشؤون الفنية بالمكتبة.

وكانت لي فيها صداقات مع بعض إخواني العاملين في المجال من مصر - كما ذكرت - أمثال الأساتذة: «محمد رفعت النجَّار» - رحمه الله تعالى

(١) انظر: عبدالله بن عبدالمحسن التركي. لمحاتٌ من الذاكرة.- الرياض: المؤلِّف، ١٤٣٦هـ.- ص ١٤٨.

- و«زكي فكري الجزَّار» - رحمه الله تعالى - و«فؤاد جبر»، و«أمين صوفي»، و«علي عبدالمحسن»، و«بدر الحماقي»، و«مدني البرهامي منصور» - رحمه الله تعالى - و«محمد بهجت» وغيرهم. وكان المدير الفني للمكتبات الأستاذ «فريد عبدالخالق».

ويبدو أنَّ المدير الفني للمكتبات الأستاذ «فريد عبدالخالق» قد أُعجب بأدائي وعلاقاتي مع زملائي من مصر، فطلب من فضيلة العميد مكافأتي على جهودي، إلا أنَّ المكافأة المادِّية حسب نظام الخدمة المدنية غير واردة للسعودي، فاقترح على العميد أنْ أُسافر في رحلة للبحث عن مكتبات شخصية معروضة للبيع في القاهرة، فكتب العميد لمدير الجامعة طلبًا بذلك، إلا أنَّ مدير الجامعة معالي الدكتور «عبدالله بن عبدالمحسن التركي» كان غائبًا، وأناب عنه وكيل الجامعة الذي لم يقدِّر هذا الموقف من عميد شؤون المكتبات اجتهادًا منه، فردَّ عليه بأنه لا يرى داعيًا لذلك «في الوقت الحاضر».

ولا أحسب أنَّ هذا الردَّ سيأتي من مدير الجامعة، لما يتمتَّع به معاليه من سعة أفق، ورغبة في اطِّلاع منسوبي الجامعة على ما يدور خارج البلاد، ومكافأة من يرى فيهم المبادرات والرغبة في الأداء.

تأثَّر عميد شؤون المكتبات الشيخ الدكتور «زاهر الألمعي» من هذا الردِّ السلبي من شيخي وأستاذي وكيل الجامعة - غفر الله لي وله - فلما عاد المدير عرض عليه العميد الأمر، وعرض عليه للأمانة اعتذار الوكيل، فكان أنْ وقف المدير في الوسط، ووافق على نصف المدَّة، والمدير والوكيل كلاهما يعرفان هذا المعيد. فكانت هذه من المواقف التي لا تُنسى من مدير الجامعة ومن عميد شؤون المكتبات الشيخ الدكتور «زاهر بن عواض الألمعي» ومدير الشؤون الفنية بالعمادة الأستاذ «فريد عبدالخالق» - جزاهم الله عني خير الجزاء -.

*****

الوقفة الثالثة عشرة:
في البعثة (١)

تأخَّرت الجامعة في ابتعاثنا سنةً ونيِّفًا؛ لانشغالها بإعداد لائحة الابتعاث. وكانت النية أنْ نُبتعث جميعًا - بغضِّ النظر عن التخصُّصات - إلى مصر، منَّا من يدرس اللغة العربية بعلومها، ومنَّا من يدرس المكتبات والمعلومات والاجتماع والتربية وعلم النفس والتاريخ والجغرافيا، إلا أنَّه تبيَّن أنَّ جامعة القاهرة لا تقبل في تخصُّص المكتبات والمعلومات من لم يحصلوا على الشهادة الجامعية في التخصُّص نفسه، فكان لا بُدَّ من ابتعاثنا إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

خيَّرنا فضيلة العميد الدكتور «عبدالله بن عبدالمحسن التركي» أنا وأخي «عجلان» بين الابتعاث أو العودة إلى تخصُّص اللغة العربية، فطلبنا منه إمهالنا ليوم واحد؛ لنفكِّر ونستأذن أهلنا. وكانت في واقع الأمر فرصة لم نكن نفكِّر بها؛ لأنَّ السفر إلى أمريكا في ذلك الوقت يعدُّ نقلةً حضارية غير عادية. وفي صباح اليوم التالي شخصنا أنا وأخي «عجلان» إلى مكتب العميد وأبدينا موافقتنا على البعثة إلى الولايات المتَّحدة الأمريكية.

ربطتني الكلية قبل البعثة أنا وأخي وزميلي «عجلان» بكلٍّ من الأستاذين الدكتور «أحمد أنور عمر» - رحمه الله تعالى -[1] والدكتور «عبدالستَّار عبدالحقِّ الحلوجي»، الأستاذين في تخصُّص المكتبات والوثائق، ودرسنا عليهما مبادئ التخصُّص، بل إننا جلسنا على مقاعد الدراسة في السنة الأولى مكتبات، مع الطلاَّب الذين كان من المتوقَّع أنْ ندرِّس لهم، وكلَّفنا هذان الأستاذان الفاضلان بالقراءات المكثَّفة، مما أعان على نزع هيبة التخصُّص الجديد من أذهاننا.

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. وبشِّر الصابرين: كلمات في رجال تركوا أثرًا.- مرجع سابق.- ص ٢٢٥ - ٢٢٧.

أمَّا زملاؤنا المعيدون بالعلوم الشرعية واللغة العربية والتاريخ والجغرافيا فقد أكملوا دراساتهم العليا بالجامعة، بعد أنْ سارعت الجامعة إلى فتح المجال للدراسات العليا في الشريعة وأصول الدين واللغة العربية بعلومها، وفي التاريخ والجغرافيا. وكان ذلك ردَّ فعل لطلبات التقليص من الابتعاث، لما يكتنفه من مخاطر.

في هذا العام ٩٥ - ١٣٩٦هـ الموافق ١٩٧٦م افتتحت الكلية أقسامًا أخرى للعلوم الاجتماعية في علم الاجتماع وعلم النفس والتربية والمكتبات والمعلومات، بالإضافة إلى التاريخ والجغرافيا، اللذين بدأت الدراسة الجامعية بهما سنة ١٣٩٠هـ، فانتقت الكلية معيدين لهذه الأقسام الجديدة من الأقسام الثلاثة الموجودة.

ورأت الكلية أنْ يُبتعث هؤلاء جميعًا إلى أمريكا. فسافرنا ليلة عيد الفطر المبارك من سنة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م! اثنا عشر معيدًا، ثلاثة منا معهم عائلاتهم. فكان العيد في فيلادلفيا لجمع منهم. أما أنا وزملائي «عجلان بن محمد العجلان» و«إبراهيم بن مبارك الجوير» و«محمد بن عبدالله الأطرم» (العزَّام لاحقًا)، فقد تخلَّفنا في لندن لأربع وعشرين ساعة. وكان العيد في لندن.

في لندن قابلنا أحد زملاء الدراسة في المعهد العلمي، وكنت أنا وهو في مقعد «ماصة» واحدة في المعهد. وكانت قد ظهرت ميوله الصحفية، من خلال انخراطه في التحليل الرياضي الصحفي من ملعب الصايغ. ومعظم القياديين الصحفيين الأوائل بعد الروَّاد، في حقبة المؤسَّسات الصحفية (١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م) وما قبلها، انطلقوا - كما أراهم - من الرياضة. أما جيل الروَّاد من أمثال الشيخ «حمد بن محمد الجاسر» و«عبدالله بن محمد بن خميس» وزملائهما الكثيرين مثل عائلة العُمري والصانع بالقصيم وغيرهم كثير في الحجاز والأحساء والدمام وعسير لا تحضرني أسماؤهم، فكانوا من المعروفين بالعلم والثقافة.

عزمَنا الزميل الأستاذ على مرقوق لندني، إذ كانت «الجلوف» تُعمل من خبز التوست البُرّ، دون عجن مسبق ولا «مثايل»،(١) فالتهمنا هذه الطبخة، وداومنا عليها في غربتنا قبل أنْ نقترن ببنات الحلال. في هذه الدعوة للعشاء كان هناك نقاش فكري جادٌّ مع الزميل، تبيَّنت لنا فيه معالم توجُّهه الفكري، منذ ذلك الحين، وكان قد لازمه شابٌّ متطلِّع كان ينهل من فكره ومهنيته الصحفية، وهو الآن أحد أعمدة الصحافة العربية.

لحقنا بالركب من الغد وكان يوم أحد إلى فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا، حيث كان ينتظرنا الأستاذ الدكتور «إسماعيل بن راجي الفاروقي» (١٣٣٩ - ١٤٠٦هـ/ ١٩٢١ - ١٩٨٦م) - رحمه الله تعالى - الفلسطيني الأصل الأمريكي الجنسية، أستاذ الأديان بجامعة تمبل،(٢) وكانت جامعة الإمام قد فضَّلت أنْ تربطنا به؛ للاطمئنان على سيرنا الدراسي، وعلى إزالة حال الانبهار بالحضارة الغربية، والاطمئنان على عدم تعرُّضنا لبعض الأفكار والسلوكيَّات التي لا تتناسب مع النهج الذي سارت عليه هذه البلاد، ثم الإسهام في تيسير أمور التعايُش مع المجتمع الغربي. وكان يساعده في هذه الرعاية المذكور بالخير الدكتور «حمدون»، الذي تولَّى الإشراف المباشر على أعضاء البعثة.

وكنَّا قد توجَّهنا مباشرةً إلى فيلادلفيا، دون المرور على مكتب الملحقيَّة الثقافية بهيوستن بولاية تكساس، حيث كان الملحق الثقافي الأستاذ «عبدالعزيز المنقور» - رحمه الله -. وكان ربَّما قد علم بقدومنا، فانتظر حتى نتَّصل بالمكتب

---

(١) المثايل جمع مثيلة وهي كرة العجين التي تسبق فردها باليدين لتصبح قرصًا يرمى في القدر ثم يخلط مع ما فيه من خضرة ولحمة. وأطيب المرقوق ما طبخ على الحطب. وكان أهلنا ينهوننا عن عدِّ المثايل ويزعمون أن عدَّها ينتج الثآليل كما عدّ النجوم، تجنُّبًا منهم لعدم الإفصاح عن كمية العشاء!

(٢) انظر: علي بن إبراهيم النملة. وبشِّر الصابرين: كلمات في رجال تركوا أثرًا.- المرجع السابق.- ص ٢٦٠ - ٢٦٨.

ونعبّئ الملفات، على الطريقة المعهودة لجميع المبتعثين، إلا أننا اتّكلنا على المنسّق الذي بدا أنه لم يتواصل مع الملحقية، وقد بدا لنا أنَّ الملحقية لم تكن ترحِّب بوجود الوسطاء بينها وبين المبتعثين. وحُقَّ لها ذلك.

وفي ضوء رغبتنا في إدراج أسمائنا في الملحقية وتسلُّم مكافأة المبتعث تواصلنا مع الملحقية، فعتبوا علينا وألزمونا بالتوجُّه إلى هيوستن لإنهاء إجراءات التحاقنا بالبعثة. ولكثرتنا وافق الملحق على إنابة اثنين منا، فكانت الإنابة من نصيبي وصديقي «إبراهيم بن مبارك الجوير»، فشخصنا إلى هيوستن، ولقينا الترحيب، وأنهينا تعبئة الملفَّات بالأصالة والإنابة، وعدنا محمَّلين بالشيكات.

وفي البعثة كنا نحن مبعوثو جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية نتسلَّم رواتبنا كاملةً، بالإضافة إلى مكافأة الطالب المبتعث. وعندما علم مبتعثو إحدى الجامعات بهذا الإجراء الذي أملته لائحة الابتعاث الداخلية طالبوا بمساواتهم بمبتعثي جامعة الإمام، فصدر القرار بمساواة مبتعثي جامعة الإمام ببقية المبتعثين الذي تقتضي اللوائح أن يتسلَّموا نصف الراتب، مع إعادة ما نصف سبق صرفه إلى ميزانية الدولة.

وكان أمين الصندوق في كلِّية العلوم الاجتماعية الأخ الصديق الطموح «راشد ابن سعد القحطاني»، ذلك الرجل العصامي الذي واصل تعليمه العالي حتَّى وصل إلى رتبة أستاذ بقسم التاريخ والحضارة بجامعة الإمام. وكان وكيلي في تسلُّم الرواتب والدي - رحمه الله تعالى -. فكان الزميل الصديق «راشد» يتواصل مع الوالد ليتأكَّد من وجوده في البيت الواقع آخر شارع صيتة من الشرق ليذهب إليه دون أنْ «يتعنَّي» الوالد، ويسلِّمه باقي الراتب البالغ ثلاثين (٣٠) ريالاً، كانت هي مبلغ العلاوة بعد خصم نصف الراتب الأصلي المصروف سلفًا. فكانت هذه خطوة مقدَّرة من أخي الدكتور «راشد»، جزاه الله تعالى عن والدي وعني خير الجزاء.

*****

الوقفة الرابعة عشرة:
في البعثة (٢)

بدأت رحلة المعاناة مع اللغة الإنجليزية لعام كامل أو يزيد، التحقت خلاله بعشرة اختبارات للتوفل (قياس المهارات اللغوية)، ولم أحصل على أكثر من خمس مئة وست عشرة (٥١٦) درجة، وكان الحدُّ الأدنى للقبول في الدراسات العليا خمس مئة وخمسين (٥٥٠) درجة. ومع هذا فقد وفِّقنا أنا وأخي «عجلان» للقبول بمرحلة الماجستير، بعد المقابلة الشخصية مع عميدة القبول والتسجيل في جامعة فلوريدا الحكومية بمدينة تالاهاسي شمال غرب الولاية،[1] وشهادة تزكية من معهد اللغة الإنجليزية التابع لجامعة فلوريدا في مدينة غينسفيل بفلوريدا نفسها، وأنهيت مع زميلي «عجلان» هذه المرحلة - بحمد الله - بيسر وسهولة، لم تخلُ من معاناة مع اللغة.

قبل الانتقال إلى مرحلة الدكتوراه، وفي انتظار القبول لهذه المرحلة، كان لديَّ فسحة من الوقت لأدخل في معهد مهْني لأتعلَّم الطباعة، مستغلاً الوقت فيما يفيد، وكان هذا مع نهاية السنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. ولقد فاجأتني في هذا الوقت طالبة من إيران بأنَّ حدثًا ما قد حصل في بلادي، وإذا بالحرم المكِّي الشريف يقع تحت الحصار في اليوم الأوَّل من شهر محرَّم الحرام من سنة ١٤٠٠هـ، التي ينظر إليها على أنها بداية القرن الخامس عشر، وأنظر إليها على أنها نهاية القرن الرابع عشر.

أضحى هذا الحدث الجلل يمثِّل تحوُّلاً في نظرة بعض الناس للدِّين، وكانت له تبعاته إلى يومنا هذا. فلم نكن قد تعوَّدنا في بلادنا - حرسها الله - على هذا النوع من القلاقل، لا سيَّما إذا كان الأمر يتعلَّق بمفهوم عقدي في بلاد الحرمين الشريفين، التي اشتهرت بصفاء العقيدة بين أهلها والوافدين عليها، وقامت القيادة فيها على أسس دينية صحيحة ونقيَّة.

---

(١) يخطئ من يترجم العبارة *Florida State University* إلى جامعة ولاية فلوريدا، فـ *State* هنا تعني الحكومية، في مقابل الأهلية أو الخاصَّة *Private*.

ويبدو أنَّ الأوساط العلمية والفكرية والدعوية قد قصَّرت في التوعية والبرامج التي تحصِّن المواطن والمقيم والمسلمين جميعًا علميًّا وفكريًّا، على اعتبار أنَّ المملكة العربية السعودية هي مأرز أهل العلم والفكر المعتدل ذي المنهج الوسط، دون اعتبار للانتماءات الفكرية والتنظيمات والأهواء والأحزاب والجماعات، حتى ابتلينا بأعمال إرهابية داخل البلاد، يقوم بها رهط من شباب هذه البلاد الطاهرة، التي يضرب بها المثل في الاستقرار والأمن، كما يُضرب بها المثل في نقاء العقيدة على منهج النبوَّة؛ لقيامها على العقيدة الصافية ولتطبيقها شرع الله وحدود هذا الشرع الحنيف.

ثمَّ التحقت بمرحلة الدكتوراه بمدينة كليفلاند بولاية أوهايو بجامعة خاصة «أهلية» معروفة تدعى: جامعة كيس وسترن رِزرف، مطلع سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ومررت بالمعاناة التي مررت بها فيَ مرحلة الماجستير، بما في ذلك أخذي للاختبار الشامل مرَّتين، وتغيير المشرف وموضوع الرسالة مرَّتين، إلا أني أنهيت فيها أربع سنين ونصف السنة، برسالة عنوانها: «التجهيزات الأساسية للمعلومات بالمملكة العربية السعودية، من حيث المصادر والاحتياجات: دراسة تقويمية»، تحت إشراف الأستاذ الكرواتي «تيفكو ساراسيفتش»، مُنحتُ فيها درجة الدكتوراه في رجب ١٤٠٤هـ/ مايو ١٩٨٤م. وكنت أظنُّ هذا الأستاذ كان بوسنيًّا مسلمًا لم يُظهر لنا إسلامه، حتى تبيَّن لي أخيرًا أنه ليس كذلك؛ إذ زار المملكة سنة ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، وألقى فيها بعض المحاضرات واللقاءات، ودعوته في بيتي، فعلمت أنه لم يكن مسلمًا، لكنه لم يُخْفِ تعاطفَه مع المسلمين، واستخدامه مصطلحات إسلامية حين تدريسه لنا في الجامعة.

أثناء هذه المرحلة وصلتنا أخبار وفاة الملك «خالد بن عبدالعزيز» - رحمه الله تعالى - في ٢١/ ٨/ ١٤٠٢هـ الموافق لـ٤/ ٨/ ١٩٨٢م.[١] وتولِّي الملك «فهد

(١) انظر: أحمد الدعجاني. خالد بن عبدالعزيز: سيرة ملك ونهضة مملكة/ تقديم سلطان بن عبدالعزيز، مراجعة عبدالله بن يوسف الشبل وناصر بن عبدالعزيز الشثري.- الرياض: المؤلِّف، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.- ٦١٠ ص.

ابن عبدالعزيز» - رحمه الله تعالى - أمور الحكم.[١] فكان لوفاة الملك «خالد بن عبدالعزيز» - رحمه الله تعالى - وقعٌ غيرُ يسير على القريب والبعيد، وكان العزاء فيه من تولَّى حكم البلاد بعده، ثم على المستوى الشخصي وجود أصحاب السمو الأمراء وصاحبات السمو الأميرات أولاده الصالحين من بنينَ وبناتٍ، الذين سارعوا في إنشاء مؤسَّسة خيرية باسمه؛ حيث يبذلون لوالدهم أعمالَ الخير، مما يدخل في مفهوم الصدقات الجارية.

للبعثة ذكريات جميلة هي خليط من المعاناة والمعايشة والتحدِّيات العلمية والاجتماعية والفكرية، في مجتمع متفتِّح إلى درجة عالية جدًا من التفتُّح، ولكنها مع هذا ذكريات لا تختلف عن ذكريات الغالبية العظمى من المبتعثين السعوديين والخليجيين، الذين يُعدُّون من أفضل المبتعثين الوافدين عناية ورعاية وظروفًا مالية في ذلك الوقت، حتى التأشيرات التي تعطى للطلبة السعوديين آنذاك كانت تأشيرات دبلوماسية من الدرجة الثانية (A2) - ولله الحمد -.

لم تكن الغربة في حال الابتعاث تأخذ المفهوم السلبي للغربة، فلم تكن غربةً دعا إليها شظف العيش، على غرار ما كان يقوم به العقيلات في رحلاتهم إلى الشام والعراق ومصر والهند،[٢] وعلى غرار ذلك الفرد الفلاَّح منهم الذي عندما خرج من «القهوة» أو المجلس بعد شربه للقهوة بشغف قال عبارته المشهورة: ما أدري هل أذهب لأعدل - بتخفيف الدال - الساقي أم أذهب إلى

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. وبشِّر الصابرين: كلمات في رجال تركوا أثرًا.- مرجع سابق.- ص ١٩ - ٢٥.

(٢) انظر: عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم. نجديون وراء الحدود: العقيلات ودورهم في علاقة نجد العسكرية والاقتصادية بالعراق والشام ومصر.- مرجع سابق.- ٣١٢ ص.- وانظر أيضًا: نوَّاف بن صالح الحليسي. عصر العقيلات: الجذور العربية في مصر والشام والعراق، قطوف على هامش قصصهم في مهاجرهم.- مرجع سابق.- ٣٣٨ ص. وانظر كذلك: إبراهيم المسلَّم. العقيلات.- مرجع سابق.- ٣١٤ ص. وانظر كذلك: إبراهيم المسلَّم. رحلتي مع العقيلات.- مرجع سابق.- ٢٠٥ ص. وانظر كذلك: عبدالرحمن بن زيد السويداء. عقيلات الجبل.- مرجع سابق.- ٤١٢ ص.

العراق! فذهب إلى العراق قبل أنْ يعدل الساقي! وأمضى في العراق عشرين سنة لا يعلم عنه أهله شيئًا ولا يعلم هو عن أهله شيئًا، إلا عندما يرسل «خطًّا» أي رسالة مع أحد القادمين لزيارة أهلهم، وتسليمهم بعض المقسوم من «الخرجية» التي يوفِّرها لهم. وعندما عاد للزيارة بعد عشرين سنة سأل سؤاله: من عدَل الساقي عني ذلك اليوم؟!

كانت غربتنا مرغوبًا فيها، سعى إليها كثير من الشباب والشابات؛ للانطلاق في الأجواء الغربية والابتعاد عن الأهل والمجتمع؛ رغبةً في الشعور بالاستقلالية والعصامية والجدِّية في النظرة للحياة.

أفدتُ من هذه البعثة كثيرًا، وانعكست دون شك على مساري في الحياة العلمية والفكرية والسلوكية والاجتماعية. وأبرز ما فيها إسهامي المتواضع في الأنشطة الطلابية داخل الجامعات الأمريكية، التي درست بها وخارجها، ورغبتي في الحوار مع الآخرين، لا سيَّما الذين يعملون في التنصير من «شهود يهوه»، وأصحاب الأفكار والأهواء والنزعات من الجماعات، تلك الأحزاب التي لم تكن تتَّفق والنظرة الشمولية التي تربَّينا عليها في مجتمعنا المسلم الواضح.

وقد كان لهذه المعايشة والمعاناة والتحديات أثرٌ واضح في حياتي، حقَّقت من خلالها شيئًا من الذات. وخرجت منها بفهم للتحدِّيات التي نواجهها، وعبَّرت عن ذلك بالكتابات العلمية والفكرية والإعلامية.

وفي هذه المرحلة تطلَّب البرنامج دراسة مواد إحصائية، وأنا ضعيف في الرياضيات - كما مرَّ ذكره -. فتعبت من نموذج إحصائي طوَّره أستاذ في جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس يدعى الأستاذ «بوركو». فلما أعيتني المادَّة خرجت إلى هاتف العملة في الشارع قريبًا من القسم واتَّصلت به؛ لأخبره أنَّ نموذجه هذا صعب عليَّ، ولعله يجد لي حلاًّ. فعرف من لهجتي أني لست أمريكيًّا، فسألني من أين؟ فذكرت له أني من المملكة العربية السعودية، فقال لي: ليست عندك

مشكلة في الرياضيات! أنتم العرب الذين صدَّرتم لنا الرياضيات. ويقصد هنا المسلمين؛ لأنَّ مصطلح العرب إذا أُطلق في الغرب أُريد به المسلمون.

قال: اذهب! فليست عندك مشكلة. وقد تكون اللغة هي العائق أمامك. وما كانت اللغة - ولله الحمد - عائقًا أمامي، بالمقارنة ببعض المبتعثين من شتَّى الجنسيات. وقد أعطتني هذه الكلمة من الأستاذ الدكتور «بوركو» ذي الخلفية اليهودية دفعة غير عاديَّة، فآليت على نفسي أنْ أتخطَّى - بحول الله تعالى - هذه العقبة. فتوفَّقت - بحمد الله - وتفوَّقت فيها إلى درجة أني نصبتُ من مكتبي بالقسم فصلاً لدرس «خصوصي» أدرِّس هذا الأنموذج لزملائي العرب والأمريكيين! فتحوَّلت - بفضل الله تعالى - من عاجزٍ بالإحساس إلى قادر بالإرادة ومُواجهة التحدِّي.

* * * * *

الوقفة الخامسة عشرة:
البعثـــة (٣)

من أجمل الذكريات أثناء هذه الغربة، وفيها ذكريات جميلة، اقتراني ببنت الحلال، أمِّ حمد، «رقيَّة بنت حمد السليمان الشعيبي» - رحمها الله تعالى - يوم الخميس ٢٥/ ٢/ ١٤٠١هـ - ٣١/ ١٢/ ١٩٨٠م، التي أضفَت عليَّ استقرارًا نفسيًا واجتماعيًا في مجتمع متلاطم، فأعانتني - بعد عون الله تعالى - على شقِّ الطريق، وتحمَّلتْ قدرًا عاليًا من المعاناة، التي برزت في غربتها وصبرها وبُعدها عن أهلها وذويها ووطنها وعملها، ولكنها فطرة الله التي فطر المرأة والناس جميعًا عليها.

وكانت «أمُّ حمد» - رحمها الله تعالى - قريبةً مني اجتماعيًّا، وكنت قريبًا منها كذلك، حتى في مراحل النمو المعيشي والاجتماعي، فقد انطلقنا من البكيرية إلى البيوت العشوائية على حافَّة المطار القديم بالرياض، ثم دخلنا الرياض في حيٍّ واحد، وتطوَّرت الانتقالات داخل مدينة الرياض حتى وصلنا إلى شارع صيتة بالملز، المتفرِّع من شارع علي بن أبي طالب ﷺ من الشمال، ومن شارع الظهران من الجنوب. ولعله سمِّي فيما بعد بشارع «أروى بنت عبدالمطَّلب» عمَّة رسول الله ﷺ ورضي الله عنها، ثمَّ انتقل أهلنا جميعًا إلى الربوة الجنوبية، جنوب طريق «صلاح الدين الأيوبي». كل ذلك دون ترتيب مسبق، ولكنه القرب الاجتماعي والمستوى المعيشي المتطوِّر تطوُّرًا تدريجيًّا.

وفي الغربة رزقنا بأوَّل مولود أسميناه «حمدًا»، وذلك صباح يوم الثلاثاء ١٢/ ١١/ ١٤٠٢هـ الموافق ٣١/ ٨/ ١٩٨٢م، تيمنًا باسم جدِّي «حمد» (٠٠٠٠ - ١٣٨٢هـ) - رحمه الله تعالى - وكانت هذه رغبة والدي «إبراهيم» - عليه رحمة الله - فقد قال مرَّة: من أراد أنْ يسمِّيَ علَيَّ فليسمِّ على أبي، يعلِّق في هذا على قولنا: إذا رُزقت بمولود ذكر سأسمِّيه «إبراهيم» على أبي، وكنَّا أولادًا صغارًا لم

نبلُغ الرشد، ولكنه التطلُّع والآمال. ولعلَّ هذا من البرِّ المبكِّر بالوالد، وكان ذاك ولله الحمد والمنَّة. ومن الجميل هنا أنَّ اسم والد زوجتي - رحمه الله تعالى ورحمها - «حمد»، فقال العيَّارون إني سمَّيت ابني على والد زوجتي، وهذا لا يضيرني، بل إنه مجال فخر عندي. ثمَّ تبع «حمَدًا» بعد العودة من البعثة: «أروى» و«آلاء» و«نورة» و«عبدالله» و«ندى»، أصلحهم الله جميعًا، وجعلهم بارِّين بوالديهم.

وفي كليفلاند وبعد ولادة الابن «حمد» اتَّصل بي شخصٌ، وذكر أنه مندوب لجمعية خيرية في الحي الذي نقطن فيه، وطلب مني المقابلة في منزلي. وبعد تمنُّع مني وإلحاح منه، ضربت له موعدًا، فجاء يعرض عليَّ الانضمام لجماعته المسمَّاة بجمعية «الفورسترز» "Foresters" ، ولا علاقة للاسم بالغابات؛ لأنَّ التسمية توحي بالنسبة إلى الغابة "Forest". وأكَّد لي أنه لا علاقة للجمعية أيضًا بثقافة من ينتمي للجمعية، من حيث معتقدُه وأصولُه الثقافية والعرقية. وعرض عليَّ بالشرائح بعضًا من مناشط الجمعية.

ثم طلب مني الإجابة عن أربعة أسئلة، إذا أجبت عنها كلِّها بالإيجاب استحقُّ العضوية بالجمعية. وكان أوَّل هذه الأسئلة عن استعداد الجمعية أنْ ترعى ابني «حمدَ» تربويًّا حتَّى ينهي تعليمه الجامعي. وكان ردِّي بتعجُّل منِّي أني لا أنوي البقاء في أمريكا حتَّى يتخرَّج الابن «حمد» من الجامعة! والعجيب أنَّه قد عاد بعد الثانوية إلى أمريكا بصفته مواطنًا أمريكيًّا؛ لإنهاء دراسته الجامعية والعليا.

وكان السؤال الثاني حول قبولي عرض الجمعية بتأمين سكن لي ولزوجتي بعد تقاعدنا على شواطئ كاليفورنيا أو فلوريدا، فكان جوابي بتعجُّل منِّي أيضًا أني لا أنوي البقاء في أمريكا حتَّى سنِّ التقاعد. فما كان منه إلا أنْ يطْوي أوراقه بعصبية، ويعتذر عن مواصلة المقابلة وطرح الأسئلة عليَّ؛ بحكم أنَّ إجاباتي للسؤالين الأوَّلين لم تكن إيجابية.

وكم تمنَّيتُ أنْ أتريَّث في الإجابة عن الأسئلة الأربعة حتَّى ينهي طرحها عليَّ جملةً، إذ خفي عليَّ السؤالان الأخيران. وقد يكونان من تلك الأسئلة التي تبرز بوضوح أكثر طبيعة الانتماء لمثل هذه التنظيمات، لا سيَّما إذا كانت مستوحاة من جمعيات سرِّية كالماسونية ونحوها. وهذا ما تبادر إلى ذهني عندما بدأ المندوب بعرض المغريات المادِّية. وأظنُّ أنَّ هذا المندوب قد حصل على رقمي وعنواني من المستشفى الذي وُلِدَ فيه الابن «حمد»، دون أنْ أعطي هذه الجهة الإذن بالتصريح باسمي وعنواني ورقم هاتفي، مما أوحى إليَّ بوجود تنسيقٍ ما بين هذه الجمعية والمستشفى.

وفي كليفلاند اتَّصل بي أحدُ أبناء عمومتي من الرياض وأخبرني أنَّ سيدة سعودية ستصل كليفلاند للعلاج في كليفلاند كلينيك، وطلب مني أخي «أحمد» أنْ أكون معها في الكشف عليها، أترجم لها وأزيل عنها هيبة التعامُل مع الأجانب(!) ونحن هناك «الأجانب»، وهم أهل الدار، مع أنني استبعدت هذا المصطلح وأنا أعالج قضية العمل في المملكة العربية السعودية. استقبلتها بالمطار وأخذتها مع ابنها وبنتها اليافعَين إلى الفندق المجاور للمستشفى. ثم في اليوم التالي أخذتها إلى الدكتور الإيراني الأمريكي «رضوي» «رزافي» كما يسمُّونه بالفارسية، أخصائي الباطنية الذي أشرف على علاج الملك «خالد» - رحمه الله تعالى - في كليفلاند، وهو من أصل فارسي.

تطلَّبت الكشفية عددًا من الفحوص والتحاليل والإشاعات، وكنا نجوب المستشفى من محطَّة إلى أخرى، حتى انتهت الفحوص - دون مواعيد طويلة في انتظار النتائج - وتبيَّن من النتائج أنْ هذه السيدة لا تُعاني من مرض، يمكن لهذه الإجراءات الطبية أنْ تكتشفه. فقال لي الدكتور «رضوي»: اسألها يا علي ماذا بها. فسألتها فقالت: إنها إذا غضبت شعرت بحموضة في صدرها «المريء»! فترجمت عبارتها للدكتور «رضوي»، فضحك وقال لي: انقل لها أننا جميعًا نشعر بهذه الحال عندما نتكدَّر.

هذا يعني أنه لم يكن في هذه السيدة ما تشكو منه فعلاً؛ بحيث تترك بلادها وتأتي إلى كليفلاند للعلاج، فقد كلَّف مجيؤها الكثير من المال والجهد والنصَب. وعندما تبيَّن لها أنها بخير طلبت مني أنْ أطلب من الدكتور «رضوي» الكشف على ولديها؛ ابنها وبنتها، فتبسَّم الدكتور «رضوي» ضاحكًا من قولها وكشف عليهما، وطمأنها أنهما بخير وعافية، وانتهت المقابلة!

طلبت منِّي السيدة الفاضلة أنْ أكون مرشدًا سياحيًا لها، وآخذها إلى الأسواق، فاعتذرت بلطف بأنني مشغول بدراستي ولا أجيد التردُّد على الأسواق، ودللتها على امرأة أمريكية يمكن أنْ تساعدها في هذا الجانب. فعادت إلى البلاد ولم أسمع منها أو عنها. وكان عتبي على ابن عمِّي الذي ورَّطني بها، بينما أنا مشغول في دراستي، إلى درجة أنني إلى اليوم أتذكَّر المحاضرة التي اعتذرت عن عدم حضورها، وكانت في المكتبات الطبِّيَّة.

وفي كليفلاند زارنا معالي الأستاذ الدكتور «عبدالله بن عبدالمحسن التركي» مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في حينه، ضمن جولةٍ قام بها؛ للتعرُّف على أحوال مبتعثي الجامعة، وللمشاركة في بعض الفعاليات والأنشطة بين الجالية المسلمة في أمريكا. وكان لزيارته أثرٌ في رفع معنوياتنا وشعورنا بأننا أمام مسؤولية وطنية كبرى؛ سواء أكنَّا مبتعثين على حساب الدولة أم بيننا القليل جدًّا ممَّن يدرسون على حسابهم الخاص، وتحتِّم علينا هذه المسؤولية حسن تمثيل هذه البلاد الطاهرة. وأرجو أننا كنَّا كذلك.

وأثناء محاولاتنا لمَّ الشمل بين المساجد القائمة في المدينة «كليفلاند»؛ لنجتمع على رؤية هلال شهر رمضان المبارك، ومن ثمَّ نجتمع على خروج الشهر وحلول عيد الفطر المبارك، حاول بعض المختلفين معنا منهجًا اختراق هذا الجهد؛ ليحظَوا بمكان يوزِّعون فيه منشوراتهم عن منهجهم. وكنا قد قبلناهم معنا في البداية على أنهم واقعٌ وهم موجودون بيننا، وهناك من يتعاطف معهم من الجالية المسلمة.

فلما تبيَّن لنا في كليفلاند أنَّ هذه المجموعة تريد التأثير المباشر على مسار هذه الاجتماعات، بحيث يتفرَّق الجميع، ونحن نسعى إلى جمع الجميع، اقترحت في أحد الاجتماعات - وكنت أديرها - منع توزيع المنشورات على المصلِّين وعلى المجتمعين في محيط المكان الذي تُقام فيه الصلاة، وطلبت عدم التفريق في هذا المنع. فأُسقط في أيديهم وخفَّفوا من اجتماعهم بنا، وإنْ لم يقطعوا الصلة بالمجلس التنسيقي الذي كوَّناه لهذا الغرض.

*****

الوقفة السادسة عشرة:
التنصير والحوار

كنت قد وقفت في صالة معهد اللغة الإنجليزية في جامعة تمبل في مدينة فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا نهاية سنة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م أُحادث راهبة فيتنامية متقدِّمة في السنِّ، تعرَّضتْ للتنصير على الطريقة الكاثوليكية إبَّان الحرب الأمريكية السوفييتية في فيتنام، وجاءت تدرس اللغة الإنجليزية. وكنت أرغب في هذا النوع من الحوار المفتوح، إلا أنَّ أحد زملاء البعثة مرَّ بي وهمس في أذني بقوله: «بدأت بك يا علي»! فكان لهذه الكلمة أثرها العميق في نفسي إلى اليوم، لا سيَّما أنَّه قد عُرف عن هذا الزميل حماسه وإخلاصه، بغضِّ النظر عن الصواب عنده، فهذه مسألة أخرى. كما كان حسَّاسًا جدًّا من سريان الأفكار والسلوكيات الخاطئة بين زملائه. وكان من آثار همسته هذه إصراري على مواصلة الحوار مع النصارى والمنصِّرين.[١]

أثر هذه الهمسة في نفسي يأتي من مفهوم بعضنا أنَّ لدينا القابلية لأنْ يُوثَّر علينا، وليس لدى غيرنا القابلية أنْ نؤثِّر عليهم، مع أننا نحمل رسالة صافية، تتماشى مع فطرة الله التي فطر الناس عليها. إلا أنه يبدو أنَّ بعضنا يُعاني من أزمة ثقة فيما نحمله، فيخاف علينا أنْ نكون فريسة للأهواء والتيَّارات العقدية والفكرية - وهي قويَّة ومدعومة ولا شكَّ - التي لا تتَّفق مع هذا الدين الذي ندين به، ولا تتَّفق مع المنهج السليم الذي نتبنَّاه. وقد ترجمت هذه الهمسة غير الواثقة بعمل عنونته: مجالات التأثُّر والتأثير بين الثقافات: المثاقفة بين شرق وغرب،[٢] وطبعته طبعةً أخرى بعنوان: مناحي التأثُّر والتأثير بين الثقافات:

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته.- ط ٥.- بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠م.- ٢٧٠ ص.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم النملة. مجالات التأثُّر والتأثير بين الثقافات: المثاقفة بين شرق وغرب.- الرياض: المؤلِّف، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.- ١٧٩ ص..

المثاقفة بين شرق وغرب.[١] وكنت أصدرت قبل هذا كتابًا في ثلاث طبعات عن منطلقات العلاقات بين الشرق والغرب ومحدِّداتها، وكان من بين هذه المحدِّدات السبعة عشر التنصير والاستشراق.[٢]

وقد زارني في سكني في تالاهاسي بفلوريدا رهط من المسلمين ممن ينتمون إلى جماعة التبليغ، وكان من بينهم شابٌّ أمريكي كان منصِّرًا في الهند، فهداه الله تعالى للإسلام؛ بسبب وقوفه على جمع من المصلِّين في العراء خلف إمام واحد يأتمُّون به، ولعلَّ المناسبة كانت صلاة العيد. فكان لهذا المنظر المنظَّم أثرٌ في نفسه، دعاه إلى البحث في الإسلام والاهتداء ولله الحمد.

ولم يجد أمامه إلا تلك الجماعة ليكفِّر عن إسهامه في حملاته التنصيرية. والأمثلة كثيرة كُتبت عنها بعض الكتب والمقالات العلمية والإعلامية.[٣] وما تزال وسائل التواصُل تطالعنا بقصص إسلام بعض المنصِّرين والغربيين «العاديين» من الرجال والنساء والولدان، مما يؤذن بأنَّ هذا الدين منصور بنصر الله تعالى له وبالطائفة المنصورة بأمر الله تعالى، وهو في الوقت نفسه في صعود.

وإذا كان الشيء بالشيء يُذكر فإنَّ الحوار مع الآخرين المخالفين لنا عقيدة وثقافةً له إيجابياته كما له سلبياته، والتركيز على السلبيات دائمًا يؤثِّر على مسير الحوار. ومع هذا فإنه لا يُعدم المرء أنْ يتأثَّر، في الوقت الذي يسعى فيه إلى التأثير. تذكر الباحثة التونسية «آمال قرامي» أنَّ عددًا «من المتنصِّرين قد اعترفوا بأنَّ غاية اختلاطهم بالمسيحيين كانت مجادلة هؤلاء ومحاولة التأثير فيهم،

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. مناحي التأثُّر والتأثير بين الثقافات: المثاقفة بين شرق وغرب.- بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٤م.- ١٥٧ ص.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الشرق والغرب: محدِّدات العلاقات ومؤثِّراتها.- الرياض: مرجع سابق.- ٢٤٧ ص. وانظر أيضًا: علي بن إبراهيم الحمد النملة. الشرق والغرب: منطلقات العلاقات ومحدِّداتها.- ط ٢.- بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م.- ١٧٣ ص. وطُبع طبعة ثالثة عن مكتبة بيسان ببيروت سنة ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م في ٣٥٢ ص.

(٣) انظر: صلاح عبدالرزَّاق. المفكِّرون الغربيون المسلمون: دوافع اعتناقهم الإسلام.- ٢ ج.- بيروت: دار الهادي، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.- ٤٢٩ ص.

ولكن سرعان ما «انقلب السحر على الساحر»؛ إذ أعجب المسلمون بالسلوك المثالي للمسيحيين وقدرتهم على الإقناع، فكان التنصير».[(١)] وتضيف الباحثة «آمال قرامي» القول: «مما لا شكَّ فيه أنَّ القارئ يتفطَّن إلى الخلفيات التي تحتوي عليها مثل هذه الشهادات، والتي يأتي على رأسها إظهار المسيحي في هذه الصورة المشرقة، وفي المقابل تشويه صورة المسلم والإسلام».[(٢)]

وهناك مقولة قديمة يردِّدها المنصِّرون، مفادها أنَّ الغرب إنَّما تقدَّم بسبب تمسُّكه بنصرانيته، وتأخَّر المسلمون لتمسُّكهم بإسلامهم، بينما منطق بعض المتحرِّرين من «الليبراليين» وبعض العَلمانيين - بفتح العين - أنَّ الغرب إنَّما تقدَّم لنبذه الدين في السياسة والحياة العامَّة، وتأخَّر المسلمون لتمسُّكهم بالإسلام، فاختلفوا في الجزء الأوَّل من هذه المقولة، واتَّفقوا على الجزء الثاني منها.[(٣)]

وتتَّفق الباحثة «آمال قرامي» في هذا مع الطبيب الفرنسي «موريس بوكاي» الذي حذَّر الطلبة المسلمين من التأثُّر بالتوجُّه الغربي الذي فصل الدين عن العلم. ويتَّفق مع «بوكاي» لمستشرق «ولفرد كانتول سميث» في ذلك. وقد أوردت هذه النصوص المقتبسة في أكثر من عمل فكري قمت بإعداده.

يمكن أنْ تُستخدم بكلِّ ثقة عبارة «انقلب السحر على الساحر» مقلوبةً لمصلحة هداية المنصِّرين من القُسس والرُّهبان، ناهيك عن المسيحيين «العاديين»، التي أضحت ظاهرةً واضحة في مسيرة الدعوة الإسلامية، والشواهد عليها لا تقبل التجاهُل حتى يومنا هذا.[(٤)]

---

(١) انظر: آمال قرامي. قضية الردَّة في الفكر الإسلامي الحديث.- تونس: دار الجنوب، ١٩٩٦م.- ص ٥٠.- (سلسلة معالم الحداثة).

(٢) انظر: آمال قرامي. قضية الردَّة في الفكر الإسلامي الحديث.- المرجع السابق.- ص ٥٠.

(٣) انظر: علي بن إبراهيم النملة. التنصير: المفهوم - الوسائل - المواجهة.- مرجع سابق.- ٢٧٠ ص.

(٤) انظر: محمد بن ناصر الطويل. إسلام القساوسة والحاخامات.- الرياض: دار طويق، ١٤٢٤هـ.- ص. وانظر أيضًا: محمَّد عزَّت الطهطاوي. لماذا أسلم هؤلاء؟: قساوسة ورهبان وأحبار ومستشرقون وفلاسفة وعلماء.- القاهرة: مكتبة النافذة، ٢٠٠٥م.- ١٩٤ ص.

الوقفة السابعة عشرة:
الحياة العملية

قد تكون حياتي العملية بدأت مبكِّرةً، عندما بعت الماء البارد في البطحاء، ثم الخضرة في دكَّان في الحي جنوب شارع الريل في حلَّة القصمان، ثمَّ تعيَّنت معيدًا بكلية اللغة العربية سنة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ثم عملت بعمادة شؤون المكتبات بالجامعة، منتصف العقد التاسع من القرن الرابع عشر الهجري، منتصف العقد السابع من القرن العشرين الميلادي. وعملت في مكتبة قسم المكتبات بجامعة فلوريدا الحكومية في فلوريدا متطوِّعًا؛ لاكتساب الخبرة، ثم بعدما عدت إلى البلد الميمون في رجب من سنة ١٤٠٤هـ الموافق يونيه من سنة ١٩٨٤م، بدأت رحلة عملية متنوِّعة، يمكن تلخيصها - دون النظر إلى تدرُّجها تاريخيًا - بالنقاط المهمة الآتية:

أوَّلاً: وكالة كلية العلوم الاجتماعية:

وكان العميد حينها أخي الأستاذ الدكتور «محمد سالم بن شديِّد العوفي»، وعمل بعد ذلك أمينًا عامًا لمجمَّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنوَّرة، وأكرم بها من مهمَّة يقوم بها أخي «محمد سالم العوفي»، ذلك الرجل النشط في مجال الخير المؤطَّر، حيث رقى بهذا المجمَّع المبارك رقيًّا نوعيًّا، من حيث مواصلة طباعة المصحف الشريف على القراءات، وترجمة معانيه إلى اللغات العالمية، ومواصلة إصدار أشرطة القرَّاء المسجَّلة في المجمَّع فالأقراص المدمجة، والعناية بالسنَّة النبوية المطهَّرة، والسيرة العطرة، وإقامة الندوات العلمية في مجالات خدمات المجمَّع، وإصدار دورية علمية، واستحداث موقع إلكتروني للمجمَّع، وتوزيع قرص مدمج للقرآن الكريم، يُستخدم في نقل الآيات بنصِّها في البحوث. ولعلَّ هذا من نتائج وضع الرجل المناسب في المكان المناسب. وكانت وما تزال له إسهامات خيرية في مجالاتٍ مختلفة.

والدعاء هنا بأنْ يجعل هذه الأعمال الرائدة من الصدقة الجارية لخادم الحرمين الشريفين الملك «فهد بن عبدالعزيز» - رحمه الله تعالى - ومن جاء قبله وبعده من قادة هذه البلاد الطيِّبة، الذين جعلوا من خدمة كتاب الله تعالى من أولى اهتماماتهم، وللعاملين في المجمَّع من المشرفين عليه والقائمين على إدارته، وفضل الله عظيم.

واستمرَّت وكالتي للكلية من سنة ١٤٠٥ إلى سنة ١٤٠٩هـ، أمضيت فيها مع الأستاذ الدكتور «محمد سالم بن شديِّد العوفي» في الكلية أربع سنين، تخلَّلتها رحلتا ألمانيا وأمريكا، وكنت خلالها موضع تقديره وتحمُّله للهفوات التي أحرجتُه بها. وقد كان يمثِّل الجانب الإداري، وأتقمَّص شخصية التساهُل الإداري، أو هكذا نظرت لهذا الموقف، وإنْ نظر إليه غيري على أنه «تسيُّب» إداري منِّي، ما علينا! فقد كنت مقتنعًا بهذا الأداء؛ لأني أتعامل مع النخبة من الأساتذة والطلبة والزملاء الإداريين. وكنت وما أزال أؤمن بضرورة التعايُش مع النظم واللوائح والتعليمات بما تقتضيه الحال، بمعنى أنني كنت أخرج - أحيانًا - عن منطوق النظام؛ لأني أرى في الخروج عنه في تلك الأحيان مصلحةً ظاهرةً، لا سيَّما بين الأساتذة والشباب. وقد قال الأصوليون: «مقاصدُ الأحكام مصالحُ الأنام». وهذه هي القاعدة التي كنت أتوخَّاها. فكنت أمثِّل مرؤوسيَّ لا رؤسائي. وهو منهج في الإدارة أؤمن به وأطبِّقه.

ومن المواقف التي خرجت فيها على النظام قصَّة الطالب المتأخر عن الاختبار. وقصَّةٌ أخرى تستحقُّ الذكر هنا وهي أنَّ مجلس الجامعة قد قرَّر حفظ سور من القرآن الكريم في كلِّ فصل دراسي، قبل تحوُّلها إلى مستويات. وكانت لجان الاختبار توفد المشايخ من قسم القرآن وعلومه بكلِّية أصول الدين. وقد تصل اللجان إلى أربع موزعة على (أ) و(ب) و(ج) و(د)، ويوزَّع عليها الطلاَّب هجائيًّا.

فلمَّا بدأت اللجان أعمالها وفد عليَّ طالبٌ من طلاَّب المنح الداخلية اسمه «أسامة»، ونقل لي أنَّ أعضاء اللجنة «أ» شديدون، وطلب مني تحويله إلى لجنة «ب»؛ لأنهم أيسر، فكتبت وريقةً للَّجنة «ب» أنْ يختبروه فاختبروه. وعندما نادت لجنة «أ» على «أسامة» قيل لهم: إنه اختبر في لجنة «ب» بتوجيه من الوكيل. ففزع أحد أعضاء اللجنة «أ» إلى أخي عميد الكلِّية محتجًّا على هذا الإجراء، وأنَّ المسألة «ليست لعبة»! فهاتفني أخي عميد الكلِّية متثبِّتًا من صنيعي «غير النظامي»، فأجبته بأنني أنا الذي حوَّلته إلى لجنة «ب» بناءً على طلبه، فوجَّه بإعادته إلى لجنة «ألف» فأجبته بـ«سمّ».

ويشاء الله تعالى أنْ أرى الطالب في الممرِّ، فأطلب منه التوجُّه إلى لجنة «أ» للاختبار، فأبدى انزعاجًا، فقلت له: ما عليك، اذهب واختبر، فذهب واختبر. وفي الوقت نفسه طلبت من اللجنة «ب» أنْ تلغي مشكورةً نتيجة «أسامة»، فألغت النتيجة دون أيِّ اعتراض وبمرونة تُشكر عليها. فنظرت لموقف اللجنة «ب» على أنه تقدير لوجاهة وكيل الكلِّيَّة. أمَّا موقف اللجنة «أ» فكان يسير مع النظام، وحقٌّ لها أنْ تعترض.

لم يتوقَّف هذا الموقف عند هذا الإجراء، بل تبيَّن فيما بعد أنَّ الطالب «أسامة» لم ينجح في اللجنة «ب» التي طلب التحويل إليها، ونجح - بفضل الله تعالى - في اللجنة «أ» التي طلب التحويل منها. ولم يعلم الطالب بنتيجته في اللجنة «ب»، ولم يعلم أحدٌ غيري حينها عن هذه العاقبة الحميدة. والحمد لله رب العالمين.

وموقف آخر يستحقُّ الذكر، وهو أنه قد دخل عليَّ طالب مبتدئ مقبول بكلِّية لم يرغب في الدراسة فيها. وبعد أنْ سلَّم ذكر لي أنه ليس عنده واسطة ولا يعرف أحدًا يتوجَّه له، وهو يريد الانتقال إلى كلِّية العلوم الاجتماعية. وكان قد جهَّز كلامًا قد يكون أشدَّ مما تقدَّم به. فطلبت منه أن يذهب لشؤون الطلاَّب

ويحضر أنموذج النقل لأوقِّع على قبوله، فلم يصدِّق هذه المبادرة، فقلت له: اذهب، فذهب ووقَّعت له أنموذج النقل دون أي نقاش. فخرج من عندي وهو غير مصدِّق؛ إذ يبدو أنه قد قدم بانطباع لديه أنَّ طلبه الانتقال لن يُقبل.

وفي الكلِّية وفَّقني الله تعالى إلى بناء علاقات أخوية مع الزملاء في جميع الأقسام العلمية، حيث كنت أتردَّد عليهم في الأقسام، ولا أقتصر على البقاء في مكتب الوكيل، وأتلاطف معهم وأستفيد منهم. وكذا الزملاء في القسم الإداري بالكلِّية.

ويأتي على رأس الزملاء في الشؤون الإدارية الوالد الوقور الحكيم الشيخ «عبدالعزيز بن ناصر التويجري» «أبو ناصر» – رحمه الله تعالى –، الذي كنَّا نتعامل معه على أنه والد، أكثر من كونه زميلاً في شؤون الطلاَّب؛ إذ إنَّ «الزميل» قليلة في حقِّه. وقد عُرف عنه – رحمة الله عليه – أنه كثيرًا ما يكون في صفِّ الطلاَّب الذين يحصل منهم تقصير، فيدافع عنهم لدى عمادة الكلِّية، ويقف في صفِّهم، متى ما اقتنع بأنَّ ما قاموا به من خطأ يستحق العفو. وكان هذا ديدنه – رحمه الله تعالى –، فكأنه كان ممَّن يمسكون العصا من الوسط. وكنا نتبارك بوجودنا معه وبوجوده بيننا، ولا نستغني عن توجيهاته وحكمته – رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً –.

ثمَّ يأتي بقية الزملاء من أمثال الزميل الأستاذ «عبدالرحمن بن عبدالعزيز النشوان» – رحمه الله تعالى –، الذي كان يدير الشؤون الإدارية، حتَّى قاده طموحه إلى أن يصل إلى أستاذ كرسي في الجغرافيا. والزميل الأستاذ «خالد بن عبدالعزيز المبارك»، وكان يعمل في شؤون الطلاَّب، ثم واصل طموحاته إلى أنْ وصل إلى ما كان يصبو إليه، أو دون ذلك. وما تزال العلاقة به قائمة على قدرٍ عالٍ من الودِّ والوفاء. والزميل «إبراهيم الخضر» الذي كان يعمل في مكتب العميد، ويواصل دارسته العليا حتى حصل على درجة الماجستير في التاريخ. ثم

استقال وعمل في تجارة الأجهزة المنزلية وأنشأ مع إخوته محلاًّ باسم «الشتاء والصيف» ثم تعدَّدت الفروع والأسماء - ما شاء الله تبارك الله -. والأخ العزيز «محمد بن عبدالسلام»، في الشؤون الإدارية، لكنه كان فاعلاً في الكلِّية من ذوي المهمَّات الإدارية المتعدِّدة.

والزميل الأخ «فهد بن محمد بن ناصر المعثم»، وكان اسم وظيفته أمين مستودع، إلا أنه تولَّى أمانة صندوق الكلِّية، حينما كانت الرواتب والمكافآت تصرف نقدًا. وقد حصلت سرقة للصندوق في وقته، فتأثَّر كثيرًا وتأثَّرنا معه كثيرًا، فطلب إعادته إلى أمانة المستودع، وهو اسم وظيفته الأصل.

والزميل الأستاذ «عبدالله العجالين» المبتسم دائمًا، وكان يعمل في شؤون الطلاب. والزميل الأستاذ «محمد عطيَّة» من شؤون الطلاَّب كذلك، وكان شبه مسؤول عن كشوف الغيابات بين الطلاَّب، فكثيرًا ما يلجأ له الطلاَّب؛ طمعًا في التجاوز عن بعض الغيابات.

استمرَّت العلاقة الأخوية مع أخي الأستاذ الدكتور «محمد سالم بن شديِّد العوفي» من خير إلى خير. وكنت ألتقي به في المجمَّع بالمدينة المنوَّرة، وأزوره في منزله بالمدينة المنوَّرة. وأكنُّ له التقدير والاحترام المستحقَّين.

أمَّا الفوائد والخبرات التي جنيتها من وكالة الكلِّية فهي رصيدٌ يُضاف إلى الأرصدة التي حفظتها عندي بذكراها الطيِّبة، بما في ذلك علاقاتي الطيِّبة مع زملائي وكلاء كلِّيات الجامعة.

ثانيًا: معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية بفرانكفورت:

ومن المحطَّات العملية العمل مع الأستاذ الدكتور «محمد فؤاد سزكين» (١٣٤٢ - ١٤٣٩هـ/ ١٩٢٤ - ٢٠١٨م) العالم المسلم التركي الأصل الألماني الجنسية الذي كتب «تاريخ التراث العربي». وفي ضوء التعريف الإجرائي للاستشراق لا يُعدُّ الأستاذ الدكتور «فؤاد سزكين» من المستشرقين، كما يؤكِّد

المفكِّر «عمر فرُّوخ»، برغم نظرة الأديب العربي «ميشال جحا» في تصنيف الأستاذ «فؤاد سزكين» بأنه مستشرق رغم كونه مسلمًا! وحجَّة الأديب «ميشال جحا» أنه «متى كان الدين عاملاً يدخل في الأعمال الأكاديمية والإبداعية؟»![(١)]

وكان في الوقت نفسه يدير معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية بفرانكفورت بألمانيا. وكنتُ بصحبة الأخوين الأستاذ الدكتور «عبدالعزيز بن إبراهيم العُمري» والدكتور «سعود بن عبدالعزيز التركي»، التحقنا خلالها بمعهد جوته لتعليم اللغة الألمانية، لكنهما اختصرا المدَّة وعادا إلى البلاد. واستمرَّ عملي معه بين سنة ١٤٠٥ وسنة ١٤٠٦هـ لسنة وثلاثة أشهر، كانت حافلة بالإنجاز والبحث الدؤوب في عيون التراث العربي الإسلامي، باللغتين العربية والألمانية، فقد تعلَّمت اللغة الألمانية إلى الدرجة التي أهلتني لقراءة كتب ومقالات باللغة نفسها - ولله الحمد والمنَّة -.[(٢)]

وتحتاج هذه التجربة لوقفة خاصَّة، إلا أنِّي تعلَّمت منه الصبر والتحمّل والرغبة الصادقة في الوصول إلى المعلومة الصحيحة، فقد كان باحثًا بمعنى الكلمة، ينسى العالم من حوله، ويُقفل عليه معهده، ويصول ويجول في مكتبة المعهد التي علَّق عليها لوحة كتب عليها «فيها كتب قيمة»، وكانت كذلك مكتبة انتقائية، لا يدخلها إلا ما يتماشى مع توجُّه المعهد في خدمة التراث الإسلامي.

---

(١) انظر: ميشال جحا. موقف الدكتور عمر فرُّوخ من الاستشراق والمستشرقين.- ص ٨١ - ٩٠.- والنصُّ من ص ٨٩. في: الاستشراق.- ع ٤ (شباط ١٩٩٠م).- بغداد: دار الشؤون الثقافية العامَّة، ١٩٩٠م.- ٢٢١ + ٣٩ ص. وأُعيد نشر هذا البحث بعنوان: عمر فرُّوخ والاستشراق.- الاجتهاد.- ع ٢٥ (خريف العام ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).- ص ١٣١ - ١٥١.- والنصُّ من ص ١٥٠ - ١٥١.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم النملة. حياة الأستاذ الدكتور مُحَمَّد فؤاد سزكين - رحمه الله - وعطاؤه العلمي من خلال ملازمة ذاتية، بحث مقدَّم للمؤتمر الدولي المُنعقد في الهند، الذي أقامه معهد الدراسات الموضوعية بمدينة نيو دلهي بعنوان: حياة ومساهمات البروفيسور فؤاد سزكين، خلال المدَّة من ٢٤ - ٢٥/ ربيع الثاني ١٤٤١هـ الموافق لـ٢١ - ٢٢/ ديسمبر ٢٠١٩م.

وربَّما «كانت فيه حدَّة مَن احتملها بلغ منه مراده»،[(١)] كما يصف «خليل بن أيبك الصفدي» (٦٩٦ - ٧٦٤هـ) في كتابه «الوافي بالوفيات» أحدَ المترجم لهم، وأحسب أني تحمَّلتها منه فبلغت منه مرادي وأكثر من مرادي. ورأيت معالي الدكتور «عبدالله بن عبدالمحسن التركي» يقدِّر هذا الموقف مني ويُشيد به وبإصرار الأستاذ «سزكين» على بقائي عنده مدةً أطول.[(٢)]

فقد دفعني الأستاذ «سزكين» إلى قراءة مجلَّداته التسعة عن تاريخ التراث العربي باللغة الألمانية، وكنت أدرس اللغة الألمانية في الصباح، وأعمل في المعهد بقيَّة اليوم، وكنت أسجِّل ملاحظاتي على الكتب، ثم أجلس معه في المعهد في عطلة نهاية الأسبوع أناقشه وأستفيد منه، وقد يكون أفاد منِّي؛ لأنِّي وجدتُ منه رغبةً صادقة في مواصلتي البحث معه، وألحّ على معالي مدير الجامعة الأستاذ الدكتور «عبدالله بن عبدالمحسن التركي» رئيس مجلس أمناء المعهد في تلك المدَّة، في تمديد إقامتي عنده.[(٣)]

وكنت حينها وأنا أقرأ في المجلَّدات التسعة بالألمانية أسجِّل ما يمرُّ عليَّ من العلماء الذين مارسوا مهنة الوراقة تكسُّبًا في الغالب. وقد خرجت من هذه الطريقة بكتاب نشرتْه في طبعته الأولى مكتبة الملك فهد الوطنية. ثمَّ طوَّرتُه ونشرتْه دارة الملك عبدالعزيز في أربعة أجزاء.[(٤)] وما كان له أنْ يُنشر لولا تبنِّي معالي أخي الدكتور «فهد ابن عبدالله السماري» نشره بإصرار منه على كونه

---

(١) انظر: خليل بن أيبك الصفدي، صلاح الدين. الوافي بالوفيات.- مرجع سابق.- ٦: ٣٧٢ - ٣٧٣، ترجمة ٢٨٧٣.- (أحمد بن الخصيب الجرجائي، أبو العبَّاس الوزير).- (سلسلة النشرات الإسلامية؛ ٦).

(٢) انظر: عبدالله بن عبدالمحسن التركي. لمحاتٌ من الذاكرة.- مرجع سابق.- ص ٥٢٧.

(٣) انظر: علي بن إبراهيم النملة. العمل مع الأستاذ الدكتور مُحَمَّد فؤاد سزكين - رحمه الله تعالى -: تجربة علمية ذاتية.- ١٢ ص.- وأعيد نشر البحث، بعد اختصاره بحذف المقدِّمة وقائمة المراجع. انظر: علي بن إبراهيم النملة. تجربتي العلمية مع فؤاد سزكين.- مجلَّة الفيصل.- ع ٥١٣ و٥١٤ (١١ و١٢/ ١٤٤٠هـ - ٧ و٨/ ٢٠١٩م).- ص ١٣٦ - ١٤٠.

(٤) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الوراقة والورَّاقون في الحضارة الإسلامية.- مرجع سابق.- ١٢٠٠ ص.

داخلاً في اهتمامات الدارة. ومعالي أخي الدكتور «فهد» لا يُجامل في أعمال الدارة واهتماماتها ونشرها.

وعندما انتقلت عضوية مجلس أمناء المعهد بفرانكفورت إلى معالي الأستاذ الدكتور «رضا عبيد» مدير جامعة الملك عبدالعزيز بجدَّة، عضو مجلس الشورى بعد ذلك، طلب منه الأستاذ الدكتور «فؤاد سزكين» أنْ ينقلني من جامعة الإمام إلى جامعة الملك عبدالعزيز، ثم يوفدني إليه في فرانكفورت. ذكر لي ذلك معالي الدكتور «رضا عبيد» عندما زاملته في مجلس الشورى، في دورته الأولى ١٤١٤ - ١٤١٨هـ.

وكان عملي مع الأستاذ الدكتور «فؤاد سزكين» - رحمه الله تعالى - هو انطلاقتي المركَّزة للاهتمام بالاستشراق والمستشرقين، فقد بدأت بجمع ما كُتب عنهم باللغة العربية من الكتب والدوريات الموجودة في مكتبة المعهد، ثم تابعت ذلك الرصد بعد عودتي إلى الرياض في نهاية سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٩٥م، ورصدت جملةً منها نشرتها مع مقدِّمة ضافية عن الاستشراق في مفهومه ودوافعه وأهدافه ووسائله.[(١)]

ونشر هذا العمل أوَّلاً مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية،[(٢)] ثم بالمراجعة والإضافات «فتَّتُّ» هذا العمل ونشرته في ستَّة كتب،[(٣)] بحيث تكون مشروعات مستقلَّة قائمة بذاتها، قدَّمت لكلِّ واحدٍ منها بمقدِّمة موضوعية، غير تلك التي كانت مع العمل الأول، تلك المقدِّمات طوَّرتها وأصدرتها نفسَها على شكل مقالات علمية نُشرت في دوريات مختلفة،[(٤)] ثم نشرتها في عمل مستقلٍّ.[(٥)]

---

(١) انظر: كُنه الاستشراق: المفهوم - الأهداف - الارتباطات.- ط ٣.- بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.- ٣٠٢ ص.

(٢) انظر: الاستشراق في الأدبيَّات العربية: عرض للنظرات ورصدٌ وراقي للمكتوب.- الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.- ٣٧٠ ص.

(٣) انظر: كُنه الاستشراق: المفهوم - الأهداف - الارتباطات.- مرجع سابق.- ٣٠٢ ص.

(٤) انظر: كُنه الاستشراق: المفهوم - الأهداف - الارتباطات.- المرجع السابق.- ٣٠٢ ص.

(٥) انظر: مراجعات في نقد الفكر الاستشراقي حول الإسلام والقرآن الكريم والرسالة.- ط ٢.- بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.- ٣٠٢ ص.

وفي أثناء عملي في المعهد عقد مجلس أمناء المعهد برئاسة معالي الدكتور «عبدالله بن عبدالمحسن التركي» جلسةً اعتيادية، طلب مني الأستاذ الدكتور «محمد فؤاد سزكين» حضورها والاستماع لما يدور فيها من نقاش، دون أنْ يكون لي حقُّ التدخُّل والتصويت من باب أولى. ثم شرَّفني معالي الدكتور «عبدالله بن عبدالمحسن التركي» في السكن الملحق بالمعهد، وكان غرفةً صغيرة. فكان بيننا حوار لم يخلُ من الشفافية والوضوح والبعد عن القيل والقال، ثم الاستماع بعد ذلك إلى توجيهات معاليه. والحمد لله ربِّ العالمين.

وفي ألمانيا كنت أتردَّد بين سنتي ١٤٠٥هـ - ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥ - ١٩٨٦م ومعي أهلي على المركز الإسلامي في فرانكفورت، وأحرص على صلاة الجمعة فيه، ثم درس السبت والأحد. وكنت من بين الحضور ولا أتسرَّع في المناقشات والمداخلات. وكان في المركز شخصٌ كبير في السنِّ له كلمة على القائمين على المركز. ولعله ارتاح لي وقرَّبني، وطلب من القائمين على المركز الإفادة من وجودي بينهم. ومنذ ذلك الحين أصبح لي نشاط متواضع مع المسلمين في ألمانيا، شمل حضور المؤتمرات والندوات والمخيَّمات وإلقاء الكلمات والدروس.

ثالثًا - مكتب معالي مدير الجامعة:

العمل بمكتب معالي الأستاذ الدكتور «عبدالله بن عبدالمحسن التركي» مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية مستشارًا مع الصديق الصدوق الدكتور «إبراهيم بن محمد أبو عباة».

وقد بدأت العلاقة العملية مع معالي الشيخ الفاضل الأستاذ الدكتور «عبدالله بن عبدالمحسن التركي» منذ أن تعيَّنت معيدًا بكلية اللغة العربية سنة ١٣٩٤هـ وكان عميدَها، واستمرَّت العلاقة بعد أنْ انتقل من الجامعة وزيرًا للشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وكان أوَّل وزير لها عند إنشائها

سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، وضُمَّت الأوقاف لها من وزارة الحجِّ والأوقاف، التي أضحت وزارةً للحج والعمرة. ثم انتقاله أمينًا عامًّا لرابطة العالم الإسلامي بمكَّة المكرَّمة ثم مستشارًا بالديوان الملكي.

وقد أفدتُ من معاليه كثيرًا من الصفات، التي تنبئ عن فكر عميق وإدارة حازمة، وغيرة على الدين والبلاد، وبُعد نظر لم يدركه غيره إلا القليل، وشعرت أنه أولاني عناية خاصة، أدين له بها وبما أوصلتني إليه. وما تزال الصلة قائمةً بفضل الله تعالى هي صلة الابن بأبيه والتلميذ بشيخه، وإنْ اعتراها قدر من التقصير في حقِّه من جانبي. وكتبت عنه شيئًا من قدره عندي - وهو لا يرغب في المديح والثناء - وقرأتها في الاحتفاء به في ثلوثية د. «عمر بامحسون» بالرياض، ولذلك كتبت عني نفسي وعلاقتي بالأستاذ الدكتور «عبدالله بن عبدالمحسن التركي»، مبديًا أثره البالغ والواضح عليَّ. ونشرتْها مجلَّة أسرة التركي «صلة» بعد مراجعتها والإضافة عليها.(١)

وقد شرفت وأخي الصديق الصدوق الدكتور «إبراهيم بن محمد أبو عباة» بالعمل لمعالي الدكتور «عبدالله بن عبد المحسن التركي» ومعه ومرافقته في رحلات خارجية، كان يسعى فيها موفدًا من خادم الحرمين الشريفين الملك «فهد بن عبدالعزيز» - رحمه الله تعالى - إلى لمِّ شمل المسلمين وتوحيد الصفِّ بينهم، لا سيَّما مع احتلال حزب البعث بالعراق للكويت ليلة الخميس ١١/ ١/ ١٤١١هـ الموافق لـ٢/ ٨/ ١٩٩٠م، وظهور انشقاق بين بعض القيادات العربية والإسلامية في الموقف من هذا الحدث، وتدخُّل القوَّات الأجنبية بقيادة الولايات المتَّحدة الأمريكية، بدعوةٍ من دول الخليج العربية.(٢)

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. أثر الأستاذ في تلاميذه.- مجلَّة الصلة.- ع ١٥ (١٤٣٤هـ).- ص ٧ - ٩.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الصراع العربي في الكويت: فرض الأفكار قسرًا.- الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.- ٢١٥ ص.

جاء الانشقاق من بعض القيادات العربية والإسلامية على صورة تشفٍّ وشماتة بمنطقة الخليج العربية وبقياداتها وبأهلها. وكان التشفِّي والشماتة واضحين من بعض من سبق لهم العمل في المنطقة، ومن بعض من استفادوا من الثراء الذي خلَّفه الذهب الأسود من المنتمين للتنظيمات والجماعات وبعض الأفراد والحكومات، الذين خرجوا من منطقة الخليج العربية بانطباعات لم تكُن حسنة «إيجابية»؛ لأسباب تستدعي النظر.

ولكنَّ ذلك كلَّه قد نُسي، فوضعوا أيديهم بأيدي الحزب المحتلِّ للكويت، على اعتبار أنه سيحقِّق الوحدة العربية، التي عجز عن تحقيقها مَن قبله من القيادات التي نادت بالقومية العربية، ومجَّدت العروبة بقدر من المبالغة، لم تتحمَّله العروبة نفسها. وكان ذلك الميل كلُّه بحجَّة رفض تدخُّل القوَّات الأجنبية في المنطقة.

ومن لم يقف مع حزب البعث من بعض الدول والجماعات لم ينصر دول الخليج في محنتها، وكأنَّ موقف بعضهم يُترجم بالقول: لم آمر بها ولم تسؤني!

وكنت أثناء عملي بمكتب معالي مدير الجامعة قد تعرَّفت على ثلَّةٍ من الرجال المخلصين، الذين يعملون بدأب وتفانٍ. ومنهم شيخي الأستاذ «عبدالرحمن الموسى» مدير المكتب وحافظ السرِّ البعيد عن الأضواء. وكان أنموذجًا للعاملين بصمت، المقتنعين بثقةٍ بما يبذله معالي المدير في مصلحة الجامعة والبلاد والقيادة.

ومنهم الأخ الصديق «إبراهيم بن عبدالله المقوشي» السكرتير المباشر. وكان يهشُّ في وجوه المراجعين ويتلطَّف في التعامل معهم. ومثله في هذا الأخ الصديق أبو الوليد «منصور البرغش» الذي صحبته في رحلات برفقة معالي الدكتور مدير الجامعة. والأسفار تعرِّف بالرجال. والأخ «خالد بن عبدالله بن زايد»، وورد ذكره - رحمه الله تعالى - والأستاذ «عبدالله الرشيد» الذي كان يحمل همَّ

المكتب. والأستاذ الفاضل «محمد الشبانة» الذي واصل العمل مع من تبع من معالي مديري الجامعة، والأستاذ «حمد المنصور» الذي أولاني عنايةً وتقديرًا. هذا بالإضافة إلى بعض الزملاء العاملين في إدارة الجامعة من المذكورين دائمًا بالخير.

وقد صحبتُ أنا والصديق الدكتور «إبراهيم بن محمد أبو عباة» معالي الأستاذ الدكتور «عبدالله بن عبدالمحسن التركي» باقتناع منه إلى اثنتي عشرة دولة أفريقية في أسبوعين لبيان الموقف السعودي من أزمة الخليج، بصحبة معالي الأستاذ «حامد الغابد» أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامي في حينها (منظَّمة التعاون الإسلامي فيما بعد) والأستاذ «عبدالرحمن المازني» والأستاذ «بابكر نيانج» من منظَّمة المؤتمر الإسلامي، وكانت تلك الجولات لبيان موقف المملكة العربية السعودية من غزو حزب البعث في العراق للكويت.

وكان معالي الأستاذ «حامد الغابد» يستغل هذه الرفقة الطيِّبة ويناشد المسؤولين في تلك الدول أنْ يدفعوا اشتراكاتهم للمنظَّمة. وقد علمت أنَّ قيمة الاشتراك السنوية كانت زهيدةً، وهي أقرب إلى الرمزية! فتأكَّد لي كذلك أنَّ دولة المقرَّ المملكة العربية السعودية هي التي تتبنَّى ميزانية المنظَّمة والمنظَّمات والهيئات الأخرى المقيمة على أرضها.

والطريف في تلك الزيارات أنَّ المراسم عند أحد رؤساء الدول استبعدوني والزميل الدكتور «إبراهيم أبو عباة» من مرافقة الوفد إلى مقابلة رئيس الدولة. فلما علم رئيس الوفد معالي الدكتور «عبدالله بن عبدالمحسن التركي» أصرَّ على مرافقتنا للوفد، وأنه قد يعتذر عن المقابلة إذا لم نكن مع الوفد. فأذعنت المراسم ورافقنا الوفد لزيارة الرئيس. ولم نكن نعلم بهذا الموقف، ولم يُذكر لنا في حينه، بل أباح به معالي الدكتور «عبدالله بن عبدالمحسن التركي» في كتاب خاصٍّ محدود الاطلاع صدر له أخيرًا فيه لمحات من ذكرياته.[1]

---

(١) انظر: عبدالله بن عبدالمحسن التركي. لمحاتٌ من الذاكرة.- مرجع سابق.- ص ٢١٣.

ثـم صحبت الأستاذ الدكتور الشيخ «صالح بن غانم السدلان» - رحمه الله - إلى ألمانيا وبريطانيا؛ لبيان الموقف من أزمة الخليج. ولقينا من هذه الزيارة عنتًا من إخوتنا المسلمين المنتمين إلى بعض الجماعات هناك ومن بعض البعثيين والقوميين، وصحبت مع آخرين معالي الدكتور «عبدالله بن عبدالمحسن التركي» إلى فرنسا وألمانيا للغرض نفسه.

وكان مقصدنا من المواجهة الإقناع بما تعلَّمناه من مشايخنا وعلمائنا، وليس الانتصار. والإقناع يحصل منه الانتصار، وليس العكس. وهذا منهج المواجهة، ولم يكن المقصد أنْ يظهر منا غالبٌ ومغلوبٌ، فذاك منهج المجابهة. وكأنَّ منهجنا في هذا ما يؤثَر عن الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - أنه عند النقاش مع الآخرين يتمنَّى أنْ يكون الحقُّ معهم فيتَّبعهم. وأحسب أنَّ هذا الموقف يمثِّل قمَّة الموضوعية والبحث عن الحكمة.

ووجدت معالي الشيخ الدكتور «عبدالله بن عبدالمحسن التركي» يفردني في وقفة خاصَّة في كتابه الخاص «لمحات من الذاكرة»،[1] ويذكر عني من الثناء ما لا أرى نفسي فيه، ويضعني في مصافِّ رجال تركوا أثرًا. وكان من فراسته أنه يؤمِّل في الشخص شيئًا، فيمنحه من الاهتمام ما يعين على ما يؤمِّله فيه. فأرجو أن أكون من أولئك الذين يرقون إلى ما أمَّله معاليه فيهم. وجزاه الله عني وعن الجميع خير الجزاء.

رابعًا: الملحقية الثقافية بواشنطن:

العمل مديرًا للشؤون الدراسية بالملحقية الثقافية السعودية بواشنطن سنة ١٤٠٨ - ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ونائبًا للملحق الثقافي، تحت إدارة الملحق الثقافي معالي الدكتور «حمد بن إبراهيم السلُّوم» (٠٠٠٠ - ١٤٢٨هـ) - رحمه الله تعالى - الذي تسلَّم بعد ذلك إدارة معهد الإدارة العامة بالرياض.

---

(١) انظر: عبدالله بن عبدالمحسن التركي. لمحاتٌ من الذاكرة.- المرجع السابق.- ص ٥٢٧ - ٥٢٨.

كان الملحق الثقافي «حمد بن إبراهيم السلُّوم» - رحمه الله تعالى - قد طلب من الجامعة بالاسم زميلي وصديقي معالي الدكتور «ناصر بن عبدالعزيز الداوود»، وكيل كلِّية العلوم الاجتماعية للدراسات العليا والبحث العلمي حينها، مدير عام التعليم بمنطقة الرياض ثمَّ وكيل إمارة الرياض بعدها، فعضو مجلس الشورى ثم نائب وزير الداخلية.

وهو رجلٌ عمليٌّ موثوقٌ ومتفانٍ في خدمة دينه ووطنه وقيادته. واستعدَّ الدكتور «ناصر» للسفر وقطع التذاكر وأنهى التأشيرات له ولأهله. إلا أنه في اللحظات الأخيرة قبل السفر أوحى إليه والده الشيخ «عبدالعزيز بن عبدالله آل داوود» (٠٠٠ - ١٤٠٨هـ) - رحمه الله تعالى - بعدم ارتياحه لسفره هذا، رغم أنها لم تكن الأولى للدكتور «ناصر» في السفر إلى الخارج، فقد أنهى دراساته العليا في التربية في أمريكا.

عندما أبدى الدكتور «ناصر» رغبته في الانصياع لطلب والده ظهر على معالي مدير الجامعة نوعٌ من التضايُق والانزعاج، وبحث عن البديل، فكنت ذلك البديل. واستشرت أهلي فما تمنَّعوا، وإنْ يكن في خاطر الوالدين - رحمهما الله تعالى - البقاء بجوارهما بعد سنين من الغربة عنهما، لا سيَّما بعد فقد الأخ الأكبر «عبدالله» - رحمه الله تعالى - في حادث سقوط طائرته العمودية في البحر الأحمر.

في هذه الأثناء كان منزل» آل داوود» في سلطانة جنوب غرب الرياض يخضع للترميم، وكان الشيخ العم «عبدالعزيز» - رحمه الله تعالى - يتابع هذا الجُهد ويُشرف عليه، فأراد الله تعالى له أنْ يسقط الوالد في خزَّان المنزل السفلي، فيموت غريقًا شهيدًا - بإذن الله تعالى - في ٧/ ١١/ ١٤٠٨هـ، وكان الذي وقف على هذا الحدث هو معالي الدكتور «ناصر» نفسه، فعثر على أبيه - رحمه الله تعالى - غريقًا في خزّاَن البيت السفلي.

وكنت أنا الذي نقلت هذا الخبر لمعالي مدير الجامعة، فأدرك سرَّ هاجس الوالد «عبدالعزيز» في عدم سفر ولده «ناصر»، فذكر الله تعالى وترحَّم على العمِّ «عبدالعزيز آل داوود».

وقد أخذت عن معالي الدكتور «حمد بن إبراهيم السلُّوم» - رحمه الله تعالى - حبَّه للعمل، وتقديمه إياه على شؤون أخرى في حياته. وصحب ذلك كله إخلاصه وحرصه الشديد على طلاَّب البعثة، ورغبته الواضحة في تذليل العقبات التي تعترضهم من المكتب ومن غيره، وسانده في هذا كثيرًا صاحب السمو الملكي الأمير «بندر بن سلطان ابن عبدالعزيز» سفير المملكة العربية السعودية في واشنطن في حينه، الذي ذكر في أوَّل لقاء له مع طلبة البعثة أنَّ ثمانين بالمئة (٨٠٪) من مهمَّته وهمومه واهتماماته منصبَّةٌ على الطلبة المبتعثين، وكان كذلك على كثرة مهمَّاته وهمومه واهتماماته.

فجعلني معالي الملحق في البدء مسؤولاً عن العلاقات العامَّة والإعلام، كما صرَّح لي بشفافية أنني لم أكن الشخص المطلوب، فشرحت له سبب إحلالي محلَّ معالي الأخ الزميل الدكتور «ناصر»، حتَّى تبيَّن له أنه يمكن الإفادة مني في مجال أكثر أداءً وحساسية من العلاقات العامَّة، وهو خدمة الطلبة المبتعثين خدمة مباشرة. ولعلِّي قد «بيَّضت» وجهه - رحمه الله تعالى - أمام سمو السفير وأمام الطلاَّب.

في هذه الأثناء تعاونتُ مع إدارة الشؤون الإسلامية بالسفارة بدعوة من الزملاء العاملين بالإدارة، وكانت لي وقفات مع هذه الإدارة لم تعجب بعض إخوتي العاملين بها. فقد كنت أتعاون مع زميلين كانا طالبين في الدراسات العليا هما الزميلان العزيزان الدكتور «عبدالله بن عبدالرحمن الجحلان» والدكتور «عبدالمحسن بن سعد الداوود» مع الإدارة بعد الانتهاء من دوامي بالملحقية الثقافية، أي بعد الخامسة مساءً إلى الثامنة تقريبًا. وكان تعاونًا وديًّا لم يكُن قائمًا على عقد أو مقابل.

وفي هذه الأثناء أيضًا صدر قرار معالي مدير الجامعة الأستاذ الدكتور «عبدالله بن عبدالمحسن التركي» بتكليفي بالعمل مديرًا لمعهد الدراسات العربية والإسلامية، الذي أنشئ في منطقة واشنطُن العاصمة. وهذا يعني أنْ أترك عملي في الملحقية الثقافية التي سرت فيها سيرًا طيِّبًا، مما أحدث ضيقًا واستغرابًا لدى الملحق الثقافي - رحمه الله ، بعد أنْ نلت ثقة معاليه الذي لم يكن يتوقَّع أنْ أكون أنا من كان يسعى إلى استقطابه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

بدأت العمل بتأسيس المعهد من قسم الشؤون الإسلامية بالسفارة أضع التصوُّر عن المعهد، واستقطبت له الأخوين الأستاذ الدكتور «عبدالعزيز بن إبراهيم بن سليمان العُمري»، الذي تعرَّفت عليه عن كثب في ألمانيا، فقد ترافقنا للعمل في معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية بفرانكفورت، والزميل الأستاذ الدكتور «عبدالرحمن بن عبدالعزيز النشوان» - رحمه الله تعالى - الذي عملت معه في كلية العلوم الاجتماعية بالرياض، وكان يشغل مدير الشؤون الإدارية قبل أنْ يواصل طموحاته بدراساته العليا.

وفي هذه الأثناء كذلك حصل إشكال وسوء فهم، نُقل فيه عني ما لم أقصده، وإنْ كنت قد قلته بعفوية، وله علاقة بتبعية المعهد، فوجدتُّ أنَّ المعهد ربما تأثَّر وتعثَّر من هذا الإشكال، فحاولت اللقاء بسمو السفير الأمير «بندر بن سلطان» لشرح موقفي، ولكن مدير مكتب سموه لم يجد الوقت عند سموه لمقابلتي فماطلني، وكان في ذلك خيرٌ كثيرٌ لي؛ لأني كنت في حال نفسية صعبة، قد تقودني إلى أنْ أظهر بصورة أو أتلفَّظ بعبارة غير مناسبة أمام سمو الأمير السفير. وما أزال أشكر مدير المكتب - من بُعد فلم أقابله بعدها - على عدم إعطائي الفرصة لمقابلة سمو السفير، ونعمت المماطلة في هذا الموقف لا في غيره، فجزاه الله عني خير الجزاء.

هاتفت معالي مدير الجامعة «عبدالله بن عبدالمحسن التركي» طالبًا إعفائي من إدارة المعهد. وأحدثَتْ رغبتي هذه في تسليم المعهد لغيري انزعاجًا للمدير قبل أنْ يعلم بملابسات الطلب وأسبابه، فأوفد ثلاثة من زملائي للعمل على إنشاء المعهد، وهم الدكاترة «خالد بن عبدالله العجيمي»، و«صالح بن حسين العايد»، و«محمد بن خالد الفاضل» من كلية اللغة العربية، فسلَّمتهم العهدة التي لم يتكوّن منها شيء بعد، ثم طلبت إجازة مستحقَّة من الملحق الثقافي، عملت فيها على إنهاء بحث للتعزيز للترقية إلى أستاذ مشارك، وأقفلت على نفسي البيت الصغير (*townhouse*) في مدينة «الإسكندرية» في ولاية فيرجينيا على مشارف العاصمة واشنطن، وبسطتُ أوراقي وجذاذاتي حتى أنهيت مشروع التعزيز للترقية.

ولم ألقَ معاليه بعد عودتي للبلاد لأشرح له موقفي المفاجئ؛ حيث سافر معاليه إلى هناك، واطّلع على أكثر مما اطّلعت عليه من بعض الممارسات الإدارية التي لم تكن بالضرورة مناسبة، فعذرني وقدَّر موقفي، واستدعاني بعد عودته وأفهمني بأنه قد تفهَّم الموقف، فلا تثريب عليَّ، إلا أنني أكَّدت لمعاليه أنني لا أبرئ نفسي؛ إذ إنَّ النفسَ لأمَّارةٌ بالسوء.

وفي هذه الأثناء كذلك أبديت للملحق الثقافي عدم رغبتي في التجديد لسنة أخرى، ومن ثمَّ رغبتي في العودة إلى الوطن، فقد أبدت لي الوالدة - رحمها الله تعالى - عدم ارتياحها لفراقي، لا سيَّما عندما علمت بتكليفي بإدارة المعهد، وأنني ربَّما أمضي سنواتٍ طوالاً في الغربة، زيادةً على ما أنفقته زمن الدراسة. وكانت قد أوعزت لي أنْ استقرَّ بين أهلي، لا سيَّما بعد فقد أخي «عبدالله» - رحمه الله تعالى - غريقًا شهيدًا - بإذن الله -. فآثرت العودة، متمثِّلاً قولَ الشاعر مرَّة ثالثة:

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعْهُ ... وَجَاوِزْهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ

أحدث هذا الطلب انزعاجًا شديدًا للملحق الثقافي - رحمه الله تعالى -؛ إذ إنني عملت مديرًا للشؤون الدراسية، وتعاملت مع الطلاب المبتعثين مباشرة، وكان بيني وبينهم تفاهُم وتعاوُن وتناغُم، فقد كنت أتَّبع أسلوب تمثيلهم أمام الملحقية الثقافية، لا تمثيل الملحقية الثقافية أمامهم. وهذا نهجٌ إداري سرتُ عليه منذ بدأت العمل وكيلاً لكلية العلوم الاجتماعية ممثِّلاً للطلاب أمام الكلية، لا ممثِّلاً للكلية أمام الطلاَّب. وبدت لي نتائجه من خلال الدعاء والذكر الحسن، الذي تركته في نفوس أولئك الطلاب الذين أضحوا قيادات علمية وإدارية في البلاد - ولله الحمد والمنَّة -.

وفي هذه المدَّة التي عشتها في واشنطن تعرَّفت على عدد من السعوديين والعرب المسلمين وغير المسلمين. وممن تعرَّفت عليهم عددٌ ممن قدموا إلى واشنطن للعلاج. ومن بينهم الأخ «إبراهيم السويِّل» - رحمه الله - والأخ «تركي ابن علي العقلا» والأخ «خالد الفوطة القحطاني» - رحمه الله - الذين جمعتني بهم مودَّة وتبادُل في اللقاءات المتكرِّرة. وكان كلٌّ منهم قد قدم إلى واشنطن لزراعة كلية أو كبد.

وكانوا في قائمة الانتظار التي تطول. فتأهَّلوا ودرَّسوا أولادهم بالأكاديمية السعودية. وعاشوا عيشة الانتظار لسنين. وهم في الوقت نفسه يمارسون حياتهم اليومية، ويأملون وينتظرون الاتِّصال من المستشفى. وما أضيق العيش لولا فسحة الأمل.

توطَّدت العلاقة معهم ومع غيرهم. وتعارف الأهل مع بعضهم. وكانت بيننا تبادُلات في الزيارات والطلعات للحدائق. وكان الأخ «إبراهيم السويِّل» من المبادرين في إيجاد جوٍّ أسْري بيننا، وكان ينقل غسيله الكلوي معه، حيث يلوذ عنا، ويقوم بعملية الغسيل بنفسه ولمدَّة قصيرة. عظَّم الله أجره. حتى وصله اتِّصال من المستشفى بتوفُّر كُلية، ليذهب فتُزرع له، وتكون للزراعة مضاعفات

تنتهي بوفاته - رحمة الله عليه رحمةً واسعةً - فقد كان صابرًا محتسبًا. وترك خلفه زوجته الصابرة وابنين وثلاث بنات.

خامسًا: الهيئة العامَّة لاستقبال التبرُّعات للمجاهدين الأفغان:

العمل مديرًا عامًّا للمكتب التنفيذي للهيئة العامة لاستقبال التبرعات للمجاهدين الأفغان، تحت إشراف صاحب السمو الملكي أمير منطقة الرياض سابقًا، خادم الحرمين الشريفين الملك «سلمان بن عبدالعزيز»، وقد أفدت من سموه حبَّه للعمل واحترامه للوقت وتفانيه في خدمة البلاد، وحبه كذلك للخير ولعمل الخير بصورة منظَّمة وواضحة، فيها ضمان لاستمرار فعل الخير. وله بصماته الواضحة على المستويات المحلِّية والإقليمية والعالمية.

وأفدت من سموه كذلك في دقَّة المواعيد، والرغبة في الإنجاز ورفع سمعة المملكة العربية السعودية، وتجنيبها أيَّ سوء فهم. ولقد منحني ثقته ودعمني في مهمَّتي، ووجَّهني إلى الخير الذي عُرف عنه، ومنحني من الصلاحيات وزاد عليها، ما أوحى إليَّ بأنه كان مرتاحًا لما كنت أقوم به من مهمَّات في مجال الإغاثة.

وعندما طلبت منه توجيهاته لأداء العمل الإغاثي وجَّهني بأنْ أشخص إلى سماحة الشيخ «عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز» - رحمه الله تعالى - مفتي عام المملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء، وكان بالطائف. وأمرني بأنْ أسير على ما يراه سماحته. فسافرت للطائف والتقيت بالشيخ - رحمه الله تعالى - في مكتبه وبيته، ووجَّهني بالاعتدال وتأليف القلوب، وحذَّرني بلطفه المعهود من الميل أو الإقصاء أو التمييز بين فصائل المجاهدين، في بذل ما لدى الهيئة من مشروعات رعاية اجتماعية وتنمية اجتماعية. فجزاه الله تعالى عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

وقابلت بعدها في الطائف أحد كبار العلماء استشيره - رحمه الله تعالى - في التعامُل مع الموقف، فكان رأيه ألا تُدعم الفصائل السبعة، بل تتَّحد كلُّها أوَّلاً

في تكوين واحد، يُتعامل معه رسميًّا وشعبيًّا. وما ظهر لي من رأيه أنه أراد أولاً توحيد هذه الفصائل المختلفة، وإجبارها على نبذ الفرقة بينها، لتركِّز جهودها على ما قامت من أجله، وهو إخراج المحتلِّ من أرضها. وأحسب أنه برأيه هذا يعالج مشكلة الافتراق، التي ما كان لها إلا أنْ تتشرذم أكثر فأكثر. فكان رأيه من الناحية النظرية هو الأقرب إلى الصواب، إلا أنَّ الحال لم تكن تسمح بالمزيد من التدخُّل، في ضوء طبيعة من يُتعامل معهم من قيادات تلك الفصائل.

عملت بين المملكة والباكستان وأفغانستان عملاً لعله من تلك الأعمال التي يحتسب فيها الأجر عند الله تعالى. ولا تعنيني التبعات الأخرى التي ظهرت واضحة بعد انقشاع الشيوعية عن أفغانستان، بل وانقشاعها عن الحياة الرسمية وتفتيت الاتِّحاد السوفييتي، راعي الشيوعية، وما ترتَّب على ذلك بعد ذلك من ظهور تنظيمات وجماعات أقلقت الوسط الإسلامي، ومن ثمَّ العالمي، فقد كانت أعمال الهيئة محصورةً في الجانب الإغاثي وحسب.

وقد تعاملت، في مكتب الهيئة وخارجه، مع عدد من الرجال جمعت بينهم خصال العمل الخيري المقرون بالإخلاص وحسن النية، أحسبهم جميعًا كذلك ولا أزكِّيهم على الله.[1] وكان المكتب الرئيسي في الرياض على شارع «صلاح الدين الأيوبي» في الملز شمال حديقة الملز أمام النادي الأدبي الثقافي في الرياض، بيتًا قديمًا صغيرًا متواضعًا، لكنه ترك في نفسي ذكرى غالية.

وفيه شعرت بآلام الظهر من كثرة الجلوس على الكرسي، وقلَّة النشاط الرياضي، فنظمت ما كنت أظنُّ أنها قصيدة، كان مطلعها: ظهري عليل قد شكا لي من الكرسي. فلمَّا عرضتها على الأخوين الناقدين الدكتور «إبراهيم بن محمد أبو عباة» والدكتور «حسن بن محمد الحفظي» لم يجاملاني بنقد القصيدة، وقالا لي ما مضمونه:

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الجهاد والمجاهدون في أفغانستان: وقفات تقويم.- الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.- ١٢٤ ص.

إِذَا لَـمْ تَـسْـتَـطِـعْ شَـيْـئًـا فَـدَعْـهُ   وَجَـــاوِزْهُ إِلَـــىْ مَـا تَـسْـتَـطِـيْـعُ

أما في بيشاور بالباكستان فقد كان للهيئة مكتب باسم لجنة الإغاثة السعودية، وكان فيها نخبة من الشباب المحتسبين، مع أنهم موظَّفون رسميون، لكنهم أدركوا الأهداف العليا للحال في أفغانستان، فعملوا بموجب هذه الأهداف. فكانت لي معهم صولات وجولات في مجال الإغاثة فقط. وما كان لهم ولا للمكتب دخل فيما يدور داخل أفغانستان، إلا ما يقتضيه المدُّ بالإغاثة.

وشملت الإغاثة الرعاية الاجتماعية بدعم المعوقين؛ بسبب الحرب وإنشاء دور الأيتام وبرامج الأسر المنتجة والعلاج للأرامل من زوجات المجاهدين، الذين قُتلوا في ساحات الحرب، وتُرجى لهم الشهادة في سبيل الله تعالى. تستوي اللجنة في هذه الإغاثة في ذلك مع بقيَّة الجمعيات الأخرى التي تعمل في الميدان.

وكانت الجمعيات الخيرية التي تعمل في الميدان على نوعين؛ الأولى من البلاد الإسلامية، وبالتركيز من بعض دول الخليج العربية، والثانية من البلاد الغربية، وغالبيتها تنصيرية، واجتمعت الجمعيات التنصيرية في مجلس تنسيقي يوحِّد جهودها ويوزِّع أدوارها. وكان المجلس باسم «أكبر» فكوَّنت الجمعيات الإسلامية مجلسًا تنسيقيًّا باسم «الله أكبر».

وفي إحدى زياراتي للمنطقة وجدت أنَّ اللجنة السعودية لم تنضمَّ للمجلس «الله أكبر»، فسألت عن الأسباب فلم أجدها مقنعةً، بل كانت من تلك التصرُّفات المتوجِّسة، التي تخشى من مثل هذه التجمُّعات من الناحية الفكرية، فقد كانت الساحةُ مجالاً للتباري في الأفكار، وكانت ساحةً مفتوحةً، بحيث كلٌّ هناك يغنِّي على ليلاه. فذهبت إلى موقع المجلس، وقدَّمت نفسي على أنني ممثِّلٌ للجنة الإغاثة السعودية.

التصنيف الفكري بدأ بين فصائل المجاهدين التي بلغت سبعة فصائل رئيسية، كان يقود كلٍّ منها «برهان الدين ربَّاني» و«صبغة الله مجدِّدي» و«محمد

محمدي» و«يونس خالص» و«عبد رب الرسول سيَّاف» و»قلب الدين حكمت يار» ثم «جميل الرحمن» الذي كان تحت قيادة «قلب الدين حكمت يار» (الحزب الإسلامي)، ثم أنشأ جماعة القرآن والدعوة في ولاية كُنَر، ثم بدأت الانشقاقات عن كلِّ فصيل، كعادة الأحزاب والجماعات التي لا ترى أنَّ غيرها أفضل منها.

وبمجرَّد ما يدبُّ خلاف بسيط بين رئيس الحزب أو الجماعة وأحد القيادات الفاعلة في الحزب ينفصل هذا القيادي، وينشئ حزبًا جديدًا خاصًّا به، ويلقى الدعم، فيزيد الانشقاق والشقاق، وينشغل الناس بأنفسهم، بدلاً من الانشغال بعدوِّهم المشترك. وقد تكون لعدوهم أيادٍ خفيَّةٌ عن طريق الاختراق في هذا الانشقاق والشقاق. وأكاد أجزم بهذا المنحى الذي يتكرَّر في مثل هذه البيئات والأجواء.

وقد ذكر لنا أحدُ القيادات الميدانية باسم «غلام الله» في ولاية كُنر وعلى مشارف مدينة أسعد آباد عاصمة ولاية كُنر، وكان من جماعة «حكمت يار»، وكنت مع وفد مصالحة بين جماعة «قلب الدين حكمت يار» ممثِّلاً لبقية الجماعات في هذا الشقاق مع جماعة «جميل الرحمن» - رحمه الله تعالى - ذكر لنا نحن الوفد أنَّ الذي فرَّقهم على هذه الحال إنما هي الربِّيَّة. ويقصد ضمان الدعم من الجهات الداعمة. وكان استقباله وإكرامه لنا بوجبة غداء في مخبأ تحت الأرض! وفي الطريق إلى هذا الموقع اصطفَّ عدد من الأفراد، وبينهم أطفال بنادقهم التي كانوا يحملونها كانت أطولَ منهم! ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله.

وفي مكتب الرياض ظهر لي أنَّ المكتب لا يستعين بمحاسب قانوني، في الوقت الذي تنهال به التبرُّعات على المكتب، لا سيَّما في أوقات بذل الخير، فيحتاج الوضع إلى متابعة محاسبية معتبرة تضبط الواردات والمصروفات. فسألت الشباب العاملين، فذكر لي أحدهم أنَّ لديهم محاسبًا قانونيًّا متبرِّعًا، لكن المكتب لم يفعِّل الإفادة منه؛ لعدم الحاجة إليه، على اعتبار أنَّ الثقة والأمانة

هـي التـي تسـيطر علـى مسـار المكتـب، وكانـت - بفضـل الله - كذلـك.

ولكنـي رأيـت ضـرورة وجـود محاسـب قانـوني يتابـع الـواردات والمصروفـات فيسير المكتـب علـى بصيـرة ومزيـد مـن التدقيـق، فبحثـت عـن المحاسـب القانـوني المتبرِّع واتَّصلـت بـه وضربـت معـه موعـدًا في مكتبـه في شـارع الأميـر «سـلطان بـن عبدالعزيـز» في العليـا بالريـاض.

واسـتقبلني المحاسـب القانـوني الدكتـور «إبراهيـم السـبيِّل» - رحمـه الله تعالـى - في مكتـب «المحاسـبون السـعوديون» بالعليَّـا بكلِّ أريحيـة معروفـة عنـه وعـن أهلـه. وشـرح لـي سـبب عـدم تفعيـل إشـرافه المحاسـبي علـى المكتـب، فرجوتـه أنْ يعـود ليحمـي المكتـب ويحمـي منـه.[1] إذ إنَّ التعاطـي مـع الأمـوال مظنَّـة الفسـاد، مـع تغليـب حسـن الظـن بالفئـة التـي تعمـل في المجـال الخيـري تحديـدًا، لكنـي مقتنـع أنَّ الشـيطان إنمـا يعمـل بقـوَّة بيـن هـذه البيئـات الطيِّبـة؛ ليوقعهـا في شـباكه ويفسـد عليهـا عملهـا المـراد بـه وجـه الله تعالـى والـدار الآخـرة. فاسـتمرَّ التعـاوُن مـع مكتـب الدكتـور «إبراهيـم السـبيل»، وأوفـد أحـد العامليـن معـه إلـى مكتـب بيشـاور لمتابعـة مصروفـات المكتـب الإغاثيـة والتنمويـة علـى اللاجئيـن الأفغـان في مدينتـي بيشـاور وكويتَّـا.

واسـتمرَّت العلاقـة الطيِّبـة مـع الدكتـور أبـي محمـد «إبراهيـم بـن محمـد السـبيل» إلـى تحريـر هـذه الخواطـر وإلـى أنْ يشـاء الله تعالـى لهـا أنْ تسـتمرَّ في جنَّـات الخلـد، إذ إنـه مـن الطاقـات الوطنيـة، التـي يحـرص المـرء علـى الاقتـراب منهـا. وقـد نظـم فيَّ قصيـدة ثنـاء ضمَّنهـا ديوانـه «همسـات حانيـة».[2]

وفي مكتـب الهيئـة بالريـاض ورد علـيَّ شـابٌّ يرغـب في جمـع التبرُّعـات للمجاهديـن، ويطلـب بطاقـة تعريـف، لكنـه اشـترط أنْ يأخـذ نصـف مـا يجمعـه؛

---

(١) توفِّي المحاسب والشاعر الوجيه «إبراهيم بن محمد السبيِّل» يوم الاثنين ١٢/ ٢/ ١٤٤٥هـ الموافق لـ٢٨/ ٨/ ٢٠٢٣م. رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً.

(٢) انظر: إبراهيم بن محمد السبيِّل. همساتٌ حانيةٌ: صور شعرية بين العامِّي والفصيح.- عنيزة: مركز صالح بن صالح الاجتماعي، ١٤٣٦هـ.- ص ١٩٣.

ليوصله بنفسه إلى الفصيل الذي يميل إليه ويقتنع به. فلمَّا سألته عن مدى جواز هذا الإجراء أخرج لي فتوىً مكتوبةً تجيزُ له هذا التصرُّف، وهي من عالم معتبر - رحمه الله تعالى - وأحسب أنه أعطاها إياه بموجب ما شرح له هذا الفتى من الحال، من وجهة نظره التي لا تخلو من صواب، وفيها انحيازٌ واضح لفصيل دون بقيَّة الفصائل، إلاَّ أنَّ الغاية لا تبرِّر الوسيلة، فلم تُصرف له البطاقة، استنادًا إلى توجيه سماحة الشيخ الوالد عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز- رحمه الله تعالى -.

وكان لي في أفغانستان شرف المشاركة في وفود الإصلاح بين الفصائل الأفغانية الموفدة من خادم الحرمين الشريفين الملك «فهد بن عبدالعزيز» - رحمه الله - وفُرق إصلاح أخرى محلِّية. وكان من أصعب ما يمكن أنْ يقوم به الشخص هو هذه المهمَّة؛ لأنه يتعامل مع فئة من الناس لهم طريقتهم في التعامُل مع الاختلافات. وكان يرأس الوفد معالي الأستاذ الدكتور «عبدالله بن عبدالمحسن التركي» وعضوية معالي الأستاذ الدكتور «محمد بن عبدالله العجلان» - رحمه الله تعالى - ومعالي الأستاذ الدكتور «صالح بن عبدالله بن حميد» وفضيلة الشيخ «عبدالله القصيِّر» وفضيلة الأستاذ الدكتور «فالح بن محمد الصغيِّر» وسعادة السفير «محمد بكر» وسعادة الأستاذ «عبدالله الشبانة». وقد أكون نسيت بعض أعضاء الوفد، وكنت بمعيَّتهم بصفتي مديرًا عامًّا للهيئة.

ويقتضي الصلح أنْ يكون هناك وثيقة له توقِّع عليها الأطراف المختلفة، وكنت أكتب الوثيقة بخطِّ اليد ليوقِّع عليها الجميع. فكان «محمد محمدي» - وهو أحد قادة الفصائل السبعة الرئيسية - يوقِّع وهو يقول: أوقِّع ولا أتوقَّع! وصدق في حدسه، فنادرًا ما تسير الحال على الاتِّفاق الموقَّع عليه.

وبمقتضى هذه المهمَّات الإصلاحية تطلَّب الأمر من الوفود أنْ يضعوا أنفسهم في مواقف حرجة، مثل الانتقال من مكان إلى آخر، بما في ذلك الانتقال بالطائرات العمودية المكشوفة. وربَّما كانت هذه الطائرات العمودية هدفًا

لطلقات نارية من المدافع مثل الـ»آر بي جي»، التي تصل إلى الارتفاع الذي تطير فيه هذه الطائرات. ولكن الله تعالى سلَّم.

ومن ذلك الدخول إلى أرض أفغانستان لمقابلة الطرف الآخر في مهمَّة الصلح. والأرض الأفغانية مملوءة بالألغام التي بُدئ بزرعها إبَّان الاحتلال السوفييتي لأفغانستان، وكانت بعشرات الآلاف، إنْ لم تكُن بمئات الآلاف. وكانت تسبقنا سيَّارة فيها ممثِّلون عن هذه الفصائل، ويعلمون مواقع الألغام، فتتجنَّبها سيَّارتهم، ونحن نسير خلفها وعلى خطِّها. وقد علمنا بهذا الإجراء بعد انتهاء مهمَّتنا في الداخل، وإلا لكان لنا رأيٌ آخرُ في الدخول!

وعلى أيِّ حال أمضيت في الهيئة حوالي سنتين ونصف، كانت ثرَّةً بالتجربة في إدارة العمل الخيري، بإدارة مباشرة من خادم الحرمين الشريفين الملك «سلمان ابن عبدالعزيز»، أمير منطقة الرياض في حينه، أفدت منها كثيرًا، حتى انتهت مهمَّة الهيئة، وبقيت لها دُور رعاية وإغاثة في بيشاور، ولم يعُد وجودي مهمًّا في متابعة هذه الدُّور، فاستأذنت من سمو الأمير في إنهاء مهمَّتي، فأذن لي بخطاب موجَّه إلى معالي مدير الجامعة لتمكيني من العودة إلى الجامعة.

فعدت إلى جامعتي، حيث أجدُ نفسي أكثر. ونشرت انطباعاتي عن الجهاد والمجاهدين في أفغانستان في كتاب لم يحتج مني أنْ أطبعه أكثرَ من مرَّة، ولم ينل الانتشار المتوقَّع منه؛ لأنه لم يكن سوى انطباعاتٍ مصطبغة بالعواطف، في مقالات صحفية سبقت عملي بالهيئة وزامنَته ولحقته.(١)

سادسًا: مجلس الشورى:

العمل عضوًا بمجلس الشورى، واحدًا من ستين عضوًا في دورته الأولى ١٤١٤ - ١٤١٨هـ، دخلت المجلس بتنظيمه الجديد الصادر بالأمر الملكي سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، الذي بدأ دورته الأولى في عهده الجديد في ٣/ ٣/ ١٤١٤ -

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الجهاد والمجاهدون في أفغانستان: وقفات تقويم.- مرجع سابق.- ١٢٤ ص.

٢/ ٣/ ١٤١٨هـ برئاسة معالي الشيخ الوالد «محمد بن إبراهيم بن جبير» - رحمه الله تعالى - واستمرَّ عملي فيه الدورة الأولى ونصف الدورة الثانية ٣/ ٣/ ١٤١٨ - ١/ ٣/ ١٤٢٠هـ عندما صدر الأمر الملكي الكريم بتعييني وزيرًا للعمل والشؤون الاجتماعية.

معالي الشيخ الوالد «محمد بن إبراهيم بن جبير» (١٣٤٨ - ١٤٢٢هـ) - رحمه الله تعالى - عالم جليل وإداري مجرِّب وقاضٍ فاضل ورجل دولة، اتَّسم بسعة الأفق وبُعد النظر، واتَّسم كذلك بالحلم والصبر والشفافية في معالجة أمور المجلس، الذي بدأ نهجًا جديدًا في نظامه وإجراءاته، وأشرك رئيس المجلس الأعضاء كثيرًا في وضع الإجراءات واللوائح الداخلية، لا سيَّما في بداية التعيين، فمارس الشورى في مجلس الشورى. وكان حريصًا على نجاح التجربة، فلم يستعجل في الظهور الإعلامي للمجلس، ولم يرغب في أنْ يخدش عمل المجلس أيُّ عارض، كما أجَّل الاتِّصالات الخارجية والانضمام إلى الاتِّحادات البرلمانية حتى تترسَّخ أقدام المجلس ويثبت جدارته، فينال ثقة ولي الأمر فيه.[1] وسيرد تفصيل حول المجلس.

سابعًا: وزارة العمل والشؤون الاجتماعية:

ثم وزارة الشؤون الاجتماعية بعد استقلال الشأن العمَّالي بوزارة، وقد عملت بهما من سنة ١٤٢٠ - ١٤٢٥هـ. وسيأتي الحديث مفصّلاً عن هذه المرحلة.

ثامنًا: العودة للجامعة:

أستاذًا للدراسات العليا متعاقدًا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ومتعاونًا مع جامعة الملك سعود، وجامعة نايف للعلوم الأمنية، وبعض الجامعات السعودية الأخرى. والمشاركة في المؤتمرات والندوات العلمية داخل البلاد وخارجها. وسيأتي الحديث مفصَّلاً عن هذه المرحلة.

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. وبشِّر الصابرين: كلمات في رجال تركوا أثرًا.- مرجع سابق.- ص ١٦٥ - ١٦٧.

الوقفة الثامنة عشرة: الحياة العلمية

في المرحلة التي تلت التخرُّج من أمريكا والعودة للبلاد - حرسها الله - وفِّقت إلى الإسهام في الكتابة للصحافة، فبدأت أولاً مع جريدة الجزيرة برئاسة الأستاذ «محمد بن ناصر بن عباس» وهو صاحب فضل كبير عليَّ - جزاه الله عني خير الجزاء - في شوَّال من سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ثم كتبت في جريدة «المسلمون» و«المدينة» و«البلاد» و«عكاظ» و«الرياض»، وبعض المجلاَّت الثقافية مثل مجلة «الحرس الوطني» و«المجلة العربية».

وقد جمعتُ شيئًا منتقًى مما كتبته في الصحف، ونشرتْه مكتبة العبيكان في تسعة كتب. ونشرتُ أيضًا ستة عشر كتابًا علميًا آخر عن طريق النشر الشخصي ومكتبة التوبة ومكتبة الملك فهد الوطنية بإدارة الأستاذ الدكتور «يحيى بن محمود بن جنيد «ساعاتي» ودارة الملك عبدالعزيز بإدارة الزميل والصديق معالي الدكتور «فهد بن عبدالله السماري» ومركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية بإدارة معالي الدكتور «زيد بن عبدالمحسن الحسين»، ومكتبة الملك عبدالعزيز العامَّة بالرياض بإشراف معالي الأخ «فيصل بن عبدالرحمن المعمَّر» وإدارة الزميل الدكتور «عبدالكريم بن عبدالرحمن الزيد» وزملائه، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ودار الصحوة بالقاهرة، وصاحبها زميل أضحى صديقًا في الجامعة هو الأستاذ الدكتور «عبدالحليم بن عبدالفتَّاح عويس» - رحمه الله تعالى - الذي اتَّهمه أحدهم ممن لم يرضوا عنه حين وجوده بيننا بتهم خُلقية، لا تليق به على ما أعرفه عنه، وفي هذا خير له، إذ إنه يكسب حسنات هؤلاء، وربما رُمي عليهم من سيئاته، إذا لم تبقَ لهم حسناتٌ، بعد توزيعها على من أساؤوا إليهم، ولعلَّ الله تعالى يتوب على الجميع، والمجلَّة العربية وجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية برئاسة معالي الدكتور «عبدالعزيز بن صقر الغامدي»، ثم معالي الدكتور «جمعان أبا الرقوش».

وقد وصل ما نشرته حتى تحرير هذه الخواطر، بفضل الله تعالى، إلى خمسةٍ وستِّين (٦٥) كتابًا ومئة خمسة عشر (١١٥) بحثًا ودراسة ومحاضرة، دون أنْ أُدخل عدد الطبعات للكتاب الواحد في المجموع. وفي الملحق بياناتٌ وراقيةٌ «ببليوجرافية» حول ما تمَّ نشره - بفضل الله تعالى - من كتبٍ ومقالاتٍ ودراساتٍ وبحوثٍ. وما كان حصرها في الطبعة الأولى من هذه الخواطر دقيقًا؛ إذ أقحم تغيير الخط الطبعات المتعدِّدة، وما كان هذا مقصودًا.

ركَّزت في بحوثي كثيرًا على الاستشراق والتنصير والعلاقات الحضارية بين الشرق والغرب، وطوَّعتهما للتخصُّص، أو طوّعت التخصُّص لهما؛ رغبةً في الترقية. وأظن أني وفقت في ذلك - ولله الحمد والمنَّة - بدليل إجماع الفاحصين الثلاثة على الترقية عند التقديم الثاني «التعزيز»، وبعد التعزيز بالبحوث في المرحلتين من أستاذ مساعد إلى أستاذ مشارك، ومن أستاذ مشارك إلى أستاذ.

كان هذا التحوُّل الطفيف عن التخصُّص الدقيق ناتجًا عن عدم اقتناع كامل بالتخصُّص، في ضوء شحِّ الإمكانات التقنية، وضعف التشجيع العلمي لحضور المؤتمرات العلمية، وطول إجراءات الإذن سابقًا بالمشاركة في المؤتمرات العلمية؛ بسبب بعض الإساءات التي صدرت عن بعض الموفدين لتمثيل بلادهم في المؤتمرات والندوات العلمية، بحيث جنوا على أنفسهم وجنوا كذلك على زملائهم اللاحقين. فقد كانت الموافقات عليها تأخذ وقتًا طويلاً. وبالنسبة للمشاركين السلبيين لا يصدق عليهم القول المأثور: على نفسها جنت براقش، بل إنهم جنوا على زملائهم وعلى بلادهم. وقد تغيّر الأمر بعد ذلك - بحمد الله تعالى - وفُتح المجال واسعًا للإسهام العلمي في المؤتمرات العلمية.

وشعرت كذلك أنَّ علم المكتبات والمعلومات علم فنِّي تطبيقي يفتقر إلى النظرية، أكثر من كونه علمًا قابلاً للاستزادة العلمية، لا سيَّما للدرجات العليا؛ لأنه تخصُّص مفيد في مجال تقديم الخدمات المعلوماتية للمستفيدين من

المطالعين ومرتادي المكتبات والباحثين عن المعلومة إلكترونيًّا، ولا يحتاج إلى باحثين كثُر لتطويره. وهو تخصُّصٌ مضطرب في تقديري له؛ بدليل أنه لم يحتفظ بتسمية ثابتة له، وتقلَّب في الأسماء إلى الدرجة التي أخرجته عن المراد الأوَّل منه، وهو العناية بالكتب والمكتبات، بما في ذلك العناية بالمخطوطات، في ضوء الانتقال إلى الكتُب والمكتبات الافتراضية، والعناية بالمعلومة من حيث الشكل، لا من حيث المضمون.

والملحوظ أنَّ معظم الذين طوّروه هم من المؤهلين تطبيقيًا أكثر من المؤهلين علميًا بدرجات عليا. ولهذا اقترحت على مجلس القسم في كلية العلوم الاجتماعية برئاسة أستاذي الفاضل «يحيى بن محمود ابن جنيد» إلغاء التدريس في المرحلة الجامعية، والاكتفاء بالدراسات العليا على نطاق ضيِّق، والدبلومات والدورات الفنِّية والتدريب على نطاق أوسع. وكرَّرت هذا الاقتراح مرَّة أخرى بعد مدَّة من تقديمي للاقتراح الأوَّل، إلا أنه اقتراح لم يلقَ القبول؛ ربَّما لأنه كان يهدِّد الوجود العلمي والمهني لبعض الزملاء.

وكان القسم أثناء رئاسة الأستاذ الفاضل «يحيى بن محمود ابن جنيد» في حال إبداعية؛ نظرًا للروح الأكاديمية العلمية التي كان الأستاذ «يحيى» يدير بها القسم، مما ترك أثره الحسن على زملائنا الأفاضل الذين رأسوا القسم بعده. وكان من بينهم أخي الفاضل الدكتور «عجلان بن محمد العجلان»، وغيره من الأفاضل.

اقتراحي هذا لم يُرضِ زملائي في المهنة. وقد يرونه تذرُّعًا مني وتسويغًا للهروب من التخصُّص، مع أنني استمريت في التدريس والبحث حتى نهاية العام الجامعي ١٩ - ١٤٢٠هـ، عندما كُلِّفت بالوزارة، فلم أستطِع الجمع بين الأمرين، ثمَّ عدت إلى التخصُّص سنة ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م بعد التفرُّغ العلمي الذاتي لمدَّة سنتين ١٤٢٦ - ١٤٢٧هـ، بعد انتهاء خدمتي في الوزارة.

وتخصُّص المكتبات من التخصُّصات التي تسابق التخصُّصات الأخرى في خدمة التراث، إلا أنه كان هناك التفات عن التراث إلى تقنية المعلومات الحديثة المتطوِّرة من قبل صانعي تقنية المعلومات أكثر من تطويرها من قبل الأكاديميين، بدليل التحوُّل في الأقسام العلمية من خدمة التراث إلى تقنية المعلومات وإدارة المعرفة في سباق محموم. وفي هذا جناية على التراث بفعل البعثات الخارجية التي ركَّزت على تقنية المعلومات أكثر من تركيزها على خدمة التراث العربي الإسلامي والإنساني، وخاصَّة البعثات للولايات المتَّحدة الأمريكية التي لا تهتمُّ بالتراث؛ لأنها لا تملكه بالمقارنة بالمدارس الأوروبِّية الأخرى، مثل ألمانيا وبريطانيا وإيطاليا وهولندا وفرنسا وغيرها؛ لأنَّ هذه البلدان لا تفتقر إلى التراث العلمي، ومن ثمَّ تصدِّيها للتراث العربي الإسلامي، من خلال مدارس الاستشراق ومراكزه والمكتبات المليئة بتراث المسلمين المخطوط.

هذا في الوقت الذي وجدت فيه نفسي مدفوعًا إلى الكتابة حول هذين الموضوعين، اللذين تحوَّلت إليهما في اهتماماتي على الخصوص، الاستشراق والتنصير والعلاقات الثقافية بين الشرق والغرب، ثمَّ الرغبة في خدمة التراث الإسلامي من جهة أعمَّ، من خلال بحوث الترجمة والنقل والوراقة والورَّاقين، وصناعة الوراقيات «الببليوجرافيات»، وغيرها من الموضوعات ذات العلاقة.

فريق البحث العلمي الخاصِّ:

في سبيل الجمع بين المهمَّات العملية والإنجاز العلمي وفَّقني الله تعالى إلى ثلاثة زملاء، كوّنَّا جميعُنا فريقَ بحث، كلٌّ يبحث في اختصاصه، لكننا ألزمنا أنفسنا أنْ نلتقي يوميًّا في مكان محدَّد ومنعزل، قد يكون استراحة أو شقَّة قريبة من مساكننا أو شقَّة بالجامعة، وفي أوقاتٍ محدَّدة نبحث فيها، يشجِّع بعضنا بعضًا ويقرأ بعضنا لبعض، ونتبادل فيما بيننا مفهومات منهج البحث وتقويم اللسان.

هـؤلاء الأصدقـاء الثلاثـة هـم: الأسـتاذ الدكتـور «إبراهيـم بـن محمـد الحمـد المزينـي»، والأسـتاذ الدكتـور «عبدالعزيـز بـن إبراهيـم السـليمان العُمـري»، رفيـق الـدرب في رحلـة ألمانيـا (١٤٠٥ - ١٤٠٦هـ/ ٨٥ - ١٩٨٦م) ورحـلاتٍ كثيـرةٍ بعدهـا، والأسـتاذ الدكتـور «عمـر بـن صالـح السـليمان العُمـري». وكلهـم أسـاتذة بقسـم التاريـخ والحضـارة بجامعـة الإمـام محمـد بـن سـعود الإسـلامية عنـد تحريـر هـذه الوقفـات. ثـمَّ تقاعَـد أبـو عاصـم الأسـتاذ الدكتـور «عبدالعزيـز بـن إبراهيـم العُمـري» مبكِّـرًا؛ ليتفـرَّغَ لأعمـالِ أخـرى، بالإضافـة إلـى ميولـه الشـديدة للعمـل والبحـث العلمـي واسـتمراره في البحـث، خاصَّـةً في السـيرة النبويـة - علـى صاحبهـا أفضـل الصـلاة والتسـليم - والخلفـاء الراشـدين.

ومـن أعمالـه عضويـة المجلـس البلـدي لمدينـة الريـاض في دورتـه الأولـى التـي انطلقـت غـرَّة محـرَّم سـنة ١٤٢٦هـ الموافـق ١٠/ ٢/ ٢٠٠٥م، ثـم الثانيـة التـي انطلقـت سـنة ١٤٣٣هـ، وصـار نائبًـا لرئيسـها. بالإضافـة إلـى أعمـال تجاريـة، دون أنْ يُغفـل البحـث العلمـي الـذي بقـي معـه ولـم يتخـلَّ عنـه. وتقاعـد الأخ الأسـتاذ الدكتـور «أبـو مسـاعد» «عمـر بـن صالـح العُمـري»، فتعاقـد مـع الجامعـة، ورأس لمـدَّة كرسـي الملـك عبدالعزيـز لتاريـخ المملكـة العربيـة السـعودية بالجامعـة. ثـم تقاعـد الأسـتاذ الدكتـور «إبراهيـم بـن محمـد الحمـد المزينـي» فتعاقـد مـع الجامعـة، وعمـل أعمـالاً علميـةً أخـرى.

لقيـت منهـم كلَّ تشـجيع وتقديـر وعنايـة، وصـبر بعضُنـا علـى بعـض، وارتفعـت الكُلفـة بيننـا، وتشـاورنا في أمـور كثيـرة، فجزاهـم الله عنـي خيـر الجـزاء. ودون هـذا الأسـلوب في قهـر النفـس علـى البحـث لا أتوقَّـع أنْ أكـون قـد وصلـت علميًـا إلـى مـا وصلـت إليـه، والحمـد لله علـى فضلـه ومنّتـه.

*****

الوقفة التاسعة عشرة:
الترقيات العلمية: «المعاناة»

أثناء أعمالي الإدارية التي صرفتني عن العمل المباشر في الجامعة لم أنسَ الإسهام في المجال الأكاديمي، فكنت أسعى دائمًا إلى الارتباط بالتدريس بجامعة الإمام أو بكلية الآداب للبنات بالرياض التابعة للرئاسة العامة لتعليم البنات حينها. وقد تمكَّنت - بفضل من الله تعالى - من الترقية إلى أستاذ مشارك سنة ١٤١٠هـ، ثم إلى أستاذ في ١٤١٧هـ.

هذا النوع من الترقية يكاد يكون الترقية الوحيدة التي تأتي نتيجة للجهود العلمية لطالب الترقية - بعد توفيق الله تعالى ومنَّته - إذ إنها لا تخضع لأي مقياس سوى مقياس الجهد العلمي المتمثِّل بالبحوث، من كتب أو مقالات أو من خليط منهما، وهكذا ينبغي أنْ تكون، أخذًا بالمنطق العلمي: إمَّا أنْ تنشر أو تهلك علميًّا، *Publish or Perish*.

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية التي أفتخر بأني أحد منسوبيها منذ سنة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٨م، وأني أنتمي إليها في حياتي العلمية والفكرية، كانت لا تقيم وزنًا في لائحة الترقيات العلمية لأيِّ جهد إداري أو عملي مهما كان، سوى هذا الجهد العلمي البحثي. إلا أنَّ توحيد لائحة الترقيات العلمية بين الجامعات في المملكة لاحقًا وتوزيع بعض النقاط على الجهود الإدارية وأنشطة أخرى داخل الجامعات أزال هذا التفاوت في النظر إلى الترقيات، ومن ثمَّ أزال سعي الجامعات إلى التميُّز بينها في مجال البحث العلمي، لا سيَّما في جانب ترقيات أعضاء هيئة التدريس. وهذا ما جعلني أعتب على هذا الإجراء الأخير الذي يؤثِّر في البحث العلمي، لا سيَّما أننا في البلاد العربية متَّهمون بضعف البحث العلمي بيننا، وضعف الإنفاق عليه من قبل صنَّاع القرار السياسي والعلمي، ومتَّهمون

كذلك بضعف وجود مراكز للدراسات الاستراتيجية والبحث العلمي، وضعف الإنفاق عليها، وضعف قنوات النشر فيها.

ترجمت موقفي هذا في خطاب بعثته إلى سعادة وكيل جامعة الملك سعود عندما أرسل لي بحوث زميل في قسم المعلومات بالجامعة لتحكيمها للترقية، رغم أني لم أرَ إلى كتابة هذه السطور أثرًا لها، وكان ردُّ الوكيل الزميل هو الشكر على ورود تقرير التحكيم للزميل طالب الترقية، دون إشارة إلى خطابي.

لم يحفِّزني هذا الموقف إلى مواصلة نظرتي للبحث العلمي في مجال الترقية وهو مجالي الأكاديمي، وإنْ كنتُ قد أصررت على إرساله إلى أيِّ جهة علمية تصلني منها بحوث ترقية لفحصها وتحكيمها، لا سيَّما أنها جاهزة عندي في الحاسوب.

ترقَّيت في المرحلتين بعد إعادة النتاج العلمي من الفاحصين، وطلبهم التعزيز ببحوث أخرى، فعزَّزت بطيب خاطر، ثم وفِّقت إلى هذه الترقيات. ولم أعترض على قرارات المجلس العلمي. وقد وهم من ظنَّ أني اعترضت في المرحلة الأولى، وهي الترقية من أستاذ مساعد إلى أستاذ مشارك. وما كان الاعتراض إلا عن تلميح باتِّهامي بعدم الصدق والأمانة من جانبي، من خلال خطاب لفت نظر لم يكن موجَّهًا إليَّ، بل إلى عميد الكلية لإبلاغي به شفهيًا أو بخطاب من العميد، وذلك عندما وقعت في خطأ علمي غير مقصود، نتج عن جهل بنظام التقديم للترقية، الذي لم يكن في حينها في متناول أيدي طالبي الترقيات، وله علاقة مباشرة بالترجمة إلى اللغة العربية من الرسالة التي أعددتها باللغة الإنجليزية، واحتساب جهد الترجمة فقط في الترقية.

كنت قد ترجمت فصولاً من رسالة الدكتوراه إلى اللغة العربية، ونشرتُ منها مقالتين في مجلة مكتبة معهد الإدارة، الأولى بعنوان: التجهيزات الأساسية

للمعلومات: نظرة عامة،[(١)] والثانية بعنوان: البنية الأساسية لنظام وطني للمعلومات،[(٢)] ونشرتُ الثالثة في حولية المكتبات والمعلومات التي كانت تصدر عن قسم المكتبات والمعلومات بكلِّية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، وكانت بعنوان: خدمات المكتبات والمعلومات في المملكة العربية السعودية.[(٣)]

وقدَّمت هذه الفصول الثلاثة للترقية، بناءً على نصيحة زميل كنت أظنُّه يفهم بنظام الترقيات، بحكم تقديمه للترقية قبلي، وبحكم عضويته في مجلس الكلِّية لسنوات، وبصفته رئيس أحد الأقسام العلمية بالكلِّية، وطلبات الترقيات تمرُّ على مجلس القسم ثم مجلس الكلية؛ لإقرارها ومن ثَمَّ رفعها إلى المجلس العلمي بالجامعة.

والشيء بالشيء يُذكر أرسلتْ لي إحدى الجامعات نتاج إحدى الزميلات لترقيتها إلى أستاذة مشاركة. وكان من بين أعمالها ترجمتها لمقالةٍ منشورة باللغة الإنجليزية، فأعطيتها حقَّها في مجال الترجمة. وفوجئت بسحب المقالة المترجمة، وعدم حسابها ضمن وحدات الترقية، فتعجَّبت وحضر عندي مباشرةً ما سبق لي القيام به، وإنْ كان هذا الأخير أكثر وضوحًا في إعطاء الباحثة حقَّها من الترجمة.

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. التجهيزات الأساسية للمعلومات: نظرة عامة.- مكتبة الإدارة.- مج ١٢، ع ٢ (جمادي الأولى ١٤٠٥هـ/ يناير - فبراير ١٩٨٥م).- ص ٢٣ - ٣٨.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم النملة. البنية الأساسية لنظام وطني للمعلومات.- مكتبة الإدارة.- مج ١٣، ع ١ (محرَّم ١٤٠٦هـ/ أكتوبر ١٩٨٥م).- ص ٢٦٣ - ٢٨١.

(٣) انظر: علي بن إبراهيم النملة. خدمات المكتبات والمعلومات في المملكة العربية السعودية.- حولية المكتبات والمعلومات.- الرياض: قسم المكتبات والمعلومات، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٥/ ١٤٠٦هـ.- مج ١.- ص ١٠٣ - ١٢٩.

كتبت مذكِّرة حول هذا الموضوع للزميلة رئيسة المجلس العلمي، وهي من خيرة بنات هذا الوطن في خدمة العلم وأهله. وطلبت منها العرض على عضوات المجلس في إعادة النظر في اعتبار الترجمة من وحدات الترقية، لا سيَّما أننا في البلاد العربية متَّهمون أيضًا بضعف عنايتنا بالترجمة من اللغات الأخرى، وبالترجمة عن اللغة العربية إلى اللغات الأخرى. وهذا الإجراء من المجلس العلمي يدخل - فيما أراه - في سلسلة الإجراءات الطاردة. ولم أتلقَّ من الزميلة في الجامعة ردًّا على مذكِّرتي بشأن الترجمة ونصيبها في الترقية من مرحلةٍ علمية إلى أخرى.

ما أزال أحتفظ بصورة من خطاب لفت النظر ذاك، جنبًا إلى جنب مع خطاب مجاور له من عميدة الدراسات العليا في الجامعة الأمريكية (كيس وسترن رزيرف) التي أنهيت فيها مرحلة الدكتوراه بتفوُّق - ولله الحمد والمنَّة - تنوِّه العميدة فيه بالإنجاز والتفوُّق الذي انتهيت إليه، حيث حصلت على مجموع ثلاث درجات وسبع وسبعين بالمئة من أربع (٣,٧٧ من ٤) درجات. أنظرُ إلى هذين الخطابين وأردِّد كلما رأيتهما أو تذكَّرتهما قول الشاعر:(1)

وَظُـلْـمُ ذَوِي الْـقُـرْبَـى أَشَـدُّ مَـضَـاضَـةً
عَـلَى الـمَـرْءِ مِـنْ وَقْـعِ الـحُـسَـامِ الْـمُـهَـنَّـدِ

لم يعُدْ هذا الموقف عندي قضية شخصية، رغم إعلامي به وأنا في حال غير عادية من مواجهة التحدِّيات الإدارية، أثناء عملي في الملحقية الثقافية بالولايات المتَّحدة الأمريكية، والمضايقات التي لقيتها من أناس لم أكن أتوقَّعها منهم، بل إنَّ هذا الموقف، إنْ لم أكُنْ أنا المخطئ فيه، فهو يحكي ثقافة تقوم على ضعف الثقة في الأستاذ الجامعي، وربَّما نُظر إليه من أنَّ الأصل فيه هو الاحتيال واستغفال المعنيين بهذا الجانب. وتلك نظرةٌ قاصرة، وتنبئ عن قدر من الحسد والغيرة.

---

(١) من معلَّقة طرفة بن العبد، من ديوانه بشرح مهدي محمد ناصر الدين ونشرته ببيروت دار الكتب العلمية في طبعته الثالثة سنة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.- ص ٢٧.

وربَّما أملى هذا الموقف السلبي الحاصل من بعض المعنيين في الوسط الأكاديمي، لا سيَّما في الإدارة الأكاديمية والمجالس العلمية، تعامُلهم مع فئة قليلة من المنتمين للوسط الأكاديمي من ضعاف النفوس، كانوا موجودين في مرحلة من مراحل التطوُّر التعليمي بالبلاد، وما يزالون، جعلت التحايُلَ على كلِّ شيء جزءًا من سلوكٍ عامٍّ، ينبئ عن مقدرة الشخص على أنْ يكون ذئبًا قبل أنْ تأكله الذئابُ!

لا أزكِّي نفسي في هذا الموقف، ولكنَّني لست من هذا الصنف إنْ وجد، وهو موجود. والذين أرسلوا لي خطاب لفت النظر يعرفون عنِّي ما يجعلهم يعيدون النظر في حكمهم عليَّ، لا سيَّما أنه نما إلى علمي من بعيد أنَّ أحد أعضاء المجلس طالب بمعاقبتي بأشدَّ من مجرَّد لفت النظر كالفصل من الوظيفة. عفا الله عني وعنهم جميعًا، ورحم الله من توفِّي منهم ومن بقي رحمة واسعة.

من تداعيات طلبي الترقية من أستاذ مساعد إلى أستاذ مشارك أنَّ الإنتاج العلمي قد أُرسل إلى أحد الفاحصين - رحمه الله تعالى وعفا عني وعنه - فكتب زميلي وصاحبي المرسل إليه نتاجي العلمي للترقية ما يفيد بأنه يأسف أنْ تحتضن الجامعة منسوبين لها من أمثالي، وأني لا أصلح أنْ أكون عضو هيئة تدريس في أيِّ مكان، مع أني زاملته بالقسم وكان بيننا انسجام شخصي وتناغُم علمي في تأصيل علم المكتبات والمعلومات، بما في ذلك الفهرسة والتصنيف.

ولعلَّ السبب في هذا الموقف من الزميل كان غير موضوعي وله علاقة بإنهاء عقده مع الجامعة، والظروف التي صاحبت إنهاء العقد بصورة مفاجئة أو مخالفة لتوقُّعات المتعاقد الراغب في الاستمرار في الجامعة. مما يعكس ثقافة خليجية حادثة، تقوم على ضعف إعطاء المتعاقد قيمته العلمية والعملية، الأمر الذي أؤكِّد دائمًا على مراجعته.(١)

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. تهيئة الموارد البشرية في زمن العولمة.- ط ٢.- بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٤م.- ٢١٥ ص.

ومن إعطاء المتعاقد شيئًا من قيمته العلمية والعملية ما كان معالي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الدكتور «عبدالله بن عبدالمحسن التركي» يقوم به، حيث يعقد لقاء نهاية كلِّ عامٍ جامعي، ويجمع فيه الأساتذة المواطنين والمتعاقدين لتكريم من انتهت عقودهم منهم، ويلقي أحدُ من انتهت عقودهم كلمةً في هذه المناسبة. وكانت لفتةً أخويةً وإنسانيةً من معاليه تُذكر وتُشكر.

ولا أذكر أنني أسأت إلى صاحبي هذا من قريب أو بعيد. وقد يكون قد نُقل إليه كما نُقل لغيره أنني وقفت في وجهه في ظرف من الظروف التي لا أذكرها. ثم إنه قد يكون محقًّا في أنني لا ينبغي أنْ أكون عضوًا في مهنة التدريس الجامعي إذا كنت لا أرقى إلى هذا الشرف. لكن المجلس العلمي لم يُعد إليه التعزيز الذي طُلب مني في تلك المرحلة. وبدا لي أنَّ رئيس المجلس العلمي وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي أخي الأكبر الدكتور «محمد بن عبدالرحمن الربيِّع» ذكر للمجلس أنه يعرفني ويعرف إمكاناتي.

وعندما أضمُّ قول الفاحص هذا إلى رأي أحد أعضاء المجلس العلمي أثناء طلبي الترقية من أستاذ مساعد إلى أستاذ مشارك الذي طالب بفصلي أجد أنني أتساءل عن مناسبتي للعمل الأكاديمي! فربَّما لا أكون كذلك. ومن يدري!!

وعلى أيِّ حال لا أملك أنْ أخفي شيئًا الناس به أدرى، وقديمًا قال الشاعر العربي الحكيم القدير «زهير بن أبي سُلمى»:

ومهما تكنْ عندَ امرئٍ من خَليقةٍ
وإنْ خالَها تَخفى عَلى الناسِ تُعلَمِ

وفي مناقشتي إحدى الرسائل العلمية في جامعة الملك عبدالعزيز بجدَّة لقيت أستاذي الفاحص الذي لم يرني - رحمه الله تعالى ورحمني وغفر لي وله -

صالحًا للعمل الأكاديمي. وأبدى شيئًا من الاعتذار المبطَّن، وأنَّ المرءَ أحيانًا يخطئ في تقويمه للآخرين ويسيء فهمهم ويسيء الظنَّ بهم، ولكنني تعاملت مع الموقف بعدم إعطائه أكثر مما يستحقُّ، وكأنني بتغابٍ مني لم أفهم ما كان يُلمح إليه، أو لم أعلم بموقفه مني - رحمه الله تعالى رحمة واسعة - وليتني لم أعلم به؛ لأنَّ تحكيم الأبحاث العلمية يقوم على السرِّية في هُويَّة المحكَّمين، وهذا هو الأصل.

وبعد ترقيتي إلى أستاذ سنة ١٤١٧هـ وصلني إنتاج هذا الأستاذ المشارك لترقيته إلى أُستاذ، وقد حكَّمت إنتاجه العلمي للترقية، ورأيت أنه يرقى إلى أنْ يكون أستاذًا في علوم المكتبات والمعلومات فترقَّى. ولا أقول هذا منَّةً منِّي عليه، أو ردَّ فعل إيجابيٍّ لموقفه السلبي مني، بل اقتضت الأمانة العلمية والانتماء إلى الأمانة عمومًا أنْ أترك الأمور الشخصية جانبًا، وأحكم على الإنتاج العلمي لطالب الترقية وكأنني لا أعرفه. والحمد لله ربِّ العالمين.

*****

الوقفة العشرون:
عودة إلى مجلس الشورى

كنت أقضي الإجازة الصيفية مع الأهل في أبها في صيف سنة ١٤١٤هـ عندما اتَّصل بي مستشار خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - رحمه الله تعالى - معالي الشيخ «إبراهيم بن عبدالله العنقري» - رحمه الله تعالى -[١] عارضًا عليَّ اختيار خادم الحرمين الشريفين الملك «فهد بن عبدالعزيز» لي عضوًا في الدورة الأولى في مجلس الشورى. وبعد استشارة الأهل والأخوين الأستاذ الدكتور «إبراهيم بن مبارك الجوير» والأستاذ «أحمد بن عبدالعزيز الغليقة»، اللذين كانا حينها في أبها، وبعد الاستخارة، قبلت هذا الشرف؛ لما فيه من خدمة للوطن والمواطن.

لم يكن المجلس قد بدأ أعماله؛ إذ إنَّ ذلك كان مرهونًا بافتتاح الملك له - حسب نظامه - بخطاب سنوي يلقيه. ولذلك اهتبل معالي الشيخ «محمد ابن جبير» رئيس المجلس - رحمه الله تعالى - وجود هذه «النقوة» من أبناء البلاد، وطلب منهم العون في وضع الأمور الإجرائية للمجلس، في ضوء نظامه، الصادر بالأمر الملكي ذي الرقم أ/ ٩١ والتاريخ ٢٧/ ٨/ ١٤١٢هـ، فعملت مع نخبة من الأعضاء في وضع هذه الإجراءات، وكانت فرصة طيبة للتعرُّف على رهط منهم.

---

(١) توفي الشيخ «إبراهيم بن عبدالله العنقري» يوم الاثنين ٥/ ١/ ١٤٢٩هـ الموافق ١٣/ ١/ ٢٠٠٨م خارج المملكة، وصلي عليه فجر الثلاثاء ٦/ ١/ ١٤٢٩هـ بالمسجد الحرام بمكة المكرَّمة. وكان قد شغل ثلاث وزارات؛ الشؤون البلدية والقروية والإعلام والعمل والشؤون الاجتماعية، ثم عمل مستشارًا لخادم الحرمين الشريفين الملك «فهد بن عبدالعزيز» - رحمه الله تعالى - إلى أنْ طلب إعفاءه من العمل - رحمه الله تعالى رحمة واسعة -. وكان يقول لي كلَّما قابلته إنه لم يجد أفضل عملاً من الشؤون الاجتماعية؛ لما فيها من بعد إنساني واضح.

افتُتح المجلس وبدأ أعماله بحماس وتروٍّ، فقد كان رئيسه معالي الشيخ «محمد بن إبراهيم بن جبير» - رحمه الله تعالى - حريصًا بشدَّة على نجاح التجربة ولذا كان حذرًا من أنْ يمرَّ على المجلس ما يؤثِّر على هذا الأداء - كما مرَّ ذكره -. ولذا تأخَّر الإعلام المباشر عن المجلس، وتأخَّرت اتِّصالاته بالخارج وزياراته، وتأخَّر انضمامه للاتِّحادات البرلمانية الإقليمية والدولية؛ بسبب هذا الهاجس المسوَّغ من رئيسه.

ونلتُ شرف قراءة محاضر المجلس بالمكتب قبل قراءتها من معالي الأمين العام في الجلسات؛ لتصويب ما قد يعتورها من هناتٍ لغوية، قد تفوت على محرِّري المحضر في مكتب معالي الأمين العام الدكتور «حمود بن عبدالعزيز البدر»، الذي تولَّى أمانة المجلس منذ استئنافه أعمالَه بالرياض؛ وذلك توفيرًا لوقت المجلس، بحيث لا تمضي مناقشة المحضر في تصويبات أعضاء المجلس أثناء الجلسة. ثم رأى المجلس أنْ يقرأ الأعضاء المحاضر في مكاتبهم، فيبدون ما قد يرونه من ملحوظات «جوهرية» على المحضر في مستهلِّ كلِّ جَلسة. هذا الإجراء أتاح لي الكثير من الاطِّلاع على مجريات المجلس بتمعُّن.

أمضيت في المجلس ست سنين، أي دورة ونصف الدورة، كانت مليئة بالإنجاز الذاتي بالقراءات ومتابعة الموضوعات المعروضة على المجلس، بما فيها الأنظمة التي أكسبتني قراءتها خبرة تنظيمية لا بأس بها. وكنت إيجابيًا في المجلس ولجانه، إلى درجة أني شاركت مع كل من معالي الدكتور الشيخ «صالح بن سعود العلي» والأستاذ الدكتور «عبدالرحمن الطيب الأنصاري» - رحمه الله تعالى - وآخرين في أكثر من لجنة في أكثر من سنة من سنوات الدورة الأولى، حتى صدر قرار المجلس بقصر المشاركة في لجنة واحدة، إلا في أضيق الأحوال التي يقدِّرها المجلس.

وحرصت على عدم التخلُّف عن جلسات اللجان وجلسات المجلس؛ لأني شعرت بالفائدة التي لم أشأْ تفويتها في الظروف الطبيعية. وشاركت الرئيس -

رحمه الله تعالى - في السفر إلى أوروبا مرتين، شملت بلجيكا وألمانيا وفرنسا ثم بولندا والنمسا.

وفي مطار فينَّا بالنمسا صباح يوم الخميس ٢٧/ من المحرَّم/ ١٤٢٠هـ الموافق لـ١٣ من مايو/ ١٩٩٩م، ونحن نتوجَّه إلى الطائرة في طريقنا إلى البلد الثاني بولندا تلقيت اتِّصالاً في الهاتف المنقول من شخص لا أعرفه، ينعي في الاتِّصال وفاةَ حبر هذا الزمان: الشيخ «عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز» - رحمه الله تعالى -[١] فكان ردُّ الفعل التلقائي هو الاسترجاع والترحُّم على فقيد الأمَّة، ثم إخبار محدِّثي أني خارج البلاد في مهمَّة رسمية.

وما لم أذكره للمتِّصل أني وطَّنت النفس على التثبُّت من هذه الأخبار. ولم أتردَّد في نقل الخبر إلى مدير عام مكتب الشيخ الرئيس الأستاذ «إبراهيم السليمان العنقري» - الذي أضحى عضوًا في المجلس، وحصل على درجة الدكتوراه - كما نما إلى علمي - دون أن أُثبت أو أنفي وفاة الشيخ «عبدالعزيز»، رغبةً في مزيد من التثبُّت، وفيما إذا أراد الشيخ أنْ يتصرَّف بما يقتضيه الحال. فتبيَّن المدير العام الأستاذ «إبراهيم السليمان العنقري» وتثبَّت من الخبر، فأخبر الشيخ بالوفاة، وأكَّدها لي، ثم مضينا في مهمِّتنا.[٢]

وكنت أتوقَّع أنْ يعمَد الشيخ إلى قطع الزيارة والاعتذار عن عدم مواصلة الرحلة، وتكليف أحد أعضاء الوفد بإتمامها نيابةً عنه، ثم العودة إلى البلاد للمشاركة في هذا المصاب الجلل الذي حلَّ بالأمَّة، وليس بالمواطن السعودي والعربي فحسب، إلا أنَّ ثبات الشيخ واحتسابه الشيخ «عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز» عند الله، ثم الجانب البروتوكولي قد حالا دون ذلك.

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. وبشِّر الصابرين: كلمات في رجال تركوا أثرًا.- ط ٢.- مرجع سابق.- ص ١٤٧ - ١٥٤.

(٢) الفقرتان أعلاه منقولتان من وبشِّر الصابرين: كلمات في رجال تركوا أثرًا.- المرجع السابق.- ص ١٤٩ - ١٥٠.

وقد حصلت لي فرصة التعرُّف بنخبة من أبناء الوطن من خلال الدورة الأولى ونصف الدورة الثانية، زادوا عن المئة والعشرين (١٢٠) عضوًا. منهم من انتقل إلى العمل الوزاري في منتصف الدورة الأولى، ومنهم من توفِّي - رحمهم الله تعالى - قبل أنْ يمارس المجلس أعماله. وكانت بيننا لقاءات وجلسات داخل المجلس وخارجه، منها ما استمرَّ إلى كتابة هذه الخواطر. وأحتفظ للجميع بقدر عالٍ من الاحترام والود، حتى من عدد قليل ممَّن لم يكونوا متفاعلين مع المجلس وتوجُّهه. وهم قليلون جدًّا - ولله الحمد والمنَّة -.

وأذكر هنا العليين فقط الذين كانوا أعضاءً في المجلس في دورته الأولى، وهم:

- معالي الدكتور «علي بن طلال الجهني»، وزير البرق والبريد والهاتف ثم زير الدولة عضو مجلس الوزراء لاحقًا.
- فضيلة الدكتور «علي بن عبدالعزيز الخضيري»، مدير عام إذاعة القرآن الكريم.
- سعادة الشيخ «علي بن عبدالله الجفَّالي»، أحد مؤسسي شركة إبراهيم الجفَّالي وإخوانه المشهورة.
- سعادة المهندس «علي بن عبدالله الحسُّون» الوكيل في وزارة الشؤون البلدية والقروية.
- وكنت خامسهم. والبقية يبقى لهم التقدير والاحترام والاعتزاز بمعرفتهم جميعًا، وهم مذكورون في كتاب الأخ العزيز الموثِّق الأستاذ «صالح بن محمد بن علي الشويرخ» الذي جاء بعنوان «مجلس الشورى السعودي خلال ربع قرن».[1]

*****

(١) (١) انظر: صالح بن محمد بن علي الشويرخ. مجلس الشورى السعودي خلال ربع قرن ١٤١٤ - ١٤٤٢هـ (١٩٩٤ - ٢٠٢١م).- ط ٢.- الرياض: المؤلِّف، ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م.- ٣٧٣ ص.

الوقفة الواحدة والعشرون:
الـوزارة (١)

اتَّصل بي صاحب السمو الأمير الفاضل الذي أُكنُّ له التقدير والاحترام «تركي بن عبدالله» مستشار صاحب السمو الملكي الأمير «عبدالله بن عبدالعزيز» - رحمه الله تعالى - ولي العهد، نائب رئيس مجلس الوزراء، رئيس الحرس الوطني في حينها، مفوَّضًا من خادم الحرمين الشريفين الملك «فهد بن عبدالعزيز» - رحمه الله تعالى - ونقل لي ترشيحي لوزارة العمل والشؤون الاجتماعية. وكان هذا مساء يوم الجمعة الأخيرة من شهر صفر من عام ١٤٢٠هـ. وطلبت منه مهلة للاستشارة والاستخارة، كعادتي مع مثل هذه النقلات النوعية، إذ إنَّ الوزارة بحدِّ ذاتها عبء ثقيل، ووزارة العمل والشؤون الاجتماعية عبء على عبء في مجاليها الشأن الاجتماعي والشأن العمَّالي.

العمل وزيرًا تكليفٌ وتشريف لم أكن أتوقَّعهما أو أتطلَّع إليهما، ومن ثمَّ لم أكن أرى نفسي وزيرًا ابتداءً، ناهيك عن أن أكون وزيرًا للعمل والشؤون الاجتماعية، وكثيرًا ما أبديت عدم الرغبة في شغلها. وكان طموحي يتوقَّف عند التدريس بالجامعة والبحث العلمي والإسهام في خدمة المجتمع بالكتابة والتأليف والمحاضرات والأنشطة العلمية واللجان المنتجة والمجالس العلمية والمؤتمرات والندوات واللقاءات العلمية، ولكن الواجب تجاه هذا الوطن الذي وضع ثقته في أحد أبنائه لخدمة الوطن والمواطنين يحتِّم عليَّ خدمته في أي مجال تُمنح فيه الثقة بي، وهو ما أشار به عليَّ من أثق بمشورتهم، كلما عُرِضتْ عليَّ مهمَّة فوجدت أني دونها، لا سيَّما أني كنت من المنتقدين للوزارة في مجالات الشؤون الاجتماعية والضمان الاجتماعي، عندما كنت في مجلس الشورى.

لا أعلـم إلـى الآن الحكمـة مـن الجمـع بيـن العمـل والشـؤون الاجتماعيـة في وزارة واحدة، ليس على المستوى المحلِّي، بل على المستوى الخليجي والعربي والدولـي، إذ إنَّ كثيـرًا مـن الـدول تجمـع بينهمـا، فوزيـر العمـل هـو وزيـر الشـؤون الاجتماعيـة في غالـب الأحـوال. ووجـدت بعـض الـدول فصلـت بينهمـا، ووجدتنـي أعمـل على فصلهما، وتـمَّ ذلك سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م بفضل الله تعالى ثم بتفهُّـم القيـادة أنَّ الشأن العمَّالي لـم يعُد شأنًا اجتماعيًّا، أكثر من كونـه قـد تحوَّل إلى شأنٍ اقتصـادي.

على أيِّ حـال لـم يمهلنـي سـمو الأمير الفاضـل «تركي بـن عبـدالله» طويـلاً، إذ أخبرني أنـه يريـد الإجابـة عاجـلاً؛ لينقلهـا إلـى القيـادة. وبعـد الاستشـارة والاستخارة توكَّلـت علـى الله وقبلـت الثقـة الملكيـة، علـى توجُّـس منـي وخـوف ورهبـة، فلـم أكـن أرى نفسـي يومًـا مـن الأيـام أصـل إلـى هـذا، وأرجـو أنْ يكـون مبعـث الوصـول إلـى هـذا المستوى رضـا الله تعالـى ثـم رضـا الوالديـن، اللذيـن لـم يكونـا موجوديـن ليمـدَّاني بالدعـاء الـذي عـوَّداني عليـه.

قابلـت بعدهـا سـمو ولـي العهـد الأميـر «عبـدالله بـن عبدالعزيـز» وسـمو النائـب الثـاني الأمير «سـلطان بـن عبدالعزيـز» - رحمهمـا الله تعالـى - وتلقَّيـت توجيهاتهمـا قبـل الإعـلان عـن التشـكيل الـوزاري الجديـد في يـوم الأربعـاء ٢/ ٣/ ١٤٢٠هـ الموافـق ١٦/ ٦/ ١٩٩٩م. وهـو يعـدُّ التشـكيل الـوزاري الثـاني بعـد صـدور نظـام مجلـس الـوزراء الجديـد سـنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م مصاحبًـا لصـدور النظـام الأساسـي للحكـم، ونظـام مجلـس الشـورى ونظـام مجالـس المناطـق.

في طريقـي للسـلام علـى سـمو ولـي العهـد قابلـت معالـي الشـيخ «محمـد بـن إبراهيـم بـن جبيـر»- رحمـه الله تعالـى - خارجًـا مـن مكتـب سـمو الأميـر «عبـدالله»، فسـلَّمت عليـه ثـم سـألني: أمسـافر أنـت؟ فلـم أفهـم قصـده إلا بعـد تحليـل لسـؤاله المفاجـئ الـذي كان يقصد بـه - علـى مـا فهمـت - أنني تـاركٌ مجلـس الشـورى إلـى مهمـة أخـرى، لا سـيَّما أنـه طُلـب منـي التحفُّـظ علـى الخبـر حتـى إعلانـه.

باشرت العمل بالوزارة يوم السبت ٥/ ٣/ ١٤٢٠هـ الموافق لـ١٩/ ٦/ ١٩٩٩م، وقبلها تلقَّيت التهاني، ووفد إليَّ في بيتي المتواضع في حيِّ القدس شرق الرياض الأحبَّة والأصدقاء وغيرهم، ومنهم الصحفيون الذين أحرجوني كثيرًا، في الوقت الذي لا أرغب فيه في البروز الشخصي، رغم ما أثير حولي في الصحافة، حينما أبرزت إحدى الصحف المحلِّية مقابلةً معي، وصورة كبيرة لي! بقدر ما أرغب في إبراز الجهة التي أعمل فيها.

هذا التوجُّه كان أوَّل «توجيهاتي» لزملائي في العلاقات العامة والإعلام بالوزارة بأنْ يتجنَّبوا إبراز هذا الشخص وصوره في الصحافة، ويركِّزوا على إبراز الجهود التي تقوم بها الوزارة، لأنها عندي ليست جهود الشخص وحده، ولكنها جهود المجموعة كلها، التي تعمل معه ويعمل معها.

مما يؤيِّد هذا الإحراج أنَّ أحد الكتاب الصحفيين قد اتَّهمني مباشرة بالرغبة في البروز، بإتاحتي الفرصة لهؤلاء الشباب من الصحفيين أنْ يكتبوا ما يريدون هم، لا ما يريده مَن أتاح لهم المجال للحديث معهم. وقد عانيت من هذا كثيرًا حتى أنَّ زميلي الأستاذ «عوض بن بنيَّة الردَّادي» وكيل الوزارة للشؤون الاجتماعية المكلَّف حينها - رحمه الله تعالى - هرع إلى داره القريبة في حيِّ الروضة، وأحضر لي بعض المعلومات واللوائح لمجالات الخدمات الاجتماعية التي تقدِّمها الوزارة، لا سيَّما أنِّي كنت على جهل بالتفصيلات لهذه الخدمات.

مهما يكن من أمر فقد باشرت العمل تحت فلسفة أنْ يسيِّرني العمل، لا أنْ أسيِّر العمل، بمعنى أنْ أسعى إلى التطوير والامتداد الأفقي والرأسي في الخدمات في المجالين: العمل والشؤون الاجتماعية، لا أنْ أُبقيَ على الأمر كما هو عليه، وأحرص على سيرانه «على خير ما يرام»! مكتفيًا بساعات الدوام الرسمية من السابعة والنصف صباحًا إلى الثانية والنصف ظهرًا.

أنْ يسيِّرني العمل هو أنْ أعمل على مدار الساعة، حتَّى في أحلامي! ولا مبالغةَ في هذا، وكيف وأنا أحسب الأجر عند الله أكثر من مجرَّد الراتب المجزي الذي اتسلَّمه نهاية كلِّ شهر، أجرًا رسميًّا - بحمد الله تعالى - لا ينقص إنْ لم يزدْ!

لم أقدُم للوزارة لآتي بما لم تستطعه الأوائل، ولكني جئت إليها مع شعوري أنه في الإمكان أبدعُ مما كان، ذلك أنَّ الشأنين العمَّالي والاجتماعي بشقِّيه: الرعاية الاجتماعية والتنمية الاجتماعية من جهة، والضمان الاجتماعي من جهة أخرى، شأنان متجدِّدان متطوِّران متوسِّعان، ونتائجهما غير مرئية، والإنتاجية فيهما غير واضحة تمامًا، ولا يمكن التعبير عنها بالأرقام والإحصائيات، أي أنها ليست بالضرورة قابلة للقياس الدقيق، كما هي واضحة في التعليم والصحَّة والمواصلات والبلديات والزراعة وغيرها. فالعبرة هنا بالناتج لا بالأرقام والبيانات.

تتعامل الوزارة بشقِّها الاجتماعي مع فئات عاجزة، منها من لا يستطيع الشكوى. والعمل الخيري ظاهرٌ فيها، ولذا فالأمانة أمام هذه الفئة عظيمة، وتبعث على الهمِّ والاهتمام. لم يكن العمل مع هذه الفئات يخضع لمفهوم الوظيفة والمساءلة، بل يخضع لمفهوم الخدمة الإنسانية، التي تقترن باحتساب الأجر والثواب من الله تعالى، لا سيَّما مع الشعور بالتقصير في أداء هذه الكوكبة العاملة من الذكور والإناث مع هذه الفئة. ذلك التقصير الذي يدفع إلى الأمام والمزيد، وليس ذلك الشعور بالتقصير الذي يبعث على الإحباط والركون.

مع هذا تحدُث تجاوُزات من بعض العاملين والعاملات، مبعثها «الطفش» وفقدان الصبر وعدم التحمُّل، وأحيانًا أخرى بفعل «الحنيِّة» الزائدة والتدليع المبالغ فيه من باب الشفقة والرحمة للمخدومين والمخدومات من ذوي الاحتياجات الخاصَّة. وأحيانًا ثالثةً بفعل الإحباط الذي يسري في نفوس كثير من الموظَّفين، عندما لا تُتاح لهم ميزاتٌ قد تُتاح لغيرهم ممن هم دونهم في الإنتاجية

والمعانـاة، فتتأخَّـر ترقياتهـم، ولا يُعطـون خـارج دوام، ولا ينخرطـون في دورات أو انتدابـات تنعكـس علـى أدائهـم وأدائهـن.

وينعكـس هـذا المـرض الإداري علـى أداء الأفـراد الذيـن لا يُلامـون علـى هـذا القـدر مـن الإحبـاط. وعلـى أيِّ حـال كانـت كلُّ حادثـة تقصيـر تعالـج في حينهـا، ويختلف العقـاب باختـلاف نـوع التقصيـر مـع الفئـات المخدومـة، مـع التوكيـد علـى عـدم التهـاوُن في هـذا الشـأن مهمـا كانـت الحـال.

مـع هـذا الهـمِّ فقـد جـاء مـن ينصحُنـي، دون طلـب منـي، بـألاَّ أعمـل بجـدٍّ؛ إذ ذكـر لـي هـذا الناصـح المحبـط - رحمـه الله تعالـى وعفـا عنـي وعنـه - أنـه عمـل أربعيـن سنة في اثنتيـن وأربعيـن مصلحـة حكوميـة، خـرج منهـا بهـذه النتيجـة المؤلمـة، وقالهـا لـي مباشـرةً: لا تشـتغلْ يـا علـي! كمـا جـاءني مـن ينصحني باسـتغلال المنصـب لأغـراض لا تتَّفـق مـع الأمانـة التـي حُمِّلتهـا أمـام الله تعالـى، ثـمَّ أمـام ولـيِّ الأمـر. ومـن ذلـك مـا نصحني بـه بعض الأحبَّـة بـأنْ أطلـب لنفسـي بعـض المنافـع الخاصَّـة!

أمَّـا الناصـح الأميـن الـذي يعـرف طبيعـة هـذا الشـخص، حيـث «بخننـي» مـن قُـربٍ، أي عرفنـي بعمـق، ونصحنـي ببـذل قصـارى مـا أسـتطيع لخدمـة هـذا القطـاع الحيـوي، ومـع هـذا فقـد أكَّـد علـيَّ ألاَّ أنسـى نفسـي. وأحسـب أني جعلـت هـذه النصيحـة مـن هـذا الناصـح الأميـن في الذهـن، ويظهـر أننـي قـد أخللـت بالجانـب الأخيـر مـن النصيحـة، وهـو نسـيان النفـس فقـد صعُـب علـيَّ ذلـك، كمـا بـدا لمـن حولـي. والحمـد لله ربِّ العالميـن.

*****

الوقفة الثانية والعشرون:
الوزارة (٢)

لقد وجدت في الوزارة حينما خدمت فيها من الزملاء تطلُّعًا إلى الإنتاجية والتطوير. ووجدت كذلك من يتطلَّعون إلى المناصب، ويلبسون أنفسهم ثياب غيرهم، ويرون أنهم وحدهم الواعون وغيرهم مجموعة من «كَرَب الأوادم»، ولم يعجبهم العجب، ورغبوا في تغيير جذري يمسُّ الأشخاص والمناصب. ووجدت النمَّامين والمغتابين والوشاة فلم أُلقِ لهم بالاً، بل إني صددتهم برفق، لا سيَّما أنني قد تعرَّضت للوشاية أكثر من مرَّة، قبل قدومي للخدمة في هذه الوزارة.

وجدت الرافضين لهذا القادم الجديد، الوزير القادم من مجلس الشورى، لا سيَّما أنه أقرب منهم إلى الشباب، وهم كبار ومتجذِّرون في الوزارة، ولهم قصب السبق، فانعكس هذا على أدائهم، وشعروا أنهم أولى من غيرهم بالترقية والتعيين. ووجدت كذلك مَن لا لهم ولا عليهم، يحضرون ويؤدُّون عملهم ويخرجون، لا زيادة ولا تقصير، لا تقرُّب ولا تزلُّف، لا تكاد تراهم إلا في تهاني العيد، التي تُعقد في أوَّل يوم لعودة الموظَّفين من إجازة العيد، حفظوا كرامتهم، فحُفظت لهم كرامتهم، أكرموا أنفسهم، فأكرمهم الآخرون، وربما قصَّرت الوزارة - كعادتها - معهم، وهذا هو الغالب في كثير من الأحوال.

كان منسوبو الوزارة يستغربون إذا ما أرسلت لهم تهنئة بالترقية، فلم يكونوا تعوَّدوها، بقدر ما تعوَّدوا أنها لا تأتي إلا بالمنَّة. ذكر لي واحدٌ منهم - وقد قابلني بالدموع - أنه عندما تسلَّم خطاب التهنئة المختوم بدا عليه الخوف، ظنًّا منه أنه خطاب لفت نظر؛ لعمل لم يقم به أو لخطأ لم يرتكبْه ليلفت عليه النظر. كانت التهنئة تقليدًا حرصت عليه بإصرار، عندما شعرت أنَّ كلمةً طيِّبةً تبعث معنويةً عاليةً في النفوس، مما ينعكس على أداء الموظَّف والموظَّفة. ولقيت من هذا الإجراء ثناءً لا أزعم أنه مستحقٌّ، لا تواضُعًا منِّي، ولكنه ثناءٌ على فعلٍ مطلوب.

استفدت في هذه الخطوة في التهنئة المكتوبة من شيخي فضيلة الأستاذ الدكتور «عبدالعزيز بن أحمد الرومي»، الذي عمل وكيلاً لجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، عندما كان يهنِّئ أعضاء هيئة التدريس بالجامعة مع كلِّ ترقية يحصل عليها عضو هيئة التدريس من أستاذ مساعد إلى أستاذ مشارك، ومن أستاذ مشارك إلى أستاذ. فكان لهذه الخطوة أثرٌ واضحٌ في نفوس الأساتذة، وأثنى الناس عليها وعلى أنها بادرة طيِّبة تُذكر فتُشكر. وعندما عُرضت الفكرة على وكيل لاحق أجاب بأنه يبشُّ في وجوه الأساتذة مباشرةً، ولا يحتاج إلى خطاب تهنئةٍ! فما بشَّ في وجوههم ولا أرسل لهم خطابات تهنئة!

اتُّهمت في تعاملي بهذا الأسلوب وغيره مع الجميع بالعفوية والتلقائية والشفافية والمباشَرة والصراحة الزائدة والتبسُّط والبعد عن الدبلوماسية، وعدم الحرص على بروتوكولات المناصب و«الإتيكيت». واتَّهمني الكثير بعدم الرقي في تصرُّفاتي إلى منصب الوزير، فلم أعمد إلى تأخير مواعيد المقابلات، والتحجَّج بالاجتماعات، أو إيجاد هالة من الحُجَّاب والعاملين، والتعامُل الرسمي الجافِّ مع المراجعين، واستغلال إمكانات الوزارة لأغراضٍ شخصية، وغير ذلك من الاتِّهامات التي لم أرَ فيها ما هو غير عادي في التعامُل مع الآخرين.

وجدت أنَّ الوزير يصلِّي مع بعض العاملين بالمكتب في الصالة المفضية إلى المكتب، بمعزل عن بقية موظَّفي الوزارة، الذين يصلُّون بمسجد الوزارة. وبعد حوالي أسبوع رفضت الفكرة ونزلت إلى المسجد مع بقيَّة المصلِّين.

ويذكر لي الصديق الدكتور «عبدالإله المؤيَّد» - رحمه الله تعالى - أنه شاهدني مرَّةً خارجًا من المسجد وقد وضعت يدي على كتف أحد عمَّال النظافة، وكأنه استكثر هذا مني، مع أني لا أذكر هذا الموقف. ولم أجد أنَّ هذا الفعل قد قلَّل من قيمتي - ولله الحمد والمنَّة -.(١)

---

(١) توفِّي الأخ عبدالإله المؤيَّد في رمضان من سنة ١٤٣٤هـ يوليو ٢٠١٣هـ بعد معاناة مع المرض الخطير - رحمه الله تعالى رحمة واسعة - وترك عملاً خيريًا وأولادًا صالحين يدعون له.

كنت أنظر إلى هذه الاتِّهامات بعدم الرقيِّ إلى مقام الوزير على أنها الوضع الطبيعي، الذي ينبغي أنْ نكون عليه، إذ المعلوم أنَّ المناصب تأتي وتذهب، وتبقى بعد ذلك وقبله العفوية والواقعية والبساطة في التعامُل مع الآخرين. ومع هذا فقد تكون عفويتي هذه قد جنت عليَّ من حيث لا أعلم، بما في ذلك تحميل ما أقول من باب الطرافة أكثر مما يُحتمل، وأكثر مما أريد منه أنْ يُحمل عليه، الأمر الذي لم أرَ فيه أيَّ غضاضة، وذلك بإصراري على هذا النهج الذي لم أرَ فيه أيَّ تصنُّع.

ومن ذلك استغلال اسمي الأخير «النملة» في الاختباء وراءه عن أي تقصير يحصل مني، وقد ذكرت مرَّة عند أحد المسؤولين، وقد تأخرت عن موعد مضروب أنَّ النملة بطيئة وتتأخَّر، لكنها في النهاية تصل. ولعلَّ هذا المسؤول قد أساء فهم هذه العبارة، وحمَّلها أكثر مما تحتمل.

استعنت بالله ثم بصديقي وزميلي الأستاذ الدكتور «إبراهيم بن محمد الحمد المزيني»، أستاذ الحضارة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، في العمل معي مديرًا عامًّا مكلَّفًا للمكتب. وقد كلّف نفسه كثيرًا، كعادته في أدائه عمله. وقد عرفته متفانيًا منكرًا لذاته، منذ أنْ التقيت به بكلية العلوم الاجتماعية بالرياض، عندما عملنا سويًا في لجنة رصد الدرجات سنة ١٤٠٤هـ مع أخي الثاني الأستاذ الدكتور «عبدالعزيز بن إبراهيم العُمري».

وبعدها توالت لقاءاتي العملية به، وكل مرَّة يزداد إعجابي به وببذله أكثر من طاقته. ولم أشأ أنْ أثقل عليه بالزيادة في مدَّة التعاون، إذ اكتفيتُ بالإفادة من إمكاناته للسنتين الأوليين من التكليف بالوزارة، ثم اتَّخذت منه مستشارًا للوزارة غير متفرغ. وما يزال يعاملني معاملة خاصَّة تقوم على تقديره لشخصي، الأمر الذي يجعلني أُحرج من هذا التقدير، الذي لا أملك له ردًّا إلا الدعاء له ولوالديه وولده.

رغم اقتناعي بهذا الإجراء في الإفادة من الطاقات التي تكون موضع ثقة وفيها تقارُبٌ في الرؤى والأفكار، وهو إجراء متَّبع يستفاد من خلاله بالطاقات العلمية والعملية المؤهَّلة، فقد كانت تصلني رسائل من مجهول، لم يكن مرتاحًا لأسلوب التعاون بيني وبين الأستاذ الدكتور «إبراهيم بن محمد المزيني»، وطفقتْ هذه الرسائل تَرمي عليَّ وعليه الاتِّهامات من تهمة إلى أخرى، لا سيَّما عند البدء بترميم بعضٍ من مبنى الوزارة شمل مكتب الوزير. ومع أني نُصحت كثيرًا بعدم الالتفات إلى رسائل المجهولين، وهذا توجيه حكومي رسمي عام، إلا أني كنت أخشى دائمًا أنها صادرة عن موظَّف مظلوم بأيِّ نوع من أنواع الظلم، أو من مراجع لم يحظَ بحقٍّ من حقوقه على الوزارة. وما أزال أحتفظ بهذه الرسائل عندي.

مع هذا فلم أغفل أنَّ هناك فئاتٍ ضعيفةَ النفس مهزوزة، تختبئ وراء أسماء مستعارة، وترسل ما ترسل بالبريد حتى إنَّ إحدى هذه الرسائل قد وقِّعت باسم أخي الشيخ «محمد بن إبراهيم النملة»، الذي لم يكن بحاجة لمكاتبتي نظرًا لما بيننا - ولله الحمد والمنَّة - من شفافية ووضوح. والآن جاء دور الإنترنت والتواصُل الاجتماعي الذي يُعدُّ - في وجه من وجوهه - صحافة المجاهيل في هذا الجانب.

وكم تمنَّيت أنْ يتفضَّل هؤلاء، وهم قلَّة - ولله الحمد - بمقابلتي ليبدوا ما لديهم، لأنِّي لم أشأ أنْ أفرض هيبةً ما بالإهانة أو الإساءة لأيِّ مخلوق. ويُنقل عن «ابن الجوزي» قوله: «ما يزال التغافُل عن الزلاَّت من أرقى شيم الكرام، فإنَّ الناس مجبولون على الزلاَّت والأخطاء، فإنْ اهتمَّ المرء بكلِّ زلَّة وخطيئة تَعِبَ وأتعبَ». وأعيد هنا قول الشاعر العبَّاسي «بشَّار بن برد»:

إذا كنت في كلِّ الأمور معاتبًا ... صديقك لم تلقَ الذي لا تعاتبه
فعشْ واحدًا أو صلْ أخاك فإنه ... مقارفُ ذنبٍ مرَّةً ومجانبُه

ثـم إني وفِّقـت في الإفـادة مـن خدمـات أخـي الأسـتاذ «محمـد بـن عبدالعزيـز الهـزَّاع»، منقـولاً مـن جامعـة الإمـام محمـد بـن سـعود الإسـلامية، وكان في المرتبـة السـابعة، بسـبب انقطاعـه عـن العمـل الحكومـي، وتوجُّهـه إلـى القطـاع الأهلـي، لتنميـة موهبتـه الفنيـة في الخطـوط، إلا أنَّ الريـاح لـم تجـرِ بمـا تشـتهيه سـفنه، فعـاد إلـى القطاع الحكومي بعدما أنفق سنين يستحقُّ عليها أنْ يكون في مرتبة أعلى من العاشـرة في أدنـى تقديـر، ولكـن هـذا قـدره، وهـو راض بـه.

وقـد حاولـت مـع الجهـة المعنيـة وديًّا تحقيـق شـيء مـن الترقيـة الاسـتثنائية لـه، ولكـن دون جـدوى؛ لأنَّ التوجيهـات لـم تعُـدْ تتيـح ذلـك، ربَّمـا لسـوء اسـتخدام هـذه الميـزة. وكانـت فائـدتي منـه تسـتحقُّ هـذا التقديـر منـي، فلـم أطلـب الإفـادة منـه لمجرَّد المعرفـة والصداقـة مـع وجودهمـا، فليـس في الـوزارة مكـان لهـذه الاعتبـارات، رغـم مـا قـد يقـال في مثـل هـذه المواقـف، ولكنـه صاحـب خبـرة وسـعة أفـق وصاحـب رأي، وهـو ممـن يوثـق بـه ويؤتمـن علـى أسـرار المكتـب.

كمـا وفِّقـت - ولله الحمـد والمنَّـة - إلـى نقـل خدمـات الزميـل الـوفي «فهـد بـن حمـود الدحيـلان الشـمَّري» ليعمـل معنـا في المكتـب، وكان يعمـل أمينًـا لقسـم التاريـخ والحضـارة بكليـة العلـوم الاجتماعيـة بجامعـة الإمـام محمـد بـن سـعود الإسـلامية. وهـو مثـال للشـاب العامـل المتفـاني في أدائـه، ينكـر ذاتـه ويذلـل جميـع الصعـاب «اللوجسـتية» في سـبيل تحقيـق متطلَّبـات المسـؤول، ويبـادر في طـرح الـرؤى والأفـكار التـي تخـدم العمـل، فلـم يكـن تنفيذيًّـا فحسـب، بـل كان صاحـب رأي. لقـد كان مكسـبًا لمـن يعمـل معـه.

ومـا تـزال علاقتـي بـه قائمـة علـى النهـج الـذي قامـت عليـه في البدايـة، ويكرمنـي دائمًـا بمبادراتـه الطيبـة ووفائـه، ويحـرص علـى إطلاعـي علـى المسـتجدَّات. جـزاه الله تعالـى عنـي خيـر الجـزاء.

وأثناء تحمُّل المسؤولية كنت أتحيَّن الفرص لمواصلة القراءة في السيارة أو الطائرة أو الإجازات ونحوها، ثم أدوِّن في آخر الكتاب التاريخ واليوم والمكان الذي أتممت فيه قراءة الكتاب، فأستدعي غيره للقراءة، وهكذا. واستمرّتَ معي هذه الحال إلى يومنا هذا.

وأحيانًا أنزع إلى إعداد بعض المؤلَّفات الفكرية، إلى درجة أنْ ينتقدني أحد الزملاء في المهنة العلمية من جامعة الملك خالد بعسير، وكان يكتب في صحيفة الوطن، متسائلاً حول وضعي: أمسؤول أنا أم دار نشر؟! وذلك بعد أنْ اطَّلع على كتاب «الشرق والغرب» في طبعته الأولى، وأثنى على الجانب العلمي للكتاب، فأراد أنْ ينتقدني سلبًا، لكنه مدح علميتي وما شاء الله تبارك الله.(١)

لم أردّ على الدكتور، وإنْ كان الأستاذ الفاضل «حمد بن عبدالله القاضي» قد كتب له رسالة عتاب، وزوَّدني بنسخة منها مع ما قاله الدكتور عني. وكان ردِّي على هذا الزميل أنْ أهديه نسخة من كلِّ مؤلَّف يظهر لي مع خطاب أطلب فيه منه ألا يذهب ذهنه إلى رغبتي منه في الكتابة عنها في زاويته. عفا الله عنِّي وعنه فلم أكن الوزير الوحيد الذي كانت له إصدارات أثناء عمله بالوزارة، بل إنَّ هناك من فاقني كثيرًا في الإصدارات العلمية الرصينة من أمثال معالي الدكتور «عبدالله بن عبدالمحسن التركي» ومعالي الدكتور «عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر» - رحمه الله تعالى - ومعالي الدكتور «غازي ابن عبدالرحمن القصيبي» - رحمه الله تعالى - وغيرهم أثناء العمل الرسمي، فلا تعارُض بين هذا وذاك.

* * * * *

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الشرق والغرب: محدِّدات العلاقات ومؤثِّراتها.- الرياض: المؤلف، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.- ٢٤٧ ص. وصدرت للكتاب طبعتان أخريان.

الوقفة الثالثة والعشرون: إدارة العمل الاجتماعي

إذا كنتُ قد اتُّهمت بالطيبة الزائدة فإنَّ العمل بالشأن الاجتماعي لا يتيح هامشًا كبيرًا للطيبة العادية، ناهيك عن الزائدة، ذلك أنَّ رعاية هذه الفئات تتعرَّض إلى ملحوظات جوهرية في خدمة هؤلاء، وأيُّ تقصير بشري في حقِّهم يثير الناس القريبين العاملين في الدور، والبعيدين المستفيدين من خدمات الوزارة، ممن يظنُّون أنَّ لهم حقًا من الإعانات التي تقدِّمها الوزارة، على مستوى الضمان الاجتماعي أو الشؤون الاجتماعية من رعاية أو تنمية. وقبل ذلك المسؤولية أمام الله تعالى ثمَّ أمام ولي الأمر الذي أولى هذا الشخص ثقته وأنابه عنه في هذا المجال الحيوي، الذي يمسُّ رقعة مهمَّة في تركيبة الدولة.

والعمل الاجتماعي من الأعمال التي لا تخضع - بالضرورة - للهاجس الوظيفي الرسمي، بالانطباع السريع، الذي يقوم على مفهوم الوظيفة الرسمية بوصفها الوظيفي، أي أنَّ العمل الاجتماعي ليس وظيفة إدارية فحسب، بل هو خدمة راقية يؤدِّيها مَن ينتسب إلى هذا العمل من الرجال والنساء، وهو يحتسب في أدائه هذا رضًا ذاتيًا أكثر من مجرَّد الرضا الوظيفي، القائم على الوظيفة التي تعتمد على التنظيم الإداري من الحضور والانصراف، وتحقيق أهداف الوظيفة ووصفها، ويقوم على ما يتسلَّمه الموظَّف أو الموظَّفة من الراتب الشهري والحوافز المادِّية الأخرى من الانتدابات وخارج الدوام والندوات إذا تحقَّقت، وما إليها مما هي من ضرورات العمل الإداري.

الذين يعملون في الخدمة الاجتماعية يتعاملون مع الإنسان المحتاج، وكلُّ إنسان اليوم محتاجٌ إلى نوع مَّا من أنواع الخدمة الاجتماعية، ويواجه هؤلاء العاملون ميدانيًا قضايا متكرِّرة أو طارئة تتطلَّب منهم ضخًّا إنسانيًا ذاتيًا، يخرج عن مفهوم الأداء الإداري المعتاد.

ولئلاَّ يساء الفهمُ في هذه التفرقة بين العمل الاجتماعي وغيره من الأعمال لا بُدَّ من التوكيد على أنَّ العمل الاجتماعي هنا لا يقتصر على ما تقوم به جهةٌ رسمية واحدة بعينها، وزارة الشؤون الاجتماعية مثلاً، بل إنَّ هناك خدماتٍ اجتماعيةً متعدِّدة، تقوم بها جهات رسمية وغير رسمية أخرى، ولذلك فإنَّ إعطاء العمل الاجتماعي بالمفهوم الإجرائي قيمةً متميِّزةً لا يعني نزعها عن الأعمال الأخرى، ففي كلِّ الأعمال خير يعود على العامل نفسه أوَّلاً، ثمَّ يعود على المواطن والوطن الذي يستحقُّ منَّا جميعًا التفاني في خدمته وحمايته، بحيث نسألُ أنفسنا: ماذا قدَّمنا لهذا الوطن، لا أنْ نسألَ غيرَنا: ماذا قدَّم لنا الوطن، فالوطن قدَّم لنا الكثير، ويقدِّم لنا الكثير - بحول الله تعالى وقوَّته - ثمَّ بفضل قيادة تحمل همَّ رفاهية المواطن.

العناية المباشرة بهذه الفئات المخدومة من قبل الشؤون الاجتماعية كانت مجال قلق زائد لي ولزملائي العاملين في الرعاية الاجتماعية والضمان الاجتماعي؛ خوفًا من التقصير في خدمتهم. ولدى الوزارة عدد من دور الرعاية الاجتماعية من أيتام ومعوقين ومسنين، وذوي جنح ومتمرِّدين على ذويهم. وهم «الشطَّار» باللغة العربية الفصيحة. كل فئة من هؤلاء لها معاملة خاصَّة في دور ومراكز خاصَّة، وداخل كلِّ فئة فئات متفاوتة في حجم الاحتياجات. بعضهم يحتاج إلى العناية الشخصية المباشرة. وقد أسندت العناية الشخصية المباشرة - في الغالب - إلى وافدين ووافدات، بالإضافة إلى المواطنين والمواطنات، فكانت هناك تجاوُزات مع فئات لا تعرف كيف تشتكي. وكانت هناك مساعٍ للمتابعة والمراقبة، ولكن كانت هناك أحيانًا لا مبالاة واتِّكالية، مع وجود الحزم في العقاب إذا ما ثبتت التجاوزات. وقد ثبت لي أنَّ إدارة العمل الاجتماعي هي من أصعب أنواع الإدارات، إنْ لم تكُن أصعبها، وجميعها صعب.

الضمان الاجتماعي يقوم على الزكاة التي تجبيها الدولة، فتصبُّ الجباية في صندوق الضمان الاجتماعي لدى البنك المركزي السعودي «مؤسَّسة النقد

العربي السعودي» سابقًا. ومشكلة هذا الإجراء الرائع حقًّا والآمن في الوقت نفسه هي الهاجس من إعطاء من لا يستحق على حساب منع من يستحق.

كانت الفلسفة أنَّ إعطاء من لا يستحقُّ الضمان من أهل الزكاة خير من حرمان من يستحقُّه، وهي فلسفة الأخ الزميل الأستاذ «عبدالله بن محمد أبا بطين» التي كان يتمثَّلها عندما كان وكيلاً للضمان الاجتماعي فكوَّن خبرةً عريضةً في هذا المجال، ولم يعني هذا التجاوز في مسألة إعطاء من لا يستحق، بقدر ما يعني عنده وزملائه عدم حرمان من يستحق. والناس تضعف مع المادَّة، لا سيَّما إذا كانت عن طريق الحكومة، مع ضعف التوعية الإعلامية حول المستحقِّين الحقيقيين.

أظنُّ أنَّ هذا الهاجس قد ولَّد وسواسًا لدى بعض المعنيين في الضمان الاجتماعي في مكاتب الضمان الاجتماعي المنتشرة في أرجاء البلاد، بحيث أصبح الأصل عندهم - ولا يُلامون كثيرًا - هو أنَّ الشخص غير مستحقٍّ حتى يثبت استحقاقه، بدلاً من أنْ يكون الأصل في الشخص المتقدِّم للضمان أنْ يكون مستحقًّا حتى يثبت عدم استحقاقه.

ومع هذا فقد عُطِّلت حفاظًا على كرامة المواطن إلى حدٍّ ما بعض الموادِّ العقابية في نظام الضمان الاجتماعي ذات العلاقة بمعاقبة من يثبت عدم استحقاقه، الأمر الذي تحرص عليه الدولة وتسعى إلى تحقيقه، لا سيَّما فيما له علاقة بحقوق الدولة أو الحقوق العامَّة، دون تهاوُن في تطبيق شرع الله على من يتخطَّى الحدود الإنسانية التي يتيحها الشرع الحنيف.

جانب التنمية الاجتماعية لديه تحدِّياته أيضًا. وتبرز التحدِّيات في إدارة الجمعيات الخيرية، التي تقوم على المرونة في الإدارة، والرغبة في سرعة اتِّخاذ القرار والتيسير على المحتاجين، والبعد عن البيروقراطية وكثرة النماذج والأوراق يوم كانت الأوراق حاضرةً بوضوح. وفي الوقت نفسه ضمان عدم سريان الفساد

المالي والإداري، لا سيَّما مع تدفُّق السيولة والمواد الإغاثية طيلة اليوم، وربما اليوم والليلة في المواسم الخاصَّة.

الجمعيات الخيرية والتعاونية تعتمد في تكوين مجالس إداراتها على الانتخابات، وتكاد تكون هي التجربة الانتخابية الأولى في المملكة العربية السعودية (١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م)، تبعتها في ذلك تجارب أخرى، كالغرف التجارية الصناعية، ثم المجالس البلدية (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

ولذلك ربَّما تكون عضوية بعض الجمعيات عرضةً لهاجس الوجاهة الاجتماعية لدى بعض أعضاء المجالس فيها، ثم الصعوبة في «التخلُّص» من هؤلاء الأشخاص المستوجهين، الذين ربَّما أسهم بعضهم في تقهقر العمل الاجتماعي في القطاع الثالث، لا سيَّما في العمل الإغاثي، دون أنْ يدركوا ذلك أو يقصدوه. فالنية طيِّبة والإخلاص حاصل، لكن النية الطيِّبة والإخلاص وحدهما لا يكفيان إذا لم يقترنا دائمًا بالصواب. ويتأكَّد هذا عند بعض الفئات القليلة ممن يبحثون عن الوجاهة الاجتماعية، من خلال الانخراط في الجمعيات الخيرية.

تفتقر الجمعيات الخيرية - وهي من فروع التنمية الاجتماعية - إلى العنصر التطوُّعي الملتزم. وتعاني الجمعيات من دخول عناصر اجتماعية تطوُّعية فيها أيضًا خير دون شكٍّ، إلا أنَّ هاجس الوجاهة الاجتماعية لديها قويٌّ في بعض الأحيان، مع محدودية إمكاناتها في العمل الخيري. وقد عانت الوزارة وما تزال تعاني من هذه الفئة، التي تسهم في الحدِّ من التطوير في نوعية العمل الخيري.

ولقد كانت لي مواقفُ عمليةٌ مع هذه الفئة من الأشخاص ذوي الأبعاد الوجاهية، فعمدت إلى التنسيق مع أصحاب السمو أمراء المناطق في إعادة تكوين مجالس الإدارة، والعمل على ترك إعادة انتخاب هذه الفئة إلى الجمعيات العمومية، التي قد تشتكي بدورها من تسلُّط هذه الفئة، فوجدت الدعم من أصحاب السمو أمراء المناطق، وغيَّرت في بعض مجالس الإدارة، مما انعكس

إيجابًا على العمل الخيري والاجتماعي، فتوارى هؤلاء الأشخاص عندما رأوا أنَّ الجمعية قد انطلقت. وقد يكون من هواجسهم أنْ تنطلق الجمعية، فلا نصادر هذا البُعد الخيري فيهم، فهم من محبِّي الخير، إلا أنَّ عقدة الوجاهة الاجتماعية قد تكون طغت على البعد الآخر فيهم.

أما الجمعيات التعاونية فإنَّ لها شأنًا آخر، إذ إنها تعتمد على البُعد التعاوني القائم على المشاركات المالية من بعض أفراد المجتمع في تكوين رأس مال الجمعية. وكثيرًا ما تولَّدت المشكلات والخلافات بين المساهمين في هذه الجمعيات، مما يضطرُّ وزير العمل والشؤون الاجتماعية معه إلى إصدار قرار بتصفية الجمعية، بعد عدَّة محاولات. فشل الجمعيات التعاونية مردُّه في الغالب إلى هذه النزاعات، التي تعتمد في معظمها على التسابُق والمُزايدات على العناية بمستقبل الجمعية من زود الحرص، هذا عدا عن الشكاوى الكيدية، واتِّهام بعض الأعضاء العاملين فيها في ذممهم.

قد يعني هذا أنَّ العمل التعاوني - كما العمل التطوُّعي - لم يتبلور في المجتمع السعودي والمجتمع الخليجي، وإنْ كانت الجمعيات التعاونية قد نجحت في الكويت نجاحًا ملحوظًا، حتى تعارف الأهل هناك على تسمية البقَّالات والمحلات التابعة للجمعيات التعاونية بـ«الجمعية».

لقد كانت لي معاناة مع إدارة الجمعيات التعاونية، لا سيَّما في البيئات التي تعدُّ من صفوة المجتمع، كالجامعات التي يسهم في عضوية مجالس إدارتها بعض أعضاء هيئة التدريس المتحمِّسين للعمل الاجتماعي، ثم يتحوَّل هذا الحماس إلى حلبة صراع مع الزملاء الأساتذة والأساتذة المشاركين والأساتذة المساعدين والمحاضرين والمعيدين. وفي كل بيئة ومجتمع يوجد مشاكسون!

وقد أسهمتُ في جمعية تعاونية خاصّةٍ أنا وبعض إخوتي وأخواتي قبل تكليفي بالوزارة بمدَّة طويلة، وذهبت مساهماتنا أدراج الرياح حتى كتابة هذه الخواطر، إذ يبدو أنَّ الجمعية أفلست أو أنها لم توفَّق إلى الإدارة التي تفهم في الاستثمار. وكلَّما قابلت أحد مديري الجمعية - وهو صديق لبعض إخوتي - سألته مداعبًا عن مصير الجمعية، فلا يعلم عنها شيئًا؛ لأنه اعتذر عن عدم مواصلة الإدارة فيها.

وأشير هنا إلى الخبير الممارس في شأن الجمعيات التعاونية الأستاذ أبي يوسف «عبدالله بن محمد الوابلي»، الذي تشرَّب هذا العمل واقتنع بجدواه وضرورته الاجتماعية، وأضحى خبيرًا محلِّيًّا ودوليًّا في هذا الشأن. ونشر الكتب والمقالات عن هذا الهمِّ الذي يحمله. وهو واضع أوَّل مشروع عربي لحوكمة الجمعيات التعاونية وتصنيفها. ويُعدُّ - حسب تصنيف «الاتِّحاد التعاوني العربي» - واحدًا من أبرز عشر شخصيَّات عربية فاعلة في العصر الحديث قدَّمت خدماتٍ جليلةً وملموسةً للقطاع التعاوني العربي، ميدانيًّا وعلميًّا وفكريًّا.

جاء هذا الثناء على أخي أبي يوسف الأستاذ «عبدالله بن محمد الوابلي» في تقديم رئيس الاتِّحاد التعاوني العربي وأمين عام الاتِّحاد في تقديمهما لكتابه «معايير الوابلي لحوكمة وتصنيف الجمعيات التعاونية». وكانت له فيه معاناة وصلت إلى الدخول في نواياه ومقاصده وربَّما في فكره في بعض الأحوال، ولن تذهب هذه الجهود والمعاناة - بإذن الله تعالى - أدراج الرياح.

وكنت قد بدأت نشاطًا تطوُّعيًّا خاصًّا في العمل الاجتماعي يقوم على المحاضرات حول العمل الاجتماعي، ومنه العمل الخيري، سعيت فيه إلى التنظير من خلال عدد من المحاضرات سمَّيتها: خواطر في إدارة العمل الاجتماعي، جِلْتُ فيها البلاد وخارجها، أناقش بعض العقبات الإدارية التي تؤثِّر سلبًا على العمل الاجتماعي الحكومي والأهلي. أثبتُّ أصل هذه الخواطر

في ملاحق هذه السياحة الذاتية. وقد خرجت من ذلك بكتاب نشرته في طبعته الأولى بالرياض،[١] ثم عدَّلت فيها وطبعتها طبعةً ثانيةً في بيروت.[٢]

كما تيسَّر لي الحديث المتكرِّر عن مفهوم التطوُّع في عدد من المحاضرات واللقاءات، جمعها عنوان «عودة إلى مفهوم التطوُّع». وزاد التوكيد عليها بعد صدور نظام العمل التطوُّعي سنة ١٤٤١هـ، بحيث يتبيَّن فيه حقوق المتطوِّع وواجباته، مع متابعة تطوير هذا الأداء، والنظر إلى التطوُّع على أنه داعمٌ مكمِّل لجهود الدولة في مشروعاتها التنموية.

*****

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. العمل الاجتماعي والخيري في منطقة الخليج العربية: التنظيم - التحديات - المواجهة.- الرياض: المؤلِّف، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.- ٢١١ ص.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم النملة. العمل الاجتماعي والخيري: التنظيم - التحديات - المواجهة.- ط٢.- بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.- ٢٣٤ ص.

الوقفة الرابعة والعشرون: معالجة الفقر

في صيف سنة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م طُرح موضوع الفقر في أحد المجالس العليا، وتبودلت فيه الآراء والرؤى. وكنت عضوًا في ذاك المجلس، إلا أنني كنت حين طُرح الموضوع للنقاش في إجازة عادية. وعندما عدت إلى العمل أخبرني أحد أعضاء المجلس أنَّ موضوع الفقر قد طُرح في ذاك المجلس، وكان إسهامي مطلوبًا بحكم الاختصاص العملي، فكتبت عريضة بخطِّ اليد من خمس صفحات، سعيت فيها إلى وصف الحال، ودعوت فيها إلى وضع إستراتيجية وطنية لمعالجة الفقر، وتخصيص مبلغ كبير للإعداد للإستراتيجية، وسلَّمتها للمسؤولين. ولعله من صدى هذه العريضة أنْ أعاد المسؤول طرح الموضوع في ذاك المجلس بحضوري، فبيَّنت لأعضاء المجلس رأيي ورؤيتي، فلاقت استحسانًا، وبدأ الترتيب للانطلاق.

كانت التوجيهات أنْ تقف القيادة على الواقع مباشرةً، فتعلن انطلاقة المعالجة من الميدان. وتحدَّدت ليلة السادس عشر من شهر رمضان المبارك من تلك السنة أنْ يزور سمو ولي العهد نيابةً عن خادم الحرمين الشريفين أحد الأحياء الفقيرة. وكان الحي بمدينة الرياض. وكان لهذه الزيارة وقعٌ غيرُ عادي على المستويين المحلي والدولي، وكُتبت عنها المقالات، وكثُر عنها الحديث.

وكان التوجُّه هو معالجة الفقر بطرق غير تقليدية، والتركيز على اعتماد الفقير القادر بإمكاناته على تفعيل قدراته على العمل والإنتاج، والابتعاد عن سلوكيات تقوم على العطايا.

ورغم أنني لم أكن المسؤول الوحيد والمباشر عن هذه الخطوة الجريئة من القيادة، إلا أنَّ الناس فهمتْ أنني وراء هذه الخطوة، فاستمرَّ الثناء والذكر الحسن،

وكان من آخرها وريقة ناولنيها أحدُ الشباب الذين حضروا ملتقى التطوع بين الانفرادية إلى الاحترافية في الغرفة التجارية الصناعية بالمنطقة الشرقية في مطلع شهر صفر ١٤٣٠هـ فبراير ٢٠٠٩م، يقول فيها: «صاحب المعالي، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. لقد ذكَّرني فعلك عند زيارة الفقراء بالرياض منذ بضع سنوات بفعل المستشار الناصح «رجاء بن حيوة» مع الخليفة «عمر بن عبدالعزيز». أيام الدنيا لا تدوم، ولكن أعمال الخير هي الباقية إلى قيام الساعة، والجزاء الأكبر والأهمُّ جزاء ربِّ العباد لك في الآخرة. محبُّك في الله». ولم أعرف اسم كاتبها، ولكن أنْ يقرن اسمي بـ«رجاء بن حيوة» فهذه من المبشِّرات، وهي كذلك من الابتلاء الذي يقع فيه عباد الله الفقراء إلى عفوه ومغفرته.

على أيِّ حال صدرت الأوامر بإعداد الاستراتيجية الوطنية لمعالجة الفقر، وأُعطِيَتْ مدَّة سنتين لإنهائها وتقديمها للجهة المعنية. واحتاجت الإعدادات إلى تمديد المدَّة ستة أشهر أخرى. وقُدِّمت الاستراتيجية على عهد أخي معالي الأستاذ «عبد المحسن بن عبدالعزيز العكَّاس» - رحمه الله تعالى - في يوم الأحد ٢٥/ ٦/ ١٤٢٦هـ.

وأنشئ صندوق معالجة الفقر بمبادرة سامية كريمة، واستقرَّ اسمه على الصندوق الوطني الخيري، واستمرَّ في أداء مهمَّاته، إلا أنني - بعد التقاعُد - لم أكن أتابع برامجه وتفصيلاتها، فقد كان من المنتظر أنْ يكون الصندوق من مشروعات الاستراتيجية ومخرجاتها، بصورة مصرف للفقراء، إلا أنَّ المبادرة في الميدان قد عجَّلت في إعلانه والبدء بوضع لوائحه ومشروعاته، جنبًا إلى جنب مع إعداد الاستراتيجة الوطنية لمعالجة الفقر.

وكنت قد انتخبت الأخ الدكتور «عبدالإله بن محمد المؤيد» - رحمه الله تعالى - لإدارة الاستراتيجية، وتمت الموافقة الأولية على ذلك، إلا أنه حدثت تطوُّرات بعد ذلك دعت إلى أنْ يعتذر الأخ «عبدالإله المؤيد» عن عدم الاستمرار

في إدارة المشروع. ومن هذه التطوُّرات تحقيق صحفي معه في إحدى الصحف المحلِّية ذكر فيه أنه قد يستمر تنفيذ الاستراتيجية عشرين سنة. وكان يقصد أنَّ «معطيات» الاستراتيجية قد تمتدُّ إلى عشرين سنة، لكن «أُغيلمة» الصحافة صاغوا الخبر بما يوحي بأنَّ هذه الاستراتيجية قد تستمرُّ في إعدادها ودراساتها تلك المدَّة. فلم يلقَ هذا التصريح «المفبرك» الترحيب من القيادة، في ضوء الاستبشار بالتغلُّب على مشكلة الفقر في البلاد.

وقد استمرَّت العلاقة بيني وبين أبي أسامة «عبدالإله المؤيَّد» - رحمه الله تعالى - قوية، نتزاور ونلتقي ونتشاور إلى أنْ أراد الله تعالى به خيرًا، ولعلَّه مات ميتة الشهداء، وكان - أحسبه والله حسيبه - يطلب الشهادة. وقد ينظر إلى هذه الأوضاع على أنَّها من مثبِّطات العمل. والعمل - أيُّ عمل - لا يخلو من مثبِّطات، على ما سيأتي تفصيله في وقفة لاحقة.

كما أني رغبت في أنْ يتسلَّم ملفّ معالجة الفقر الزميل الأستاذ الخبير بالشأن الاجتماعي «إحسان بن صالح طيِّب»، ولكن حالت ظروف خارجة عن الإرادة دون تحقيق ذلك، رغم الموافقة الأوَّلية على إدارة الصندوق.

*****

الوقفة الخامسة والعشرون: جبل الأيتام

ومن المواقف التي لا بُدَّ من تسجيلها أنه في جولة خاصَّة قمت بها مع بعض الزملاء في الوزارة عن مواطن الفقر في البلاد؛ تمهيدًا لرسم الاستراتيجية الوطنية لمعالجة الفقر على الواقع، فقد قمنا أنا وزملائي بجولات في الحدود الشمالية من رفحاء إلى طريف مرورًا بقراها وهِجرها. كما مررنا بمهد الذهب. وكانت النيَّة المرور على مواقعَ أخرى في المناطق الأخرى من البلاد - حرسها الله -.

ومررت مع زملائي على جبل الأيتام في منطقة جيزان. وما دلَّنا عليه إلاَّ زميل من المنطقة. وأهلُ مكَّةَ أدرى بشعابها. والصعود للجبل جهدٌ مضنٍ، مما اضطرَّنا لتبديل السيارة من ذوات الدفع الرباعي المريحة إلى أخرى «جبلية» ذات دفع رباعي كذلك، لكنها تتحمَّل الصعود للجبال بانسيابية غير دقيقة وغير مريحة، لنصل إلى بيت متواضع جدًّا نصفُه من القشِّ والقصب. ويخرج علينا شابٌّ يظهر أنه قد صحا من نومه قريبًا، فقد كان ذلك اليوم الخميس وهو يوم عطلة. فسألناه لمن هذا البيت، فأجاب بأنه لأيتام، وهو أكبرهم واسمه «عادل». ويعيشون على بقرة عندهم يحلبونها ويشربون من حليبها، بالإضافة إلى ما يدخل عليهم من أهل الخير.

فسألته عن وضعه فقال إنه يدرس الآن الطبَّ بالجامعة في مدينة جيزان، وأنه ينزل من الجبل يوميًّا بخمسة عشر ريالاً ويعود إلى داره بمثلها، تلك ثلاثين كاملة لخمسة أيَّام في الأسبوع. وهذه قطعًا تؤثِّر فيما يبقى له من مكافأة كلِّية الطبِّ. فسألته: هل أنت مصمِّمٌ على المواصلة. فأبدى حماسًا للمواصلة - بعون الله - فقلت له: إننا سنمهد لك الطريق إلى هذا البيت وسنسعى إلى تأمين سيارة «جبلية» لك شريطة أنْ تواصل دراستك. فلم يُصدِّق ولم يُبدِ أيَّ شعور. فنظرت

إلى زميلي الأستاذ «محمد بن عبدالله العقلا» وكيل الوزارة للضمان الاجتماعي أنْ اعتمد، ووعدت «عادلاً» بهذا وانصرفنا. وسعى الزملاء في الضمان الاجتماعي إلى تحقيق هذا الوعد استثناءً. وتحقَّق بفضل الله تعالى. وشحنوا له السيارة «الجبلية» من الرياض، ومهَّدوا له الطريق إلى داره.

وقد عرضت لحاله في ورشة عمل في إسبانيا، وقد شارك فيها الزميل الصديق الأستاذ «محمد بن عبدالله العقلا»، وكيل الضمان الاجتماعي في حينه، وعضو مجلس الشورى ثم المسؤول عن أموال القصَّر أثناء تحرير هذه الخاطرة، فأفاد أنَّ «عادلاً» قد أتمَّ دراسته في الطبِّ - بفضل الله - وهو الآن استشاري في أحد مستشفيات جازان.

ثم ذهبنا في اليوم نفسه إلى قرية الريث الجبلية، وهي أيضًا قرية جبلية جميلة وادعة، ووصلناها مع مغيب الشمس. وما علم شيخ القبيلة بقدومنا حتى سارعنا بطاسة حليب خلفات من ضرع الخلفة مباشرة. واثنان من زملائي تربَّيا في بيئة لا تعرف الخلفات ولا حليبها. فتردَّدا في الشرب، فذكرت لهما - دون أنْ يسمع مضيفنا - أنَّ الامتناع عن هذه الضيافة يُعدُّ إهانةً للمُضيف! فاشربا ولا تحرجانا مع الشيخ، لا سيَّما أنه قد امتطى الجنبية. وأحدهما جعل الطاسة في فمه ولم يشرب، والآخر تغافل مضيفنا وأعاد إليَّ الطاسة لأشرب منها مرَّةً أخرى. وكنت أول من شرب الحليب دون أيِّ تردُّد أو امتناع.

وحصلنا على ضيافة مناسبة لي وللزملاء من القهوة والشاي بعد المغرب في دار وجيه من أحد أهل هذه القرية «الجبل»، ثم قفلنا عائدين إلى المدينة، بعد أنْ تأكَّد لنا أنَّ المستحقِّين من أهل القرية يصلهم برنامج الضمان الاجتماعي.

وللحقِّ أقول: ما مررنا على تجمُّع سكاني إلا وسألنا: هل يصلكم الضمان الاجتماعي. فكانت الإجابة دائمًا بنعم دون إبداء أنه لا يكفي. وما كان يكفي في ذلك الحين. ولا أحسب أنه سيكفي في كلِّ حين، ولكنه يظل خيرًا من لا شيء.

وما سألنا أحدًا نواجهه في الطريق عن أحواله إلا ابتدرنا بحمد الله تعالى دون تشكٍّ أو تذمُّر، رغم أنَّ الحال غالبًا - وفي الظاهر المشاهَد - دون المستورة من حيث الفاقة المحتملة، مما يؤكِّد على وجوب تفعيل استراتيجية وطنية لمعالجة الفقر مع القدرة الحاصلة - ولله الحمد والمنَّة - والإرادة الحاضرة من القيادة والمواطن.

* * * * *

الوقفة السادِسة والعشرون: العلاقات الوزارية

عملي في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، ثم وزارة الشؤون الاجتماعية لمدَّة ستِّ سنين، أتاح لي المجال أنْ أكونَ قريبًا من القيادة، وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين الملك «فهد بن عبدالعزيز» - رحمه الله تعالى - وصاحب السمو الملكي الأمير، ثم خادم الحرمين الشريفين الملك، «عبدالله ابن عبدالعزيز» رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني - رحمه الله تعالى - قبل أنْ تتحوَّل إلى وزارة الحرس الوطني، وصاحب السمو الملكي الأمير «سلطان بن عبدالعزيز» النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء، ثمَّ ولي العهد، نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتِّش العام - رحمه الله تعالى - وكانت له معي وقفات لا تنسى على المستوى الرسمي وعلى المستوى الشخصي، بل لقد كان له عليَّ فضلٌ كبير بعد فضل الله تعالى. وما قابلته إلا قام هاشًّا باشًّا مبديًا تقديرًا لمن يرى أنه أحدُ أبنائه، وأشرُف بذلك، فجزاه الله عني خير الجزاء. وكان رحمه الله لا يتردَّد في تقديم خدمة يرى وجاهتها لذوي الاحتياجات الخاصَّة، سبَّاقًا كعادته إلى الخير باذلاً له. فجزاهم الله عني وعن المواطنين والمسلمين خير الجزاء.

وسمو الأمير «متعب بن عبدالعزيز» وزير الشؤون البلدية والقروية - رحمه الله تعالى - كانت بينه وبيني لقاءات ومشاورات حول المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية، وكنت أرأس مجلس إدارتها، ويديرها الزميل المسدَّد معالي الأستاذ «سليمان ابن سعد الحميِّد». وكان سمو الأمير «متعب» يرغب في استثمارات المؤسَّسة في المشاعر، جنبًا إلى جنب مع مؤسَّسة التقاعُد. بالإضافة إلى مواقف أخرى حول الشؤون البلدية والقروية.

ولوزارة العمل والشؤون الاجتماعية ارتباطٌ مباشر بوزارة الداخلية، فكانت لي فرصة اللقاء المتكرِّر مع صاحب السمو الملكي الأمير «نايف بن عبدالعزيز» النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية ثمَّ ولي العهد - رحمه الله تعالى - وكان هو في الوقت نفسه رئيس مجلس القوى العاملة، الذي يرسم الأهداف ويخطِّط ويضع الإستراتيجيات والسياسات التي تنفذها وزارة العمل والشؤون الاجتماعية في قطاع العمل، وذلك قبل إلغاء المجلس، وضمِّ مهمَّاته إلى وزارة العمل. وهو كذلك بصفته رئيسًا لمجلس القوى العاملة رئيس مجلس إدارة صندوق تنمية الموارد البشرية، وكان وزيرُ العمل والشؤون الاجتماعية نائبًا للرئيس.

أتاح هذا الارتباط الإداري بين الوزارتين لي القرب أكثر من سموه، فعرفت فيه رجلاً يحمل الطيبة والغيرة على دينه وبلاده، ويحمل على كاهله همَّ حفظ الأمن في البلاد، لا سيَّما مع ما عصف بالبلاد من الفتن التي ألمَّت بها، واستهدفت استقرارها بأيدي بعض أبنائها - مع الأسف والأسى - الذين كانوا أدواتٍ تنفيذيةً لأفكار لم تكن من الدين في شيء وإنْ تلبَّست باسم الدين، فيما ظهر لي في حينه.

هذا بالإضافة إلى أصحاب السمو الأمراء الذين يشغلون مناصب وزارية، مثل عميد الدبلوماسية العربية وزير الخارجية صاحب السمو الملكي الأمير «سعود الفيصل بن عبدالعزيز» - رحمه الله - الذي كانت لي معه جلسات خاصَّة قرَّبتني منه وسبرتُه عن قُرب. ثم يأتي بقيَّة الوزراء الزملاء الذين استهديتُ كثيرًا بتجربتهم وخبرتهم وممارستهم، فكنت أتنقَّل بينهم في أوقات وجودنا مع بعض في انتظار البدء بجلسات مجلس الوزراء؛ حيث الجلسة الأسبوعية المعتادة، أطلب النصيحة والمشورة والشفاعة والمساعدة لشؤون الوزارة ولأيتامها ويتيماتها ومن تشملهم رعاية الوزارة، لا سيَّما أنَّ لهؤلاء أفضالاً كثيرة، من أبرزها فضل السبق والخبرة والتجربة العريضة. ولم يكونوا يتردَّدون في تقديم الخدمة لهذه الفئات،

بما في ذلك الإسهام من زكواتهم، مع قدرٍ من الغبطة منهم للقائم على هذا الشأن.

ويأتي في مقدِّمة هؤلاء الوزراء معالي الوالد الوزير الفاضل «محمد بن علي الفايز»، الذي كان وزيرًا للعمل والشؤون الاجتماعية، فخبر وسبر أغوار الوزارة وظروفها واحتياجاتها. وكانت وما تزال له أياديه البيضاء وبصماته على برامج الوزارة. وترك بصمته بين موظِّفي الوزارة والمستفيدين من خدماتها. وكان - رعاه الله تعالى - حينها قد انتقل إلى وزارة الخدمة المدنية. وما ذهب بعيدًا، فكلا الوزارتين تعنيان بالعمل.

ومعالي الوزير الفاضل الوالد «عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر» - رحمه الله -. وكان حينها وزير دولة. وله جهوده - رحمة الله عليه - التي تذكر وتشكر في خدمة بلاده وقيادته في مواقع مختلفة. وكان يتَّسم بالحكمة والهدوء والتعقُّل مع قدر عالٍ من التواضُع. يتعلَّم عليه من يختلط به وينهل من إنتاجه العلمي والفكري.

ومن بينهم معالي الدكتور الفاضل «إبراهيم بن عبدالعزيز العساف» وزير المالية، الذي كان ينظر لخدمات الوزارة نظرةً خاصَّةً. وقد كان قريبًا من الخير محبًّا له، لا يتوانى في دعم برامج الوزارة ومشروعاتها.

ومن بين الوزراء الأخ الكبير قدرًا ومقامًا معالي الأستاذ الفاضل «خالد بن محمد القصيبي» - رحمه الله تعالى - وزير التخطيط والاقتصاد.[1] وهو رجل حكيم هادئ متابع داعم، لم تسيطر عليه فكرة التداخُل في الاختصاصات بين الوزارتين، لا سيَّما عند إعداد الاستراتيجية الوطنية لمعالجة الفقر، وما كان يلقي بالاً للتنازع أو التدافع في الاختصاص.

---

(١) توفِّي معالي الأستاذ «خالد بن محمد القصيبي» - رحمه الله تعالى - يوم الاثنين ١٩/ ٩/ ١٤٤٤هـ الموافق ١٠/ ٤/ ٢٠٢٣م. وصلِّي عليه عصر يوم الثلاثاء بالرياض.

ومن بينهم معالي الشيخ الدكتور الفاضل «عبدالله بن محمد آل الشيخ» وزير العدل ثم رئيس مجلس الشورى، الذي لمست منه تعامُلاً خاصًّا، مبنيًّا على دعمه لمشروعات الوزارة بما كان في حدود صلاحياته وإمكاناته وتفهُّمه لمشروعات الوزارة.

وكذلك معالي الشيخ العالم الفاضل «صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ» وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الذي لم يبخل عليَّ قطُّ بالنصح والإرشاد؛ لما يتمتَّع به من حكمة وحنكة وسعة أفق. وقد لقيت منه التقدير والتأييد والتشجيع.

ومعالي الدكتور الفاضل «فؤاد بن عبدالسلام الفارسي» وزير الإعلام، ثم وزير الحج. وكان ينيبني كثيرًا في الوزارة، ولا يبخل على وزارة العمل والشؤون الاجتماعية في الدعم بالنصح والمشورة والبذل.

ومعالي الدكتور الفاضل «غازي بن عبدالرحمن القصيبي» - رحمه الله - الذي عاد للوزارة بعد أنْ خدم سفيرًا للمملكة العربية السعودية في مملكة البحرين والمملكة المتَّحدة. وكانت بيننا تبادُلات في الرؤى والأفكار داخل طبيعة العمل وخارجه.

ومعالي الأستاذ الفاضل «إياد بن أمين مدني»، الذي أسندت إليه حقيبة الإعلام ثم الحج. وقد عرفته قبل ذلك بكثير كاتبًا في صحيفة عكاظ. وزاملته في مجلس الشورى، وسافرت معه بصحبة شيخنا معالي الشيخ «محمد بن إبراهيم ابن جبير» - رحمه الله - خارج البلاد حرسها الله.

ومعالي الدكتور الفاضل «علي بن طلال الجهني»، وزير البرق والبريد والهاتف، الذي وفِّق في تخصيص الاتِّصالات السعودية، وتحويلها إلى شركة مساهمة، ثم صار وزير دولة عضو مجلس الوزراء. وقد زاملته في مجلس الشورى.

ومعالي الدكتور الفاضل «فهد بن عبدالرحمن بالغنيم» وزير الزراعة. ورغم ضعف العلاقة بين الوزارتين، إلا أنه كان بيننا تناغُم، مثله في هذا مثل معالي الأخ الفاضل الدكتور «حمد بن عبدالله المانع» وزير الصحَّة، الذي انطلقت العلاقة معه حينما كان مديرًا للشؤون الصحيَّة بمنطقة الرياض. وبين الوزارتين مشتركات كثيرة في مجالي الرعاية والتنمية الاجتماعية. وغيرهم من الزملاء الوزراء الأفاضل الذين كانت لهم نظرات إيجابية مع الوزارة وما فيها من فعل الخير.

على أيِّ حال أعود وأكرِّر أنه كان لهذه الشخصيات القيادية والعلمية التي تعاملت معها في مسيرتي العملية أكبر الأثر في حياتي العملية والعلمية، فقد تعلَّمت منهم الكثير، ومن هذا الكثير الإصرار على الجدِّ واحترام الوقت، والحسِّ الوطني والغيرة على ثوابته ومبادئه ومنجزاته، وحبُّ العمل والتفاني فيه، وحبُّ الخير وبذله. ولأنَّهم يحبُّون العمل فإنهم يحبُّون من يحبُّ العمل، ويحترمونه ويقرِّبونه ويفيدون منه ويفيدونه.

وأحسب أني كنت ممَّن أحبَّ العمل. فقد قال لي أحد الذين عملوا مع خادم الحرمين الشريفين الملك «سلمان بن عبدالعزيز» لمدَّة ثلاثين سنة عندما كان أميرًا لمنطقة الرياض: إذا كنت ستعمل فالأمير صاحبك، وإلا «أقصر العنوة»؛ لأن الأمير «سلمان» رجلٌ عمليٌّ ويحبُّ الذي يعمل. قال لي هذه العبارة الأخ الفاضل «عبدالله بن بنية» - رحمه الله تعالى - عندما قابلته في إحدى إدارات إمارة الرياض المعنية بالحركة. وكان هو مديرها.

* * * * *

الوقفة السابعة والعشرون: الشأن العمَّالي

تبيَّن لي من خلال مشاركاتي في لجان عليا في الدولة ممثِّلاً للشأن العمَّالي لبلادي وفي مؤتمرات العمل الدولية والعربية والخليجية أنَّ هذا الشأن العمَّالي قد تحوَّل إلى شأن اقتصادي أكثر من كونه شأنًا اجتماعيًّا، لا سيَّما مع تطوُّر النظر في الشأن العمالي والتطوُّر في الوقت نفسه في الشأن الاجتماعي، وكونهما يتطلَّبان منفردين تركيزًا أكثر، في ضوء التغيُّرات الاجتماعية التي شهدها العالم بما يشبه الفجاءة، من خلال تطوُّر تقنية المعلومات وشيوع الفضائيات والإنترنت وغيرها، وبروز ضرورة التركيز على أيٍّ من الشأنين الاجتماعي أو العمَّالي كلٍّ على حدة.

فكان أنْ تبنَّيت شطر الوزارة إلى وزارتين. ولاقى هذا التوجُّه في البداية بعض الممانعة، حتى تكوَّن الاقتناع لدى وليِّ الأمر، بمؤازرة من بعض ذوي الشأن المؤازرين دائمًا لما فيه مصلحة البلاد والمواطن، وقدَّمت تصوُّرًا من ثنتي عشرة نقطة تؤيِّد فصل الشأنين، طلبه منِّي صاحب شأنٍ رفيع في البلاد، في الوقت الذي تسعى فيه الحكومة إلى تقليص المصالح والوزارات، فأصدر خادم الحرمين الشريفين الملك «فهد بن عبدالعزيز» - رحمه الله تعالى - أمره الكريم بإفراد الشأن العمالي بوزارة مطلع سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، وإسناد قيادتها إلى معالي الدكتور «غازي بن عبدالرحمن القصيبي» - رحمه الله تعالى - الذي كان يرأس وزارة المياه والكهرباء. وأبقاني الأمر الملكي في وزارة الشؤون الاجتماعية، حتى صدور الأمر الكريم بإعفائي وتعيين معالي الأستاذ «عبدالمحسن بن عبدالعزيز العكَّاس» - رحمه الله تعالى - وزيرًا للشؤون الاجتماعية مساء يوم الثلاثاء ٢٨/ ١٢/ ١٤٢٥هـ الموافق ٨/ ٢/ ٢٠٠٥م. ثم تمَّ إعفاء الأستاذ «عبدالمحسن بن عبدالعزيز العكاس» - رحمه الله تعالى -،[1] وتعيين الزميل

(١) توفِّي معالي الأستاذ «عبدالمحسن بن عبدالعزيز العكَّاس» - رحمه الله تعالى - يوم الجمعة ٧/ ٥/ ١٤٣٣هـ الموافق ٣٠/ ٣/ ٢٠١٢م.

الصديق معالي الدكتور «يوسف بن أحمد العثيمين» وزيرًا للشؤون الاجتماعية في ٢٣/ ٥/ ١٤٢٩هـ الموافق ٢٩/ ٥/ ٢٠٠٨م.

من توفيق الله في هذا العمل أنَّ الوزارة رُزقتْ بموظَّف قدير ضمن كوكبة من الموظَّفين ذوي القدرات والكفاءات والتأهيل، وكان يدير العلاقات الدولية، الأستاذ «عبدالعزيز بن إبراهيم الهدلق» الذي عمل في هذا المجال بروح غير عادية، جعلته يعين على تكثيف الاتِّصال بالمنظَّمات الدولية والإقليمية، فقد كان يعمل بروح ولغة تتناسب مع أروقة منظَّمة العمل الدولية التي نشأت سنة ١٩١٩م، وتراه يتنقَّل بين مكاتبها ولجانها. وقد شارك في جلسات مجلس الإدارة ممثِّلاً لبلاده المملكة العربية السعودية لسنين، فكان مرجعًا لكثير من أعضاء المجلس، وكانت تردني كلمات الإطراء عنه؛ لما يقوم به من جهود واتِّصالات، بحيث يوظِّف رحلته بهذا الجهد المقدَّر الذي عاد بالخير على بلادنا.(١)

وقد واصلت الاتِّصال بالقيادات العمَّالية والاجتماعية على هامش المؤتمرات السنوية بترتيب من الأخ الأستاذ «عبدالعزيز الهدلق»، فحاورتهم وبيَّنت لهم وجهة نظر بلادي في بعض القضايا العمَّالية والاجتماعية الملحَّة، وأعانني على ذلك كثيرًا أعضاءُ الوفد الذين كان من بينهم الأستاذ الصديق «أحمد بن عبدالرحمن المنصور الزامل» وكيل الوزارة لشؤون العمل، وبقية الزملاء الذين حرصت على التدوير بينهم للمشاركة في فعاليات مؤتمرات العمل الدولي والعمل العربي واللقاءات الخليجية، بل والزيارات الرسمية لبلاد «مصدِّرة» للعمَّال للمملكة العربية السعودية. فكان المعنيُّون بالشأن العمَّالي الدولي ونتيجة للمحاورات بيننا وبينهم يضعون في «الموقف ريشة» في مواقفهم من المملكة العربية السعودية السلبية في نظرهم، ويُحجمون عن السعي إلى اتِّخاذ قرارات ضدَّ المملكة العربية السعودية.

كانت لدى بعض المسؤولين الدوليين انطباعاتٌ عامَّة أنَّ بعض الاتِّفاقيات

---

(١) انظر: عبدالعزيز بن إبراهيم سعد الهدلق. ابن شقراء: ذكريات في محطَّات.- الرياض: دار الثلوثية، ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م.- ٣٣٦ ص.

التي قد لا تصادق عليها المملكة إنما تتعارض مع الشريعة الإسلامية. وهي كذلك في بعض موادِّها أو فقرات من بعض موادِّها، وليس في الاتِّفاقيات برمَّتها. شعرت أنَّ في هذا الموقف جنايةً على الشريعة الإسلامية، ثم على المملكة العربية السعودية، وأنَّ الإسلام جُعل شمَّاعةً لتغطية العجز النظامي المحلِّي في بعض الدول القابل للتكييف، أو ربَّما كانت هذه الحجَّة للهروب من «وجع الرأس» في الدخول في نقاشات فكرية تطول.

وزاد من هذا اللبس لدى هذه المنظَّمات الدولية أنَّ بعض الدول العربية والإسلامية توافق على بعض الاتِّفاقيات، ولم تتحجَّج بأنها تخالف الشريعة الإسلامية، مما جعل بعض المعنيين بهذه الاتِّفاقيات يتساءلون: عن أيِّ إسلام تتحدَّثون؟! فانطلقتُ بمؤازرة من زملائي أعضاء الوفد من أنَّ الأصل في الاتِّفاقيات الدولية عدم تعارُضها مع النظام الأساسي للحكم في البلاد، القائم على كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ حتى يتبيَّن خلاف ذلك، من خلال بعض المواد أو الفقرات التي يمكن التحفُّظ عليها، وهكذا كان.

ومن هذا المنطلق استأذنت القيادة بمشورة من الزملاء في وكالة العمل في دعوة بعض هذه القيادات العمَّالية لزيارة المملكة، فجاءت الموافقة دون تردُّد، فكان أنْ دعت الوزارة مدير عام منظَّمة العمل الدولية السيد «خوان سومافيا»، وهو كاثوليكي من تشيلي في أمريكا الجنوبية، وكاثوليكيته جعلته يتفهَّم من أين تنطلق المملكة العربية السعودية في أنظمتها. قال عنه الأخ الزميل والصديق «عبدالعزيز الهدلق»: إنه «شخصية دولية مرموقة ومعروفة ولها ثقلها دوليًّا. كان أمينًا عامًّا لمؤتمر القمة العالمية للتنمية الاجتماعية، الذي عُقد في كوبنهاجن، وممثِّلاً لدولته تشيلي في الأمم المتَّحدة، ورأس أكثر من لجنة ومنظَّمة، بما فيها مجلس الأمن الدولي»[1].

---

(١) انظر: عبدالعزيز بن إبراهيم سعد الهدلق. ابن شقراء: ذكريات في محطَّات.- المرجع السابق.- ص ١٩٦.

وكان يحبُّ النقاش حول هذا الموضوع. وكانت بيني وبينه علاقة فكرية خاصَّة، أحسست معها أنه يحترم هذا الشخص ويوليه اهتمامًا خاصًّا، وينزع إلى طرح قضايا فكرية تشغل باله. وكان قد صحبه في هذه الزيارة رئيس الاتِّحادات العالمية الحرَّة للعمَّال السيد «قاي رايدر»، الذي تولَّى إدارة المنظَّمة بعد انتهاء مدَّة «خوان سومافيا».

ودعت الوزارة الناشط البريطاني اللورد «بيل بريت» رئيس مجلس إدارة منظَّمة العمل الدولية، وهو بريطاني متعصِّب، وذو تجربة عريضة في الشأن العمَّالي. وما كانَ - على ما ظهر لي - يُكِنُّ ودًّا للمملكة العربية السعودية ودول الخليج العربية، وربَّما للإسلام من قبلُ، فلمَّا اطَّلع على أوضاعنا العمَّالية عن كثب أعلن في مؤتمر صحفي، دعا هو إليه وكالات الأنباء العالمية، أنه لم يكن يتوقَّع أنْ يكون الإسلام الذي تدين به المملكة العربية السعودية على هذا القدر من السماحة. وكان المؤتمر الصحفي دوليًّا، فلم يقُل اللورد «بيل بريت» رئيس مجلس الإدارة ما قال للاستهلاك المحلِّي، ولم يكن على أيِّ حال بطبعه من المجاملين.

ودعت الوزارة كذلك مدير عام اتِّحاد العمَّال العرب الحرّ الأستاذ «حسن جمَّام» - رحمه الله تعالى - وكان من الجزائر، وما كان لتوجُّهاته الفكرية يكِنُّ للمملكة شعورًا طيِّبًا كذلك، فكانت لزيارته مع زوجته ومساعده وزوجته وإطلاعهما على الأوضاع العمَّالية أكبر الأثر في تغيير وجهة نظره عن المملكة. حيث تعاملت معه تعامُل الأصدقاء، واستضافت أهلي أمُّ حمد - رحمها الله - أهله وأهل مساعده في المنزل على أكلة شعبية وجلسة خاصَّة، ثم تهيَّأت لهم العمرة في وقت كان لديه الانطباع - كما ألمح لي - أنه لن تطأ أقدامه تراب هذا الوطن! فخرج من زيارته هذه وقد تغيَّرت انطباعاته عن المملكة وقيادتها ومسؤوليها وتعامُلها مع العمَّال.

ودعت الوزارة أيضًا معالي مدير عام منظَّمة العمل العربية السابق الصديق الدكتور «إبراهيم قويدر» - رحمه الله تعالى - وكان من ليبيا، وقد تكوَّنت بيني

وبينه صداقة خاصَّة، إذ لم أكن مستجيبًا لأنْ أكون طرفًا في بعض الضغوط عليه، من قبل بعض المعنيين بهذا الشأن من أعضاء منظَّمة العمل العربية. والضغوط لازمة من لوازم بعض هذه التنظيمات الإقليمية، عندما يتدخَّل الفكر السياسي والاستخباري في الرغبة في تسيير المنظَّمة وتسييسها، والدخول في صراعات لا أساسَ فنيًّا لها عندي، بدلاً من التركيز على الجوانب العمَّالية الفنِّية، التي تعود بالنفع على الشأن العمَّالي العربي وعلى العمَّال أنفسهم.

وقد عايشت بعض هذه الصراعات التي أكَّدت عندي أنَّ بعض المنظَّمات الإقليمية إنَّما تطوُّع لتوجُّهات فكرية غريبة عن المجتمع العربي. ويسَّر الله تعالى لي ولزملائي أعضاء الوفد في كل لقاء إقليمي أو دولي أنْ ننأى بأنفسنا عن هذه الصراعات، يعاضدنا فيها بعض زملائنا من دول الخليج العربية، ممن اتَّسموا وتميَّزوا بالحكمة والتروِّي، ويأتي في طليعتهم أستاذي وصديقي سعادة الأستاذ «عامر الحوسني» وزير العمل والشؤون الاجتماعية بسلطنة عُمان.

عدم استجابتي لهذه الضغوط وغيرها تقوم على العهد الذي أخذته على نفسي بألاَّ أكون طرفًا في نزاع غير مبرَّر عندي، وألاَّ أكون طرفًا في «الشلليات» التي تنشأ في بعض المواقف، سواء في الإدارات أم في التنظيمات التي تنشأ في الأصل لمصلحة عامَّة، ثم تتحوَّل بفعل بعض الأهواء والأفكار لتخدم مصالح خاصَّة.

وهذه حال بعض من هذه التنظيمات العربيَّة والشرقية وتنظيمات دول العالم الثالث منها خاصَّةً، تلك التي أخذت من الفكرة شكلها ولم تستفد من مضمونها، ووظَفتها لأغراض استخبارية أكثر من كونها أغراضًا فنِّيَّة. عزمت على عدم الانخراط في ذلك، ونصحت زملائي الأكاديميين بالجامعة وبالعمل بذلك، كلَّما سنحت الفرصة لذلك.

ربَّما أنَّ مشكلة كثير من القيادات العمَّالية والاجتماعية التي تخطَّت الستين من العمر أنها نشأت مع نشوء الانقلاب على الملك فاروق ملك مصر في

مصر في ٢/ ١١/ ١٣٧١هـ الموافق لـ(٢٣/ ٧/ ١٩٥٢م)، وتبنِّي القيادة العسكرية المصرية للقومية العربية والأفكار الثورية كالاشتراكية، وتلك الخطب الرنَّانة التي استمرَّت تزاولها بعض القيادات العربية والدولية من دول العالم الثالث، بحيث يبقى القائد الملهم واقفًا خطيبًا لساعات، لا يخرج السامع - ولا أقول المستمع - منها بنتيجة تُذكر، تلك المواقف التي واعدت الناس بالتقدُّم والمدنية والرفاه الاجتماعي، واعتبار المملكة العربية السعودية التي لم تقف مع هذا الاندفاع في حينه ولا تعبأ بالشعارات بالضرورة، وأصرَّت على تبنِّي الإسلام مقدَّمًا على كلِّ شيء، وتبنَّت خططًا تنموية عملية، اعتبرتها بلدًا رجعيًّا متخلِّفًا ظُلاميًّا، يقف حجر عثرة في وجه القومية العربية والتقدُّم والتنمية والرفاه والتغريب والتحرُّر من المبادئ والثوابت والمُثُل العليا.

أحسب أنَّ تلك شعاراتٌ ألهبت الشارع العربي بعاطفة جيَّاشة، لكنها لم تكنْ بالضرورة منتجة، بدليل تراجُع بعض رموزها بعد نكبة يوم الإثنين ٢٦ صفر ١٣٨٧هـ الموافق ٥ (يونيو) حزيران من سنة ١٩٦٧م، ثمَّ توالي النكبات مرورًا بغزو حزب البعث العراقي للكويت يوم الخميس ١١/ المحرَّم الحرام/ ١٤١١هـ الموافق ٢/ ٨/ ١٩٩٠م الذي انتهى بغزو الولايات المتَّحدة الأمريكية للعراق في صفر ١٤٢٤هـ الموافق إبريل من سنة ٢٠٠٣م، وسقوط الحزب ورموزه وتشتُّتهم وهروبهم وملاحقتهم. ولذا كان الموقف من المملكة العربية السعودية موقف المستكثر عليها وعلى قيادتها وشعبها أنْ تكون على الصواب في السعي إلى مصلحة الوطن والمواطن، ومصلحة المنطقة من منطلق إسلامي وعروبي.

وأزعم أنَّ هذه المواقف تتطلَّب قدرًا من الوضوح في المعالجة في مجال العمل والشأن الاجتماعي والاتِّصال بالمعنيين في المنظَّمات والاتِّحادات العمَّالية والمنظَّمات غير الحكومية، فكان الزميل «عبدالعزيز بن إبراهيم الهدلق» يمهِّد لهذه المعالجة بالمعلومة والترتيب الدقيق، وتكثيف الاتِّصالات مع القيادات العمَّالية والاجتماعية.

انتهى المقام بالزميل «عبدالعزيز الهدلق» إلى أنْ يترقَّى إلى المرتبة الرابعة عشرة وكيلاً مساعدًا للتنمية، ثم ترقَّى إلى المرتبة الخامسة عشرة، ثم جرى اختياره عضوًا في مجلس الشورى لدورته التي بدأت مطلع سنة ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

وكنت أتمنَّى أنْ لو انتقل إلى وزارة العمل؛ ليواصل جهوده في خدمة الوطن في هذه المحافل التي أجاد التعامُل معها، لا سيَّما أنَّ الشأن الاجتماعي لا يتعرَّض للضغوط بالقدر الذي يتعرَّض له الشأن العمَّالي. لكنَّ وظيفة الزميل «عبدالعزيز الهدلق» كانت على «ملاك» الشؤون الاجتماعية، ولعلَّه لم يشأ أنْ يكون هو المبادر في طلب الانتقال لأسباب تعود إليه. لكنني أعدُّه خسارة في هذا المجال، وإنْ أبدع - كعادته - في موقعه الذي انتهى به المقام فيه. وقد عالج الأخ «عبدالعزيز» هذا الموقف بوضوح في كتابه «ابن شقراء»(١).

وبعد فصل الوزارة إلى وزارتين كتبت لمعالي وزير العمل الدكتور «غازي القصيبي» - رحمه الله تعالى - خطابًا بخطِّ اليد من خمس صفحات، وكان يرحِّب بهذه المبادرة، ولم يساوره شكٌّ في مقصود كاتبها، وشرحت له في الخطاب ظروف وزارته الجديد هو عليها من نواحٍ عدَّة، كان من بينها العاملون معه في المناصب القيادية، بما فيها المؤسَّسات الَّتي يرأس مجالس إدارتها. وكنت مغامرًا في هذا التصرُّف لولا أني أثق أنَّ من كتبت له يحترم الكلمة، ويدرك غرضي مما كتبته له، ويقِّر النصيحة، واحترازًا طلبت منه أنْ يتلف الرسالة بعد اطِّلاعه عليها.

وكان كثيرًا ما يناقشني في مضمونها، ونتبادل حولها الرؤى والأفكار، رغم أنه كان هناك شعور بأني قصَّرت في هذه الشأن العمَّالي، إذا كنت قد أنجزت شيئًا في الشأن الاجتماعي. وقد تبيَّن للوزير «غازي القصيبي» ما تعانيه الوزارة من تحدِّيات وتواجهها من عقبات وتداخلات وتنازُع في الاختصاص - كما يقول

---

(١) انظر: عبدالعزيز بن إبراهيم سعد الهدلق. ابن شقراء: ذكريات في محطَّات.- المرجع السابق.- ص ٢٢٨ - ٢٣٠.

الأصوليُّون - جعلته يتراجع عن موقفه، الذي كان يظنُّ فيه أنَّ الشأن العمَّالي لم يُخدم بالصورة المثالية التي يردِّدها من لم يطؤوا على الجمر.

لقد أمضيتُ في الوزارة قرابة ست سنين، كانت مليئة بالتحدِّيات والعمل الدؤوب. وتعاملت مع من حولي ومع ما حولي بقدر من العفوية والبساطة التي كنت أُنتقد عليها كثيرًا - كما ذكرت من قبلُ - وتأتيني الاقتراحات والنصائح بأنْ أكون أكثر دبلوماسية وحصافة وتنبُّهًا لما حولي ومَن حولي، وأنْ أعيش جوَّ المناصب العليا، وهو جوٌّ مصطنع في الغالب. وهو لا يعبِّر عن ذاتيَّة الشخص.

ورغم تقديري لهذه النصائح والرؤى إلا أنني بحكم سماتي الشخصية لم أستطع أنْ ألبس ثوبًا غيرَ ثوبي الذي كان يكفيني، وكنت أصرُّ على ما رُميت به من الطيبة، التي قد تُترجم أحيانًا إلى الضعف والسذاجة. وأرجو أنني كنت كذلك، فما كان ذلك يؤذيني - كما مرَّ ذكره -. ولست من يَحكم حول ما إذا تمخَّض عن هذه التحدِّيات والعمل الدؤوب بعض الإنجاز، فهذا أمر متروك لحكم المعنيين بهذا الشأن، وأحتسب أجره عند الله تعالى وأستغفره عن كلِّ تقصير بدَر دون قصد.

لكنني خرجت من الوزارة بروح مطمئنة وبترحيب مبطن من قِبَلي، بتخليصي من هذه المسؤولية العظيمة، التي لا أشكُّ أنها أثَّرت في حياتي الشخصية، وكانت لها - فيما يبدو - عواقب متوقَّعة، ولكنها - ولله الحمد والمنَّة - لم تكن عواقبَ وخيمة. كما خرجت بتجربة ثرَّة أفتخر بأني خدمت بها بلادي وقيادتي والمواطن والمقيم، وأرجو أنْ أكون - قبل ذلك وبعده - قد أرضيت الله تعالى، فرضي عني وأرضى عني.

* * * * *

الوقفة الثامنة والعشرون:
شرف الحرفة

شاع عني أني الوزير ابن السبَّاك. ولهذا الإطلاق قصَّته بطلها الصديق الوجيه الدكتور «عبدالله بن صادق دحلان»، رجل الأعمال وعضو مجلس الشورى سابقًا، وكان عضوًا فاعلاً ورئيسيًّا في منظمة العمل الدولية ومنظَّمة العمل العربية. فقد كنا في مؤتمر العمل العربي في شرم الشيخ سنة ١٤٢٠هـ الموافق ١٩٩٩م، وكان أوَّل مؤتمر أحضره من هذا النوع. وأُسندت إليَّ فجأةً رئاسة إحدى جلسات المؤتمر، بعد مغادرة رئيس الجلسة معالي الأستاذ «علي خليل» وزير العمل والشؤون الاجتماعية في الجمهورية العربية السورية السابق، بعد تعديل وزاري مفاجئ هناك، ولم يكن ضمن التعديل الجديد، فانتهت ولايته على الوزارة، فغادر أثناء المؤتمر الذي عُقد تلك السنة في بمصر!

طبيعة أعمال مؤتمرات العمل الدولية والإقليمية هي تمثيل ثلاثة أطراف في المؤتمر، هي الحكومة وأصحاب الأعمال والعمَّال. وجرت العادة حين النقاشات العامَّة البدء بالحكوميين ثم أصحاب الأعمال ثم يأتي دور العمَّال. وقد تمرَّدت عفويًا - وأنا أرأس الجلسة - على هذا النهج، ومنحت العمَّال الكلمة قبل أصحاب العمل، ثم قبل ممثلي الحكومات أثناء دورة المناقشات، التي يسهم بها عادة كلُّ فريق بما عنده من رأي حول الموضوع المطروح.

كان لهذا الإجراء صدًى غيرُ متوقَّع لديَّ، إذ أشاد بهذه اللفتة رئيس وفد العمَّال الفلسطيني الأستاذ «علي حيدر»، وضجَّت القاعة بالتصفيق. وكان ردِّي أنه لا ينبغي الاستغراب من سلوكي هذا؛ لأني أحتفظ للعمَّال بتقدير خاص، فأنا ابن عامل، والدي - رحمه الله تعالى - كان يعمل سبَّاكًا في بلدية الرياض، ثم في مصلحة مياه الرياض، وربَّما ساعدته في بعض مهمَّاته عصرًا في الميدان، وفي أحياء الرياض العريقة القديمة.

التقط الزميل الصديق الدكتور «عبدالله بن صادق دحلان» هذا الموقف وكتب عنه في صحيفة البلاد السعودية في اليوم التالي. ودار حوله نقاش بين معجب بهذا الموقف ومقلِّل من شأنه. وممن قلَّل من شأنه كاتبة سعودية لم ترَ فيه ما يدعو إلى الاستغراب أو الإعجاب؛ لأنَّ أهل البلد من آبائنا وأجدادنا عملوا بهذه المهن وغيرها، وكانت وسيلة رزقهم فلا غرابةَ في ذلك، فهي مهنة شريفة لا يعيبها إلا مَن ترفَّعوا على المهن والحرف، وآثروا أنْ يعيشوا حالاً من الفقر والعازة! وصدقت هذه الكاتبة الفاضلة في طرحها هذا.

ثم بعد هذا الموقف بثماني عشرة سنة (١٤٣٨هـ) تداول الناس عبر وسائل التواصُل - مرَّةً أخرى - عودتي إلى الإشادة بعفوية لا تخلو من رسالة بمهنة والدي - رحمه الله تعالى - وافتخاري بها وبإسهامي البسيط فيها، وذلك في مناسبة خاصَّة لدى قبيلة «الحسين» في بللحمر، فعاد الموضوع إلى السطح، في معالجة غير مباشرة لما كان المجتمع المحلِّي يتعالى على الحرفة. وكانت مني رسالة إلى تلك الفئة التي بدأ فيها التحوُّل إلى احترام المهن التي هي - بأمر الله تعالى - أمانٌ من الفقر.

وفي شرم الشيخ جاءت التعليمات لإدارة المؤتمر فجأةً بإخلاء المكان قبل نهاية المؤتمر بيوم؛ وذلك لأنَّ الرئيس المصري الأسبق كان موجودًا في المنطقة، وسيستقبل في ذلك اليوم مسؤولاً من دولة اليهود في فلسطين المحتلَّة، مما حدا بإدارة المؤتمر إلى أنْ تضغط أعماله يومًا واحدًا قبل نهايته المرتَّب لها من قبل، مما أحدث إرباكًا في البرنامج.

وخرج المؤتمرون منه وفي أنفسهم شيء من تدخُّل الجهات المعنية في الإسراع بإنهاء فعاليات المؤتمر، وإن لم يكُن في تلك الفعاليات ما يفوت، ففي مثل هذه اللقاءات الدورية يكون البرنامج مرتَّبًا من قبل، وفيه من الجاهزية في الموضوعات ما يسبق المؤتمر.

وهي على أيِّ حال من تلك اللقاءات التي تنفع بها المشاورات الجانبية، فيما يسمَّى بالتواصُل غير الرسمي، أكثر من موضوعات البرنامج الرسمية، التي

يغلب عليها في قراراتها أنْ تكون استرشادية استئناسية، أكثر من كونها قرارات ملزمة للأطراف المعنية. وليتها كانت كذلك، ففيها خير للبلاد العربيَّة بعامَّة، فيما له علاقة بتبادل المنافع في المجال العمَّالي بين البلدان العربية الأعضاء في منظَّمة العمل العربية.

الخروج على النصِّ:

ومادام الشيء بالشيء يُذكر فمن تقاليد مؤتمرات العمل العربي والدولي أنْ يقدِّم رئيس الوفد رؤية بلاده عن التقرير السنوي، الذي يعدُّه المدير العام للمنظَّمة. وفي مؤتمر العمل العربي الذي عُقد في عمَّان بالمملكة الأردنية الهاشمية سنة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، كنت أنتظر إقرار مجلس الوزراء السعودي مشروع إنشاء لجان عمل في المملكة العربية السعودية، تعادل اتِّحادات العمَّال أو نقابات العمَّال. وقد أقرَّ المجلس المشروع، وكانت كلمة بلادي في المؤتمر يوم الثلاثاء التالي ليوم الإثنين، الذي كان موعد جلسة مجلس الوزراء في المملكة العربية السعودية المعتادة، الذي أُقرَّ به المشروع. وكنت قد اتَّصلت بمعالي الوالد «محمد بن علي الفايز» وزير الخدمة المدنية وزير العمل والشؤون الاجتماعية السابق للتأكُّد من إقرار المشروع، وأكَّد لي مضي المشروع.

وأثناء تقديمي لكلمة المملكة، وبوقفة درامية استأذنت رئيس الجلسة معالي الأخ الوجيه «عيد الفايز» وزير العمل الأردني، ومدير عام منظَّمة العمل العربية معالي الصديق الدكتور «إبراهيم قويدر» - رحمه الله تعالى - في الخروج عن النصِّ؛ لأسترعي انتباه الحاضرين، فأعلنت موافقة حكومة المملكة العربية السعودية على إنشاء لجان عمَّالية تعنى بالعمَّال السعوديين وغير السعوديين، وتمثِّلهم في المحافل المحلِّية والإقليمية والدولية التي تستدعي تمثيلاً عمَّاليًا.

وكان لهذا الموقف صدًى واسعٌ في أوساط المؤتمر، بأطرافه الثلاثة الحكومات وأصحاب العمل والعمَّال. وكان يحضر هذا المؤتمر «خوان سومافيا» مدير عام منظَّمة العمل الدولية وبعض المراقبين من المنظَّمة ومن اتِّحادات عمَّالية

حرَّة. فرحَّبوا بهذه الخطوة وأبرقوا لخادم الحرمين الشريفين الملك «فهد بن عبدالعزيز» وسمو ولي عهده الأمير «عبدالله بن عبدالعزيز» وسمو النائب الثاني الأمير «سلطان بن عبدالعزيز» وزير الدفاع والطيران والمفتِّش العام - رحمهم الله تعالى - مهنِّئين بهذا الإنجاز، شاكرين لهم ولحكومة المملكة العربية السعودية رغبتها في التماشي مع الاتِّفاقيَّات العمَّالية الدولية.

ولم يكن هناك فراغ من قبلُ من جانب العمَّال السعوديين في التمثيل في المنظَّمات الإقليمية والدولية، فقد كانت شركة أرامكو والمصارف وغيرهما ترسل مندوبين يمثِّلون العمَّال، ويشاركون في أعمال اللجان. لكن منظَّمة العمل الدولية ترى أنه من مكمِّلات تكوينها قيام اتِّحادات أو نقابات أو لجان أو جمعيات عمَّالية، وأيًّا كانت التسمية.

وكنت أقول لبعض من يمارسون الضغط على المملكة العربية السعودية لملء فراغ وجود النقابات إنه بإمكاني نظريًّا تكوين النقابات، على الطريقة العربية التي غلب عليها الانتماء للأحزاب، ومنها تلك التي نهجت النهج اليساري الاشتراكي، خلال أربع وعشرين ساعة، وسأملأها بالأعضاء على تلك الطريقة المعهودة في تلك البيئات، لكن هذا النهج ليس نهج المملكة العربية السعودية، ولا نهج دول الخليج العربية.

ولا أقول هذا تهرُّبًا، ولكنها الحقيقة التي لا تقبلها الحكومات الخليجية. فإمَّا أنْ تقوم نقابات فاعلة، تعنى بشؤون من تمثِّلهم واقعيًّا أو لا تقوم. وكان معظم المعنيين بالنقابات يدركون ما أنطلق منه، من حيث تكوين النقابات في معظم الأقطار العربية، فتخفُّ الضغوط، لا سيَّما مع توالي زياراتهم للبلاد، واطِّلاعهم عن حال العمل والعمَّال مباشرةً، بعيدًا عن تعمية الحقائق. وهكذا كانت الطريقة - ولله الحمد والمنَّة - التي تعاملنا بها مع الوفود الزائرة.

وفي الخروج على النصِّ كتب الصديق الزميل الدكتور «عبدالله بن ناصر السدحان» مقالاً صحفيًّا بعنوان: «الوزير والخروج على النص».

الوقفة التاسعة والعشرون:
أصدقاء العمل (١)

أتاح لي العمل في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، ثم وزارة الشؤون الاجتماعية من بداية سنة ١٤٢٠ إلى نهاية سنة ١٤٢٥هـ فرصة التعرُّف على عدد كبير من الزملاء والزميلات، أضحوا أصدقاء أكثر من كونهم زملاء وكونهن زميلات فقط. وتركت العمل وأنا أشعر لهم ولهنَّ جميعًا بالامتنان على التفاعُل الذي عايشته معهم. ومن لم يرد ذكره في هذه الوقفة فإنما مردُّه للنسيان والغياب عن الذهن وقت كتابة هذه الوقفات.

ولست أزعم أنهم جميعًا كانوا على قدر متساوٍ من الودِّ، ولكنهم أثروا العمل الاجتماعي، وكانوا سببًا رئيسيًّا من أسباب ما تحقَّق للوزارة خلال عملي في الوزارة. أذكر منهم على سبيل الإجمال، وعلى ترتيب الأقدمية في العمل:

الأستاذ «عبدالله بن محمد البابطين»، وكيل الوزارة للضمان الاجتماعي. وكان إداريًّا قويًّا قدم من معهد الإدارة، بذل جهودًا مضنية في أدائه عملَه من الوجهة الاجتماعية. وقد تقاعد تقاعُدًا مبكِّرًا قبل وصوله لسن التقاعُد النظامية بأشهر، وكان يحدِّث نفسه ومن حوله برغبته في التقاعد المبكِّر، حتى جاءت المناسبة التي عزم فيها على تقديم رغبته في التقاعُد، إثر حركة إدارية عفوية من المكتب وما كانت مقصودة لذاتها، فتبادر للذهن أنها كانت مقصودة وما كانت كذلك. ولعلَّها كانت القشَّة التي قصمت ظهر البعير.

كان من قوَّة الأستاذ «عبدالله بن محمد البابطين» الإدارية أنه يُتابع الموظَّفين كل صباح تقريبًا لتوكيد حضورهم في مكاتب الضمان الاجتماعي على مستوى المملكة. ويحرص على الانضباط في العمل وأداء المهمَّات. وفي هذا شعور بالمسؤولية تجاه من ولاَّه ولي الأمر عليهم، لا بين الموظَّفين فحسب، بل بين

المستفيدين من الضمان الاجتماعي، وهم الفئة التي تحتاج إلى العناية الخاصَّة دون منٍّ ولا أذىً.

معالي الدكتور الصديق «يوسف بن أحمد العثيمين» المتخصِّص بعلم الاجتماع. وكان مشرفًا عامًّا على مكتب الوزير أيام وزارة الأخ العزيز معالي الأستاذ «مساعد بن محمد السناني» الذي خلفته على الوزارة. وقد عقدت مع الدكتور «يوسف» علاقة فكرية وثقافية غير عادية، تخطَّت الزمالة في العمل. وكنت قد أفدت منه مستشارًا أوَّل للوزير.

ثم إنه أُعير إلى جمعية الأيتام بالرياض «إنسان»، وعمل على إنشائها وتأطيرها. وهو الذي سمَّاها باسمها، فعاد إلى الوزارة، ثم أُعير أخرى إلى «مؤسَّسة الملك عبدالله بن عبدالعزيز لوالديه للإسكان التنموي»، حتى صدر الأمر الملكي الكريم بتعيينه وزيرًا للشؤون الاجتماعية في ٢٣/ ٥/ ١٤٢٩هـ الموافق لـ ٢٩/ ٥/ ٢٠٠٨م، خلفًا للأستاذ «عبدالمحسن بن عبدالعزيز العكَّاس» - رحمه الله تعالى - الذي رغب في التنحّي، فأُجيبت رغبته، ثم نائبًا للأمين العام لمنظَّمة التعاوُن الإسلامي معالي الزميل الأستاذ «إياد بن أمين مدني»، ثم أمينًا عامًّا للمنظَّمة إلى أنْ تقاعد في مطلع سنة ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م.

أعانني معالي الدكتور الصديق «يوسف بن أحمد العثيمين» كثيرًا في عملي، من خلال رأيه الفني والإداري. وهو صاحب رأي ورؤية ومنهجية علمية في التعاطي مع القضايا الاجتماعية. وكان لا يتردَّد في المبادرة في طرح الرأي مكتوبًا أو مشافهة قبل الطلب منه، وكثيرًا ما أعقب المشافهة بالكتابة.

وكثيرًا ما نبَّهني كذلك إلى بعض القضايا الاجتماعية المهمَّة. وكان يصرُّ على أنْ أتبنَّى قضية من القضايا الاجتماعية أو مشروعًا من المشروعات، وأغرق فيها حتى تظهر نتائجها، ثم أتوجَّه إلى الأخرى وهكذا، بدلاً من أسلوب القفز على القضايا وبينها. وكنت آخذ هذه التنبيهات والرؤى منه مأخذ الجد، وأتَّخذ بشأنها المناسب. فكانت خطوتي معه أنفع لي وللعمل الاجتماعي.

ثم كانت بيني وبينه علاقة ثقافية فكرية سعى فيها إلى تقويم قلمي، الذي كان يسيل بهدوء أثناء العمل، فكان يقرأ لي ويصوِّب ويقوِّم ويقترح الحذف والإضافة. وترك الوزارة في شهر صفر من سنة ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٤م.(١) وخلفه عليها معالي الأستاذ الزميل «سليمان بن سعد الحميِّد»، قادمًا من مجلس الشورى. ثم خلفه معالي الدكتور الصديق «ماجد بن عبدالله القصبي» في شهر ربيع الثاني من سنة ١٤٣٦هـ/ فبراير ٢٠١٤م.

الأستاذ «أحمد بن عبدالرحمن المنصور الزامل»، وكيل الوزارة لشؤون العمل. وهو من الأصدقاء الزملاء الذين كان بيني وبينهم تناغُم «كيمياء» وقدم هو كذلك من معهد الإدارة. وهو أخ وصديق قبل أنْ يكون زميلاً. وكان مبادرًا في طرح الرؤى والأفكار في الشأن العمَّالي في شقِّه المحلِّي التطبيقي وشقِّه الإقليمي والدولي بالتنسيق المباشر مع الأخ الصديق والزميل الأستاذ «عبدالعزيز بن إبراهيم الهدلق» عضو مجلس إدارة منظَّمة العمل الدولية.

والشأن العمَّالي يتعامل مع فئتين مختلفتين في إمكاناتهما: أصحاب العمل المهتمِّين بالإنتاجية والربحية، إلى درجة اتِّهامهم من بعض الناس بالجشع والمزايدة على وطنيَّتهم، وهم ليسوا كذلك، والعمَّال الذين يمثِّلون الجانب الضعيف في «المعادلة»، رغم أنَّ الدولة قد أخذت على عاتقها حفظ حقوقهم، من خلال صياغة نظام العمل في نسخه المتوالية، ومنها تطوير النظام بنسخته الجديدة، بعد مروره على مجلس الشورى وهيئة الخبراء، ومن ثم صدوره بقرار من مجلس الوزراء.

وأنشأت الحكومة المكاتب واللجان والمحاكم المعنية بهم، ذلك في زمان كانت البلاد تعاني فيه من كثرة العمَّال الوافدين وتدخُّل كثير منهم في سوق العمل على حساب طالبي العمل من المواطنين، مما أدَّى إلى كثرة الدعاوى

---

(١) ذكرت هذه المشاعر حول معالي الأخ الدكتور «يوسف بن أحمد العثيمين» قبل أنْ يتولَّى الوزارة، وإنما أضفت معلومة تولِّيه الوزارة وما بعدها من باب تحديث المعلومات، ولم أُضف غير ذلك.

من ناحية، وإلى صدور قرار مجلس الوزراء رقم ٥٠ لسنة ١٤١٥هـ الذي يُعنى بتوظيف السعوديين، بمعدَّل ٥٪ لكل سنة في المنشآت التي يزيد العمَّال فيها عن عشرين (٢٠) عاملاً، الأمر الذي واجه عقبات جمَّة في طريق تطبيقه.

تقاعد الأخ الأستاذ «أحمد المنصور الزامل» من العمل الحكومي بقوَّة النظام بعد التمديد له لسنتين، فكلَّفه وزير العمل معالي الدكتور «غازي بن عبدالرحمن القصيبي» - رحمه الله تعالى - بإدارة صندوق تنمية الموارد البشرية «هدف». وأحسب أنه بنزاهته وحرصه على المال العام خير من يقوم بهذه المهمَّة، بعد انتهاء المدَّة المعطاة لأخي الأستاذ الدكتور «محمد بن عبدالعزيز السهلاوي» المدير العام السابق للصندوق.

وما تزال تقوم بيني وبين أخي أبي منصور «أحمد المنصور الزامل» علاقة ودٍّ تخطَّته إلى والده وإخوته في الخُبر بالمنطقة الشرقية. ونلتقي تباعًا في كثير من المناسبات الخاصَّة والزيارات الشخصية. وقد أبدى بعض الإضافات المهمَّة لهذه الانطباعات، من خلال إرساله لي برسالتين صوتيَّتين، ما أزال أحتفظ بهما عندي في الجوَّال، بعد أنْ أضفت ما تكرَّم به من إضافات. وكان من الملازمين للجلسة التي كنت أعقدها بعد مغرب الأحد، بعد نهاية خدمتي في الوزارة.

وأحسب أنَّ أخي الأستاذ الدكتور «محمد بن عبدالعزيز السهلاوي» القادم من جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، وكان عضوًا في الهيئة الاستشارية بالمجلس الاقتصادي الأعلى، أحسب أنه قد تعرَّض لتحدِّيات في إدارته للصندوق في نشأته، فكثُرت حوله الشكاوى الكيدية في الغالب، وكثُرت عليه الاعتراضات في تعاطيه مع زملائه في الصندوق. ولذا فإني أظنُّ ظنًّا أنه هو كذلك قد خرج من الصندوق بمرارة. وهذا شأنٌ عام لا يقتصر على أخي الأستاذ الدكتور أبي عبد العزيز «محمد بن عبدالعزيز السهلاوي». وتبقى له عندي مودَّة خاصَّة، وقد انقطعت أخباره عني.

الأستاذ «عوض بن بنيَّة الردَّادي» - رحمه الله - وكيل الوزارة للشؤون الاجتماعية. وكان قد قدم من وزارة المالية. وكان قبل مجيئي للوزارة وكيلاً مساعدًا مكلَّفًا بوكالة الوزارة. وهذه الوكالة مثقلة بالهموم الاجتماعية، بين الرعاية والتنمية. والأستاذ «عوض» ممن يعملون باحتساب وصمت، وعزف عن إغراءات إدارية أخرى خارج الوزارة؛ رغبةً فيما عند الله تعالى من خلال العمل مع الفئات ذات الاحتياجات الخاصَّة. وانتهى به المطاف عضوًا في مجلس الشورى، ثم تقاعد دون أنْ يُستفاد من خبراته في مجال العمل الاجتماعي، ودون أنْ يعمد إلى إنشاء مكتب للاستشارات الاجتماعية، وكان ضليعًا بها.(١) ولم يكن وحيدًا في هذا، فمعظم الذين يتقاعدون بخبرات إدارية وفنية يندر التعاوُن معهم واستثمار خبراتهم.

الدكتور الصديق «طلعت بن عبدالله الوزنة». وهو استشاري أعصاب مشهور على المستوى التخصُّصي، وله ارتباطات مهنية مع عدد من المستشفيات الحكومية والأهلية. وكان معنيًّا بالجانب الطبِّي بالوزارة «إدارة الخدمات الطبِّية»، كما كان الرجل المناسب في المكان المناسب، فهو باذلٌ للخير في مجاله الطبِّي محبٌّ له، لا يتوانى عن المبادرة في الخدمة، رغم تقصير الوزارة إداريًّا في حقِّه.

ومن مبادراته الإنسانية البدء في الرعاية المنزلية للمعوقين، بحيث تجهَّز عيادات متنقِّلة وتقوم بزيارات دورية للمعوقين في منازلهم. وجهَّز لهذا المشروع عددًا من السيارات، كانت تجوب بالفنِّيين والممرضات المدينة في حركة مبرمجة، بالتنسيق مع أهل المعوق. وعندما عرض عليَّ هذا المشروع لم أتردَّد في الموافقة عليه مباشرةً، والطلب منه أن يباشر الترتيب له. وكان الدعم المالي - بحمد الله - جاهزًا فمضى فيه.

---

(١) توفِّي أخي الفاضل أبو عصام الأستاذ «عوض بن بنية الردَّادي» بالرياض يوم الخميس ٢٩/ ٥/ ١٤٣٩هـ الموافق لـ١٥/ ٢/ ٢٠١٨م، بعد مرضٍ ألمَّ به ولم يمهله طويلاً. وصلِّي عليه بالرياض ثم بالمدينة المنوَّرة - رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً -.

وما يزال الأخ الدكتور الصديق «طلعت بن عبدالله الوزنة» على العهد في تسخير إمكاناته المهنية في وجوه الخير، فلا يتوانى في التدخُّل المباشر في أمور طارئة، تستدعي «الفزعة»، فجزاه الله تعالى عن جهوده هذه وغيرها خير الجزاء.

ومن الزملاء أصدقاء العمل الذين أعتزُّ بزمالتهم الأستاذ «إحسان بن صالح طيب» مدير عام الشؤون الاجتماعية بمنطقة مكَّة المكرَّمة. ويحمل الماجستير في الخدمة الاجتماعية. وهو من القلائل من العاملين المتفانين، فقد جمع بين الخبرة والتخصُّص والهمِّ الاجتماعي. وكان يعاني من قلَّة الصلاحيات الممنوحة له كمدير عام لمنطقة مكَّة المكرَّمة في المرتبة الرابعة عشرة. وهو بحقٍّ رائدٌ من روَّاد العمل الاجتماعي في المملكة العربية السعودية.

خرج هو أيضًا قبل تقاعده الرسمي، فقد كان يتطلَّع للترقية، وكان يستحقُّها بجدارة؛ نظرًا لما يتمتَّع به من إمكانات اجتماعية وإدارية وشخصية. ولكنه لم ينل المرتبة، فطلب سنة ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م الإعارة خارج الوزارة، وكان الردُّ المباشر بالاعتذار؛ بحجَّة عدم استغناء الوزارة عن خدماته، وعندما طلب التقاعد المبكِّر جاءت الموافقة سريعة، مما أوجد في نفسه قدرًا عاليًا من العتب والمرارة.

وقد سعى بعض المعنيين الموثوقين إلى إثنائه عن قراره، فطلب التراجُع عن قراره - كما ذُكر لي - إلا أنَّ طلبه الأخير رُفضَ أيضًا، مما أوجد عنده قدرًا إضافيًّا من المرارة لا يُلام عليه.

ثمَّ تمَّ تكليفه في سنة ١٤٣٤هـ أمينًا عامًّا للهيئة الإسلامية العالمية للإغاثة، خلفًا للصديق الدكتور «عدنان بن خليل باشا»، ووجدتُّ أنَّ العلاقة مع أخي «أبي صالح» تتجدَّد؛ إذ إنني عضو في لجنة متابعة الخطَّة التنفيذية للإستراتيجية التي وضعتها الهيئة منذ سنة ١٤٢٨هـ، حيث شاركتُ في متابعة وضع الاستراتيجية، ثم شاركتُ في متابعة تنفيذها بصحبة الأساتذة الدكتور «إبراهيم شقدار» الخبير في الإدارة والدكتور «عصام ابن يحيى الفلالي» الخبير في وضع الإستراتيجيات،

والدكتور «عصام بن حسن كوثر» منشئ الوقف العلمي بجامعة الملك عبدالعزيز بجدَّة بدعم مباشر من معالي مدير الجامعة الأستاذ الدكتور «أسامة طيِّب»، والأستاذ الدكتور «صالح بن حسين العايد» وقد عمل أمينًا للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، والدكتور الطبيب «أسامة الريس»، وبقية الزملاء من العاملين في الهيئة، فطفقنا نلتقي دوريًّا بمقرِّ الهيئة في جدَّة ثم في منزله العامر، فأجد منه كلَّ تقدير واحترام.

ولعلَّ هذا التقدير كان في ذهنه من قبل، وأكَّده أنه زارني بالرياض بطلب منِّي، فأطلعته على بعض محاولاتي للإفادة منه في الاستراتيجية الوطنية لمعالجة الفقر وفي الصندوق الخيري مع ترقيته للمرتبة الخامسة عشرة، فذكر لي أنَّ شخصًا - أُحجم عن ذكر اسمه غفر الله لي وله - أبلغه أنَّ خطاباتِ طلب ترقيته للمرتبة الخامسة عشرة لم تتعدَّ المكتب.

ولم أتحرَّ من ذلك. فإنْ صدق ذلك الموظَّف الواشي المنحاز - غفر الله لي وله - الأمر الذي أريد أنْ أستبعده، فإنما هي خيانةٌ من أحد العاملين في المكتب، الذي ربَّما لا يكون بينه وبين «أبي صالح» قدرٌ من التناغُم، وربَّما لم يظهر بيني وبين هذا الموظَّف قدرٌ من التناغُم كذلك. ومعلوماتي أنَّ الخطابات تلك قد أُرسلت (بالرقم والتاريخ) لوزارة المالية؛ لاستحداث مرتبة خامسة عشرة وترقية «أبي صالح» عليها. ثمَّ أريته العرض المكتوب الذي قدَّمته لسمو الأمير «عبدالله» ولي العهد في حينه - رحمه الله - مناولةً، وتأشيره عليه - رحمة الله عليه - بالموافقة بالتفاهُم مع وزارة الماليَّة حول استحداث المرتبة. فاقتنع أخي أبو صالح الأستاذ بموقفي منه، فزادت العلاقة قوَّةً وصارت أقوى مما كانت عليه من قبلُ بعيدًا عن التدخُّلات السلبية بين الإخوة والأحبَّة.

وما تزال علاقتي بأخي أبي صالح الأستاذ «إحسان بن صالح طيِّب» مستمرَّةً قائمةً على الودِّ الصادق. وكتبت عنه أسطرًا بمناسبة تكريمه بعد تقاعده، وأرسلتها له لتُضاف إلى ما سطَّره الزملاء، وتخرج في كتابٍ تذكاري عنه. وفقه الله تعالى وسدَّد خطاه.

وممَّن أعتز بصداقتهم وزمالتهم الرجل الفاعل الطموح الدكتور أبو صادق «عبدالله ابن صادق دحلان». تعرَّفت عليه في أعمال منظمَّتي العمل الدولية والعربية، ممثِّلاً لرجال الأعمال في المؤتمرات السنوية والاجتماعات الدورية. وكان - وما زال - رجلاً متفانيًا في خدمة بلاده خدمةً مستمرَّة وفي أماكن مختلفة، حتى استقر به المقام إلى أنْ يُنشئ مع عدد من رجال الأعمال كلية إدارة الأعمال، التي توسَّعت لتصبح جامعةً يُشار لها بالبنان من الجامعات الرائدة في البلاد العربية. وتستمرُّ العلاقة والمودَّة. ولله الحمد والمنة.

ويَعلم أخي «أبو صادق» عن مشروع «موسوعة الإسلام» الآتي ذكره فيكون داعمًا رئيسيًّا دائمًا لمشروعات الموسوعة وبرامجها عن اقتناع بجدوى هذا المشروع، وثقةً بالعاملين على برامجه. وهذا من فضل الله تعالى.

وممَّن أعتزُّ بزمالتهم الوكلاء المساعدون، ومن بينهم الأستاذ «عبدالعزيز بن عبدالله الهدلق» - رحمه الله تعالى - وكيل الضمان الاجتماعي المساعد. وقد تقاعد في وقتي رغم المحاولات لثنيه، والرغبة في التمديد له لسنواتٍ أخرى، ولكنه أصرَّ على التقاعد ليتفرَّغ لتقوية صلته بالله تعالى والقرب من أهله وولده.

والأستاذ «مطلق بن مطلق الحنتوش» وكيل الوزارة المساعد في الشؤون الاجتماعية، وقد تقاعد مبكِّرًا في زمن وزارة معالي الدكتور «يوسف بن أحمد العثيمين».

والأستاذ «عبدالرحمن البواردي» الوكيل المساعد لشؤون العمل، الذي تمكَّن من تمديد إدارته بالوزارة، فأضحى وكيلاً لوزارة العمل للشؤون العمَّالية.

والأستاذ «محمد بن عبدالله العقلا» وكيل الضمان الاجتماعي الذي أولاني - وما يزال - تقديرًا عجيبًا، كنت وما أزال أخجل منه وانتقل إلى مجلس الشورى ليلة تكريمه من زملائه الذين عملوا معه في وكالة الضمان الاجتماعي، ثم مديرًا لهيئة القصَّر، وكذلك الزملاء مديرو العموم ومدراء الفروع ومديرو الإدارات ومديرات الإشراف النسائي ومديرات الدور والمراكز النسائية.

والزميل «يوسف بن صالح العيد»، الذي كان يعمل في الشؤون القانونية بوكالة الوزارة للشؤون الاجتماعية - على ما أذكر - فطلبت من وكيل الوزارة الأستاذ «عوض بن بنية الردَّادي» - رحمه الله تعالى - نقل خدماته للمكتب؛ ليتولى مهمة تسيير المكتب. فعملنا سويًّا. وكان من ضمن الفريق الذي كان يجتمع صباحات الخميس، وكان يوم إجازة، بل إنه مارس مهمَّة المقرِّر للاجتماعات، لكن بصورة غير رسمية. وكنا نتناقش حول الموضوعات المستجدَّة التي تطرأ أثناء العمل اليومي، فكان مبادرًا في طرح الأفكار والرؤى. ويساندنا في هذه الجلسات زملاؤنا في المكتب الأستاذ «عبدالرحمن بن عبدالله الرضيَّان» والأستاذ «سليمان ابن فهد البهلال» والزميل «عبدالرحمن الفايز»، والزميل «محمد العكيل»، وغيرهم من الزملاء الذين عملت معهم بقدر عالٍ من الودِّ والاحترام.

ومن الزملاء الذين أعتزُّ بزمالتهم الأستاذ «عبدالرؤوف بن محمد القايدي»، وكان يشغل مدير مكتب العمل في جدَّة. وله جهود مضنية في التوفيق بين مطالب الوزارة ومطالب رجال الأعمال. وهي معادلة صعبة عانى منها كثيرٌ ممن عملوا في مكاتب العمل على مستوى المملكة العربية السعودية. وقد تعرَّفت على أخي أبي محمد «عبدالرؤوف» في مدينة كليفلاند بولاية أوهايو عندما كان يدرس لدرجة الماجستير.

والأستاذ الصديق «هاشم بن علي راجح» مدير مكتب العمل بالمدينة المنوَّرة، وقد عانى كما عانى زميله الأستاذ «عبدالرؤوف». وإنْ كان بقيَّة زملائهم قد عانوا مثلما عانوا، إلا أنَّ هذين الزميلين قد مرَّ عليهما من المعاناة ما الله به عليم. وكانت بيننا لقاءات ودٍّ وتناغُم، وما تزال ولله الحمد والمنَّة.

والأستاذ الزميل والصديق «عبدالجليل زارع» مدير عام الشؤون الاجتماعية بمنطقة المدينة المنوَّرة، وهو رجل خدوم وكريم ومحبٌّ للخير، ويبذل في سبيله الشيء الكثير. وهو في الوقت نفسه ممن أُسيء فهمهم في عمله، فقد كان يطمح

إلى أداء أفضل مما أُتيح له، لكن البيروقراطية الإدارية حالت بينه وبين ما يشتهي للعمل، لا لمصلحته الخاصَّة، مثله في هذا مثل الزميل والصديق الأستاذ «إحسان ابن صالح طيِّب».

وساعده الأيمن كان أخي وزميلي في الدراسة بكلِّية اللغة العربية بالرياض الصديق العصامي الأستاذ «علي بن عبدالله الطويلعي» - رحمه الله تعالى - كانت بيننا علاقة وِدِّية أيام الدراسة، واستمرَّت ولله الحمد بعد ذلك. وكان قد نشأ في المدينة المنوَّرة يتيمًا عصاميًّا، وعاش في كنف والدته - رحمها الله تعالى - فانعكس وضعه هذا إيجابًا على خدمته للفئات من ذوي الظروف الخاصة. ولم يسلم هو كذلك في عمله من المعاناة الإدارية. وأصيب بجلطة آخر الوقت بعد سقوطه من السلَّم. وزرته في المدينة المنوَّرة مع الأخوين «عبدالجليل زارع» و«هاشم راجح» وعرفني وذكرني باسمي «علي» بصوتٍ خافت. وبقي على حاله يعاني مع المرض حتى توفَّاه الله - عليه رحمة الله -.

ومنهم الأخ والصديق والزميل الدكتور «عبدالله بن ناصر السدحان» الميَّال دائمًا إلى العلمية والمنهجية في مناقشة القضايا الاجتماعية، ولذلك كثُرت تآليفه في هذا المجال، وشارك في المؤتمرات العلمية بالبحوث والدراسات، وحصل على شهادة الدكتوراه في العمل الاجتماعي. وشغل وكيل الوزارة لشؤون التنمية، عندما شُطرت الشؤون الاجتماعية إلى وكالة الرعاية الاجتماعية ووكالة التنمية. وهو عندي في سيطرته على الشأن الاجتماعي وقدرته على التأصيل والتنظير أكثر من دكتور. وكتب عنِّي في الصحيفة ما لا أستحقُّه.

وما تزال العلاقة الأخوية مع أخي الدكتور أبي ناصر «عبدالله بن ناصر السدحان» مستمرَّة ولله الحمد والمنَّة. وقد علم عن مشروع موسوعة الإسلام الخيري الآتي ذكره، فتفاعل عمليًّا مع المشروع، وصار داعمًا قويًّا بالرأي والمشورة والنصيحة، بالإضافة إلى دعمه المادِّي من خلال جلب مشروعات الدعم لبرامج الموسوعة.

والزميل «منصور بن صالح العُمري»، وقد تقلَّب في عدَّة أعمال في الوزارة، فهو وثَّاب وراغب في الخدمة للفئات المخدومة في الوزارة، لا سيَّما الأيتام، ويكاد يكون والده الوجيه «صالح بن سليمان العُمري» أوَّل مدير لدار الأيتام «دار التربية النموذجية» بالرياض. وقد كانت له مع الأيتام صولات وجولات، لفتت عليه الانتباه. ثمَّ تسلَّم إدارة مؤسَّسة الأيتام أوَّل نشأتها، وقد بات اسمها «إخاء» على طريقة تسمية المؤسَّسات وبعض الجمعيات المتخصِّصة بأسماء مختصرة، تنبئ عن اهتماماتها، وقفز بالمؤسَّسة قفزات مهمَّة. وانتهى به المقام إلى التقاعُد المبكِّر، دون الإفادة من خبراته في هذا المجال الاجتماعي. وأحسب أنه خرج من الوزارة محبطًا، شأنه شأن عدد من ذوي الطموحات الذين أُسيء فهم طموحاتهم.

وكنت وما أزال أوصي من أثق بهم بالاستفادة من إمكاناته وخبراته هو وعدد من الزملاء، الذين أجبرهم نظام التقاعُد على التنحِّي عن العمل، مع أنه تقاعد مبكِّرًا قبل أنْ يصل إلى سنِّ التقاعد.

والدكتور «فهد المطلق» الذي عاد في وقتي من بعثة إلى بريطانيا بالدكتوراه في علم الاجتماع، فتوسَّمت فيه إثراء العمل الاجتماعي، ورغبت في أنْ يكون قريبًا مني، ووفَّرته لأعمال اجتماعية وإدارية. إلا أنَّ ظروفه الخاصَّة حتَّمت عليه الانتقال إلى منطقة القصيم، فأضحى مديرًا للشؤون الاجتماعية بالمنطقة، بعد وفاة أخي «إبراهيم بن محمد بن عبدالمحسن الفريح» - رحمه الله تعالى -. وهو على ما يبذل من جهود في المنطقة إلا أنَّ إمكاناته العلمية والفنِّيَّة أكثر بكثير من أنْ تقتصر على منطقة واحدة، دون التقليل من مسؤوليَّاته في المنطقة ومتطلَّبات العمل الاجتماعي فيها.

والزميل «إبراهيم العمير» - أبو زياد - في المنطقة الشرقية، والزميل «خالد ابن عبدالرحمن الفايز» في منطقة حائل، والزميل «علي العفتان» بمنطقة عسير،

وغيرهم من مديري الشؤون الاجتماعية ومديري مكاتب العمل ومكاتب الضمان الاجتماعي بمناطق المملكة، أُكنُّ لهم التقدير والاحترام، وأُقدِّر زمالتهم وأعتزُّ بها.

والزميل «عوض بن علي الجميلي» الذي يوليني تقديرًا أخجل منه. وكان قد قدم من وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. وكان قد اقترح استضافة بعض الوعَّاظ؛ ليلقوا على الموظَّفين موعظة بعد صلاة الظهر في مسجد الوزارة، فوافقت شريطة أنْ تكون للموعظة علاقة مباشرة بالأداء الوظيفي والأمانة في العمل وخدمة المراجعين، واستحضار الاحتساب والعبادة في الخدمات المقدَّمة لطالبي الخدمة، وألاَّ تكون الموعظة عامَّةً، على ما فيها من فائدة وعظة.

أما إخوتي الثلاثة الأستاذ «محمد بن عبدالعزيز الهزاع» والأستاذ الدكتور «إبراهيم بن محمد الحمد المزيني» والأستاذ «فهد بن حمود الدحيلان» فإنَّ لهم معي شأنًا آخرَ. فما جمعتنا الوزارة فحسب، بل كانت العلاقة معهم قد بدأت قبل ذلك بسنين، تعود إلى سنة ١٣٨٦هـ مع أبي فيصل أ. «محمد الهزاع» كما مرَّ ذكره، وسنة ١٤٠٤هـ مع أخي أبي محمد «إبراهيم المزيني» كما مرَّ ذكره أيضًا، وسنة ١٤١٨هـ بالنسبة لأخي أ. أبي خالد «فهد الدحيلان»، عندما انضمَّ إلى قسم التاريخ والحضارة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وهم عندي مع أحبَّة أخرين لم تجمعنِي بهم الوزارة فقط، فهم عنوان للوفاء والمودَّة المتبادلة. والعلاقة بهم مستمرَّة وممتدَّة ولله الحمد والمنَّة.

* * * * *

الوقفة الثلاثون:
أصدقاء العمل (٢)

ومن الزميلات اللاتي يعتز المرء بزمالتهن والعمل معهن تأتي في طليعتهن سمو الأميرة «سارة بنت محمد آل سعود» مديرة عامَّة الإشراف النسائي بالوزارة، الخبيرة في الشأن الاجتماعي، الممارسة لهذا العمل تطوُّعًا منذ زمن يعود إلى الثمانينات الهجرية/ الستينات الميلادية، فقد كانت تعمل متطوِّعةً في مركز الخدمة الاجتماعية الواقع في شارع الأعشى جنوب شارع الملك فيصل (الوزير). وكانت عازفةً عن الظهور الإعلامي وعن الشهرة.

وكانت تعمل بصمت، وتسعى إلى الارتقاء بالعمل الاجتماعي بعامةٍ والنسائي بخاصَّةٍ، وأنْ يكون له شأن أكثر من الشأن الذي هو عليه، وكان يهمُّها أنْ يكون للعنصر النسائي أثر (دور) أكبر مما هو عليه، لا سيَّما أنَّ العمل الاجتماعي بعمومه لصيق بالمرأة، وتبدع فيه حيثما أعطيت الفرصة للإبداع فيه.

وكنت أدرك أنَّ العمل الاجتماعي يعتمد اعتمادًا غيرَ عادي على العنصر النسائي، وأنَّ أوَّل جهاز حكومي يوظِّف المرأة في المملكة العربية السعودية - على حدِّ علمي - هو جهاز وزارة العمل والشؤون الاجتماعية في الشأن الاجتماعي خاصَّةً عدا التعليم والصحَّة. وقد سبق أنْ حدَّثت أحد الزملاء في الوزراء برغبتي في الارتقاء بوظيفة الإشراف النسائي في الرابعة عشرة إلى وكيلة وزارة مساعدة للإشراف النسائي. ولم يُسعف الوقت لتحقيق ذلك.

ويبدو أنَّ سمو الأميرة المديرة العامة للإشراف النسائي بالوزارة لم تكنْ مقتنعة بإسناد بعض صنوف الرعاية الاجتماعية إلى القطاع الخيري «الثالث»، وتتخوَّف من ذلك ومما قد يعتري هذا الإسناد من تقصير في تربيتهم، لا سيَّما في مجالي الرعاية والتنشئة؛ حرصًا منها على حسن الرعاية والتنشئة، واطمئنانًا

منها على عدم الميل بهم يمنة أو يسرة. وكانت محقَّةً في ذلك، لا سيَّما في ضوء الأحداث الأخيرة التي عصفت بالعالم بعامَّة، وبالمنطقة بخاصَّة، وببلاد الأمن والأمان المملكة العربية السعودية بصورة أخصَّ.

وقد طلبت إحدى المؤسَّسات الخيرية العاملة في الداخل والخارج رعاية عدد من الأيتام، فأسندت الوزارةُ إليها رعايةَ اثني عشر منهم من الذكور، وكانوا من الشباب المراهقين، ولم توفَّق تلك المؤسَّسة في الرعاية من الأيَّام الأولى، وأعلنت انسحابها من هذه الخدمة، ورفعت الراية البيضاء في ضوء عدم التناغُم بين المشرفين من المؤسَّسة وبعض الأيتام الذين رغبت في رعايتهم.

فكان هذا مصداقًا لحدس سمو الأميرة «سارة بنت محمد آل سعود» الذي كان في محلِّه، فجزاها الله تعالى عن العمل الخيري والاجتماعي خير الجزاء.

والزميلة الأخرى كانت الأخت «نورة آل الشيخ» المسؤولة عن الشأن النسائي في منطقة مكَّة المكرَّمة. وكانت لها جهودها غير العادية في عملها في هذا الشأن. فما كانت تمارس عملها على أنها موظَّفة، بل لأنها من الخيِّرات اللاتي يحفل بهن - بفضل الله - المجتمع السعودي. والأستاذة الفاضلة «سمها الغامدي» المتشبِّعة بالعمل الخيري، الحاضنة للأيتام أمًّا حنونًا، يذكرونها دائمًا بكلِّ خير.

وزميلات أخريات في مناطق المملكة العربية السعودية الواسعة، لهن باعٌ يُذكر فيُشكر في مجالات الخدمة الاجتماعية والعمل الاجتماعي، من حيث الأداء ومن حيث التطوير. فجزاهن الله تعالى جميعهن عن الفئات ذوات الاحتياجات الخاصة خير الجزاء.

على أنَّ هناك زملاء وزميلات آخرين وأُخريات، سواء من داخل الوزارة بفروعها أم من الجهات التي تشرف عليها الوزارة كالمؤسَّسات والجمعيات الخيرية، ومنها الجمعيات النسوية والجمعيات التعاونية، أم من تلك الجهات

التي يرأس وزير العمل والشؤون الاجتماعية مجالس إدارتها، مثل المؤسَّسة العامَّة للتأمينات الاجتماعية ومحافظها السابق معالي الأستاذ «سليمان بن سعد الحميِّد»، الذي انتقل بعدها إلى مجلس الشورى في دورته التي بدأت سنة ١٤٣٤هـ، ثم تعيَّن وزيرًا للشؤون الاجتماعية.

وقد كانت لي مع معالي الأستاذ «سليمان بن سعد الحميِّد» محافظ التأمينات الاجتماعية وقفاتٌ خاصة أملاها علينا قدرٌ عالٍ من التناغُم. وكانت للمؤسَّسة استثمارات خارج البلاد، وكنت - وأنا على جهل منِّي بالاستثمار والاقتصاد عمومًا - ألمِّح في جلسات مجلس الإدارة إلى ضرورة الالتفات إلى الداخل في الاستثمار.

وعندما وقعت حادثة يوم الثلاثاء ٢٢/ ٦/ ١٤٢٢هـ الموافقة لـ١١/ ٩/ ٢٠٠١م في أمريكا مرَّ عليَّ معالي المحافظ ليعرض عليَّ البدء بمشروعات استثمارية في الداخل؛ تحسُّبًا لأي طارئ، فكان هذا العرض «منوة المتمني»! فتوجَّه استثمار المؤسَّسة للداخل - والحمد لله ربِّ العالمين - بالإضافة إلى إسهامات المؤسَّسة في مشروعات اقتصادية، تعود عليها بالفائدة المشروعة؛ لتنمِّي أموال العمال التقاعدية.

والمؤسَّسة العامَّة للتعليم الفني والتدريب المهني ومحافظها السابق معالي الأستاذ «محمد بن سليمان الضلعان» - رحمه الله تعالى - الذي ربطتني به علاقة احترام وتقدير مني له ومنه لي. ومحافظها الآخر معالي الأخ الدكتور «علي بن ناصر الغفيص» وقد تقاعد سنة ١٤٣٦هـ.

وكانت لي مع أخي معالي الدكتور «علي بن ناصر الغفيص» وقفات حول مسار المؤسَّسة وفاعليَّتها وتقريبها أكثر إلى المهنية، فكان هذا همًّا يشغل المسؤولين بالمؤسَّسة، في الوقت الذي كانت المؤسَّسة تواجه ضخًّا إعلاميًّا سلبيًّا، يؤثِّر على همم العاملين بالمؤسَّسة. وعلى أيِّ حال انتقل الصديق معالي

الدكتور «علي الغفيص» إلى وزارة العمل والتنمية الاجتماعية، وخدم فيها إلى أنْ تولاَّها معالي الأخ المهندس «أحمد بن سليمان الراجحي» وفَّقه الله.

واللجنة الوطنية لرعاية السجناء وأسرهم والمفرج عنهم التي يرأس مجلس إدارتها وزير الشؤون الاجتماعية، وينوب عنه سعادة مدير عام المديرية العامة للسجون السابق سعادة اللواء الفاضل الصديق الدكتور «علي بن حسين الحارثي». الذي تربطني به علاقة صداقة وودٍّ متبادل، ما تزال - ولله الحمد والمنَّة - قائمةً. وما نزال ولله الحمد على تواصُل. وله عندي قدرٌ خاصٌّ.

وصندوق تنمية الموارد البشرية الذي عمل أمينًا عامًّا له سعادة الأستاذ الدكتور «محمد بن عبدالعزيز السهلاوي». ولم تستمر علاقته بالصندوق؛ إذ إنه شهد إنشاء الصندوق، ووضع بصماته في هذه المرحلة الحسَّاسة. ثمَّ تولَّى إدارة الصندوق الأخ الصديق «أحمد بن عبدالرحمن المنصور الزامل» - على ما مرَّ ذكره -. وأُكنُّ لهؤلاء الزملاء الأصدقاء وغيرهم ممن لم يرد ذكرهم نسيانًا مني الاحترام والتقدير، ولا تكاد العلاقة مع بعضهم تنتهي بتوقُّف المؤثِّر. ولا يبقى بيني وبين بعضهم الآخر إلا الذكر الحسن.

ومن الزملاء الذين أعتزُّ بزمالتهم وصداقتهم الصديق «إبراهيم بن محمد ابن عبدالمحسن الفريح» - رحمه الله تعالى -، مدير الشؤون الاجتماعية بمنطقة القصيم، ومدير مركز التأهيل الشامل قبله. وقد بدأت العلاقة مع الأخ «إبراهيم» سنين طويلة قبل علاقة العمل. توفِّي فجأةً خارج البلاد، فكتبت عنه الأسطر الآتية:

فقد العمل الاجتماعي بالمملكة العربية السعودية رائدًا من روَّاده بوفاة الأخ الصديق والزميل العزيز «الأستاذ إبراهيم بن محمَّد بن عبدالمحسن الفريح»، يوم الأحد ١٨/ ٦/ ١٤٢٦هـ الموافق ٢٤/ ٧/ ٢٠٠٥م، إثر نوبة قلبية لم تمهله

طويلاً - رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنَّاته -.(١)

وبعد وفاته تمَّ تكريمه في تقليد سنوي - تقريبًا - يقوم به أهالي البكيرية، للوفاء لمن كانت لهم إسهامات واضحةً في خدمة الوطن عمومًا، وفي خدمة محافظة البكيرية خصوصًا. وتختار هذه الشخصيات المكرَّمة لجنةٌ من بعض أعيان المدينة، بمباركة من أمير منطقة القصيم ومحافظ محافظة البكيرية.

وكان لي شرف المشاركة في هذه اللجنة في بعض جلساتها. وكان يرأسها الوجيه العمُّ «سليمان بن عبدالعزيز الراجحي»، وينوب عنه الوجيه العمُّ «محمد ابن علي السويلم» - رحمه الله -. ويحضر صاحب السمو الملكي الأمير «فيصل ابن بندر بن عبدالعزيز» أمير المنطقة في حينه مناسبات التكريم.

وطلب مني المنظِّمون إلقاء كلمة بمناسبة الوفاء عمومًا، فجعلتها خاصَّةً بما قدَّمه الأخ العزيز «إبراهيم الفريح» لوطنه ولمنطقته ولمدينته، فكانت الكلمة المرتجلة موضع ترحيب من الحاضرين. وقد اتَّصل بي أحد الحاضرين وأقسم أنه أجهش بالبكاء لهذا الوفاء لزميل عزيز - رحمهما الله تعالى -. وكان اسم البرنامج على أيِّ حال لقاء الوفاء.

والأخ الصديق «عبدالله بن راشد العبداللطيف» من المؤسَّسة العامَّة للتعليم الفنِّي والتدريب المهني، تعرَّفت عليه في سنة ١٤١٠هـ، عندما عملت في الهيئة العامَّة لجمع التبرُّعات للمجاهدين الأفغان، وكان يعمل في بيت «المهاجرين» - كما كانوا يسمُّونه - في مدينتي بيشاور وكويتَّا الباكستانيتين، فقد كان يعمل بينهم في مجال المشروعات المهنية الصغيرة والأسر المنتجة، لا سيَّما بين الأرامل الأفغانيَّات.

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. وبشِّر الصابرين: كلمات في رجال تركوا أثرًا.- مرجع سابق.- ص ١٢٥ - ١٢٨.

وكانت هذه هي مهمَّاته التدريبة والعناية بذوي الاحتياجات الخاصَّة، ولم يكن ذا اهتماماتٍ ميدانيةٍ جانبية غيرها، فهذا هو المجال الذي سار عليه في عمله الرسمي في المؤسَّسة، وبعد أنْ انتقل إلى بنك التسليف، ثم تقاعد.

علاقتي بأخي أبي محمد «عبدالله بن راشد العبداللطيف» لم تكن علاقة عمل فحسب، بل امتدَّت إلى علاقة أخوُّة بيني وبينه وإخوته، وامتدَّت واستمرَّت إلى كتابة هذه الوقفات - ولله الحمد - وهي تقوى مع الزمن. وبيننا تناغُم مبارك واحترام متبادل، ويمارسون معي دور الإخوة الأصغر مني، وهم كبار بما يحملونه من سماتٍ وهممٍ عالية.

وكنت وما أزال معجبًا بقدرات الأخ «عبدالله بن راشد العبداللطيف» ومبادراته وتفانيه في مجال المشروعات الصغيرة ودأبه على نجاحها، رغم ما كان يواجهه من تحدِّيات العمل وعقباته، التي زادته صلابةً، فطفق ينمِّي هذه المقدرة بالدورات وحضور الندوات والمؤتمرات في الداخل والخارج. ويدرِّب المدرِّبين على إنشاء المشروعات الصغيرة وإدارتها. وأحسب أنه أثرى هذا المجال بصورة عملية، حتى أضحى مكسبًا لبنك التسليف.

ولا يُفهم من عبارة «أصدقاء العمل» في الوقفتين هذه أنها صداقات ظرفية، تنتهي بانتهاء مؤثِّرها، فتلك قد يعبَّر عنها بالزمالة، وهي - فيما يظهر - دون الصداقة، بل إنها صداقات العمل استمرَّت بتواصُل ولقاءات ودِّية، تترجم ما لهؤلاء الأحبَّة من وفاء وذكرى طيبة بفضل الله تعالى.

*****

الوقفة الواحدة والثلاثون: مواقـــــف

تمرُّ على المرء مواقف ترسخ في ذاكرته، وتحفظ في عقله الباطن، فتستحضرها المواقف والمناسبات المماثلة. ومثلي مثل غيري مررت بمواقف كثيرة تستدعيها عادةً حالٌ من التفكير مع صفاء الذهن. والتركيز هنا ينصبُّ على مواقف مرَّت بي أثناء عملي بالوزارة. وهي كثيرة لعلِّي أوفَّق في ذكر شيء منها.

أسوق بعضها هنا بعد أنْ أكَّد عليَّ الصديق الصدوق الدكتور «عبدالعزيز ابن عبدالرحمن الثنيان» المربِّي ووكيل وزارة المعارف السابق وعضو مجلس الشورى والقريب من الخير دائمًا بتسجيل بعض المواقف الطريفة التي تمرُّ بالمسؤول، ويكون وراءها نفعٌ لا متعةً فقط.

ومن أرقى المواقف التي مرَّت بي أني كنت مشاركًا في لجنة يرأسها خادم الحرمين الشريفين الملك «عبدالله بن عبدالعزيز»، وكان حينها وليًّا للعهد، وكان من أعضاء اللجنة معالي الأستاذ الجليل «صالح بن عبدالرحمن الحصين» الرئيس العام لشؤون الحرم المكِّي والحرم المدني - رحمه الله تعالى - فلمَّا حضرت الصلاة طلب الملك «عبدالله» من معالي الأستاذ الجليل أنْ يتقدَّم للصلاة، فالتفت الأستاذ الجليل على الأمير «عبدالله» وقال: يا طويل العمر أنا أحمل على ظهري سبعين سنة آثام، فلعلَّك تعفيني من التقدُّم للصلاة. فأصرَّ عليه خادم الحرمين الشريفين أنْ يتقدَّم للصلاة.

أثَّر بي هذا الموقف من شخص عُرف عنه التواضع الجمُّ فعلاً، ورويت عنه مواقف تجسِّد ذاك التواضُع التلقائي، بالإضافة إلى نزاهته وكونه صاحب فكر وهمٍّ ترجمه إلى عدد من الإسهامات العلمية والفكرية، منذ أنْ عرفه القريبون والبعيدون - رحمه الله تعالى رحمةً واسعة -.

ومنها أني كنت عضوًا في لجنة دراسة مادَّة التربية الوطنية، التي قُرِّرت على عجل - على ما بدا لي - على طلبة التعليم العام بمراحله الثلاث. وكنت وما أزال ضدَّ تخصيص التربية الوطنية بمادَّة مستقلَّة، بل إني كنت أرى ضرورة زرع التربية الوطنية من خلال جميع الموادّ التي تدرَّس للطلاَّب، من مادَّة القرآن الكريم إلى مادَّة التربية البدنية والتربية الفنِّية.

وكنت دائمًا أكرِّر موقفي هذا في اللجنة، وكان معالي الأستاذ الدكتور «حمود ابن عبدالعزيز البدر» رئيس اللجنة يصبر عليَّ، حتَّى انبرى زميل في اللجنة مخاطبًا رئيس اللجنة بأنه ما دام الأخ علي لا يسير معنا في التوجُّه فلمَ يحضر جلساتنا؟! فقلت لهم إنْ كنتم لا ترغبون في حضوري فلن أحضر.

ولم أحضر بعدها، فقد كانت تلك الجلسة التي اعترض فيها الزميل على وجودي معهم في اللجنة آخر جلسة لي مع اللجنة، وليس ذلك لأني استجبت لرغبة الزميل في عدم حضوري، فذاك قرار متروك لمعالي وزير التربية والتعليم الأستاذ الدكتور «محمد الأحمد الرشيد» - رحمه الله تعالى - وإنما لم أحضر بعد تلك الجلسة لأنه صدر أمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - رحمه الله - بتعييني في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية مطلع سنة ١٤٢٠هـ.

ومن المواقف الطريفة - في نظري - أني كنت جالسًا بجوار معالي أخي الكبير الأستاذ «خالد القصيبي» - رحمه الله تعالى - وزير الاقتصاد والتخطيط السابق في إحدى اللجان، وكنت عن يساره، فتقدَّم لي أحد العاملين في اللجنة بطلب الشفاعة من معالي الأستاذ «خالد» وهو يسمع. وعندما انتهى طالب الشفاعة من عرض طلبه التفتُّ إلى معالي الأخ «خالد» وسألته: ألم يُحدث هذا الموقف لديه قدرًا من الضيق، بحكم أنَّ طالب الشفاعة كان من الممكن أنْ يقدِّم الطلب لك مباشرة وأنت حاضر؟ فالتفت إليَّ معالي الأخ الكبير وقال: أبا حمد، هذه نعمة منَّ الله بها عليك. والحمد الذي بنعمته تتمُّ الصالحات.

أسوق هذا الموقف لطرافته ومفاجأتي به، وإنْ كان يوحي للقارئ بقدر من تزكية النفس. وللنفس حظوظها. كفاني الله تعالى وإيَّاكم شرَّ الرياء والسمعة. وتقود هذه المواقف وغيرها مما لم يأتِ ذكرها إلى الحديث عن إدارة العمل الاجتماعي بشقِّيه الحكومي والأهلي الخيري، وفي كلٍّ خير.

ومن المواقف الصعبة ما نقله مهندس يتعامل مع الوزارة عن أبيه الذي يعرف أبي، وربما جدِّي وأسرتي وأنها نشأت في البكيرية على الفقر والفاقة، وأنَّ حياتنا جميعًا كانت حياةً متواضعةً جدًّا في مستواها المعيشي، فعندما أخبر المهندس أباه أنني عُيِّنتُ وزيرًا، قال الأب لابنه: إيه! لا ينسى أنه ولد «براهيم الحمد النملة» (دون همزة إبراهيم، وهو المتداول شعبيًّا). فتقبَّلت هذه النظرة على أنها رغبةٌ من الوالد ألاَّ يطير بي العُجْب فأنسى ما كنت عليه.

وقد يكون مقصد الرجل الوالد - عفا الله عنا وعنه - أنْ يذكِّرني بأنْ لا أطغى وأتكبَّر وأتجبَّر، ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ٨﴾. [العلق: ٦ - ٨]، تاركًا تاريخي وتاريخ أسرتي وراء ظهري. فأكون بهذا قد أسأت الفهم بهذا التذكير، وربَّما أسأت الظنَّ بالرجل - رحمه الله تعالى - بناءً على حساسيتي المفرطة. وعلى أيِّ حال جزاه الله عني خير الجزاء، وغفر له ولي ولوالدينا على أنْ نبَّهني ألا تغيِّريني المناصب، فلست ممن يتنكَّر لماضيه البعيد والقريب، رغم الدعوات لي بنسيان ماضيِّي، لا سيَّما جانب الفاقة فيه.

فطمأنت الابنَ المهندس الزميل الصديق، وطلبت منه أنْ يطمئنَ والده - رحمه الله تعالى - أنَّ هذا الشعور لن يحصل بعونه تعالى؛ إذ إنه في عرفنا نشاز، فـ«ما طار طائر وارتفع إلا كما طار وقع». وليس من المروءة التنكُّر للنشأة، مهما كانت متواضعةً في ظروفها ومعاناتها وإمكاناتها، التي أؤكِّد دائمًا أنها لم تكن إلا جزءًا من كل، فيما له علاقة بالنشأة التي قامت على العوز والفاقة الشاملة والنسبية - ولله الحمد والمنَّة -.

ومن باب الشيء بالشيء يُذكر أنَّ جماعة - كما في كتاب «بحر الآداب» - تذاكروا فيما بينهم آثار «معن بن زائدة» (توفِّي سنة ١٥١هـ/ ٧٦٨م) وأخبار كرمه، معجبين بما هو عليه من التؤدة ووفر الحلم ولين الجانب، وغالوا في ذلك كثيرًا. فقام أعرابي وأخذ على نفسه أنْ يُغضبه فأنكروا عليه، ووعدوه بمئة بعير إنْ هو فعل ذلك. فعمد الأعرابي إلى بعير ذبحه وسلخ جلده، وارتداه واحتذى بعضه جاعلاً باطنه ظاهرًا، ودخل عليه بصورته تلك، وأنشد يقول:

أتذكر إذ لحافك جلدُ شاةٍ وإذ نعلاك من جلدِ البعيرِ

قال «معن»: أذكر ذلك ولا أنساه.

فقال الأعرابي:

فسبحان الذي أعطاك مُلكًا وعلَّمك الجلوسَ على السرير

قال معن: إنَّ الله يعز من يشاء ويذل من يشاء. ويمضي الحوار بين «معن بن زائدة» والأعرابي على خير ما يمضي عليه الحوار، ويُختم بمكافأتين مجزيتين للأعرابي، دون أنْ يخرج «معنٌ» عن طوره المعروف المألوف عنه.[1]

ومن باب الشيء بالشيء يذكر أيضًا، وهو هنا مراجعة مكتب الوزير، فقد ذكرت لزملائي وكلاء الوزارة في أحد اجتماعاتنا التشاورية أنَّ لديَّ قاعدةً إدارية مفادها أنه كلَّما كثُر مراجعو مكتب الوزير دلَّ ذلك على تقصير الوكالات، ولم أقُل الوكلاء. لم يُعجب الزملاء هذا الاستنتاج، لكني كنت مقتنعًا به، لا سيَّما أنَّ الأصلَ فينا في مراكزنا أنْ نذلِّل العقبات أمام جميع المراجعين، خاصَّةً إذا كانت «عادية» وفيها خدمة مباشرة للمراجعين، وليس فيها «لفٌّ ولا دوران».

وقد أعجبني شعار رفعته وكالة الضمان الاجتماعي بالوزارة بقيادة الأخ الفاضل الأستاذ «محمد بن عبدالله العقلا»، فكرته تدور حول إهداء الوكالة،

---

(١) انظر: مجموعة من المؤلِّفين. بحر الآداب.- ٣ مج.- ٣: ٢٦٣.

ومن ثمَّ الوزارة، الحالات المستحقَّة، أي أنَّ الاستدلال والتدليل على الحالات المستحقَّة يُعدُّ في نظر الوزارة هدية؛ لما فيها من تفريج لكربة مواطن أو مواطنة. ورفعت الوكالة هذا الشعار وأعلنت عنه في الصحف مع أرقام الاتِّصال والتواصُل. وكان ذلك في زمن الزميل معالي الدكتور «يوسف بن أحمد العثيمين» وزير الشؤون الاجتماعية السابق.

وحيث إنَّ الشؤون الاجتماعية تصرف إعانات للمعوقين والأيتام والفقراء فكان من المتوقَّع أنْ يكون لدينا بعض ضعاف النفوس، الذين يأتون ليحصلوا على مبلغ من المال، يتصوَّرون أنهم لن يخرجوا من الوزارة إلا وقد حُشيت جيوبهم بالإعانات. وما علموا أنَّ دون ذلك إجراءات للتحقُّق من الاستحقاق، إلى درجة المبالغة المفرطة التي أدَّت إلى احتمال حرمان بعض من يستحقُّون مما يستحقُّونه أحيانًا، عندما غُلِّبت الإجراءات الإدارية على الشأن الفني الاجتماعي، ومن ثمَّ التعب في الحصول على الاستحقاقات المالية.

ولذلك كان وكيل الوزارة السابق لشؤون الضمان الاجتماعي الأخ الزميل الأستاذ «عبدالله بن محمد البابطين» قد رفع هو بدوره شعارًا احترازيًّا قبل شعار الزميل والصديق «محمد بن عبدالله العقلا»، مفاده «أنْ تعطي غيرَ مستحقٍّ خير من أنْ تمنع مستحقًّا» - كما مرَّ ذكره -. وهذه - لعمري - من البصمات التي تبقى آثارُها، وينال مَن رفعها أجرَها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة. فهنيئًا لأخي أبي هشام «عبدالله بن محمد البابطين» تلك البصمات.

ومن المواقف الصعبة عليَّ بصفتي الشخصيَّة أنه ورد عليَّ شخصان كبيران في السن. أمَّا أحدُهما فكان صديقًا وزميلاً للوالد - رحمه الله تعالى - في السباكة. وأمَّا الآخر فهو قريب من العائلة قربة جوار، وكلاهما يرغب في توظيف ابنته في الوزارة. وسعيت معهما إلى إيجاد وظيفة إدارية لابنتيهما، فوردني من زملائي أنَّ هناك فرصةً لتوظيفهما مراقبتين في إحدى الدور.

وعمل المراقبة أو المراقب في الدور يقتضي العمل على مدار الساعة. وهذا يعني أنهما لا بُدَّ أن تعملا في الليل، والوالدان لا يرغبان في أنْ تبيت بنتاهما خارج البيت، فأخبرتهما بأنهما لن تناما، بل ستبقيان صاحيتين لمراقبة الفتيات، فقال لي أحدهما: البنت لن تبقى خارج البيت في الليل. فلم أتمكَّن من توظيفهما إداريتين، مع أني نظريًّا أستطيع تعميد الزملاء في ذلك، ولكن هذا سيكون على حساب من تقدَّمن قبلهما، وهنَّ كُثر. فكيف تقنع رجلين بأنك لا تستطيع تخطِّي مثل هذا الهاجس، مع أني أدرك أنَّ هذا التجاوُز قد يكون ممارسًا في بعض الجهات، ولكني لم أستطع ذلك، فكان هذا في خاطريهما ولا أشكُّ في ذلك. والمسؤولية تقتضي الحزم في الحالين وغيرهما، رغم أنَّ هذا الحزم سوف لن يرضي الآخرين.

ومن المواقف غير الصعبة التي تأتي من باب الشيء بالشيء يذُكر كذلك أنه ورد عليَّ الأستاذ «عبدالعزيز» أحدُ الموظَّفين بشؤون العمل من ذوي المراتب القيادية، وذلك في أوَّل أيامي بالوزارة، وبدأ الحديث عن ظروف الوزارة وموظَّفيها، ثم دخل «بالعميق» وأراد أنْ يغتاب زملاءه ويشي بهم، فتبيَّن لي أنه من ذلك الصنف الذي يرغب في الحظوة والرقي على أعراض الآخرين، وليس فقط على أكتافهم، فصددتُه بهدوء وذكَّرته بمغبَّة الغيبة والنميمة، وطلبت منه تزويدي بما يخدم الوزارة في المستقبل، والكفِّ عن ذكر الأشخاص، فخرج من عندي ولم أرَه بعدها إلا في المناسبات العامَّة بالوزارة.

ويظهر لي أنَّ الأستاذ «عبدالعزيز» قد نقل هذا الطلب مني القائم على موقف مبدئي إلى بقيَّة أصحابه، مشيرًا إلى أنَّ صاحبهم هذا ليس من ذلك النوع الذي يرغب في الدخول في متاهات الحديث عن الأشخاص وينشر العيون؛ لأني لم أتلقَّ بعده شخصًا يماثله في رغبته في الحظوة من هذا المنطلق، ولعلَّهم كانوا قلائل.

ومن المواقف المحزنة حقًّا أنه ورد على الوزارة شخصٌ مقيم من بلد عربي يريد استلام إعانة ابن مواطن معوق. فعندما سأله الموظف عن ولي أمر المستفيد، ولِمَ لا يحضر لتسلُّم الإعانة، قال المندوب: كيف تريده أنْ يحضر ليتسلَّم إعانة بخمسة آلاف ريال وهو يزكِّي بالملايين؟! ولا يظهر لي أنَّ هذا الموقف يحتاج إلى تعليق ومواعظ، في ضوء أخذ غير المستحقِّين إعاناتٍ من الدولة، قد تكون على حساب المستحقِّين فعلاً.

ومن المواقف المحزنة كذلك أنَّ الوزارة قاولت على توسيع مصلَّى الوزارة، وأسندت هذا العمل لمقاول مواطن. ويظهر أنَّ ذاك المواطن كان قد سلَّم أمور المقاولات لأحد الوافدين، على طريقة بعض من المواطنين فيما نسمِّيه بالتستُّر، الذي هو في زوال - بعون من الله تعالى ثم المتابعة الدقيقة من المعنيين من رجال الدولة أعانهم الله -. فلمَّا انتهى العمل وصدر الشيك باسم المواطن، ورأي فيه مبلغًا كبيرًا أودعه في حسابه، وتنكَّر للوافد الذي يعطي المواطن «طُفسةً» أي مبلغًا زهيدًا بين الفينة والأخرى نظير التستُّر عليه. فأُسقط في يدي الوافد ورجليه، وترجَّاه ليدفع مستحقَّات الموادِّ والعمَّال، لكن صاحبنا لم يهُن عليه أنْ يكون نصيبه من ذاك الشيك الفتات.

قال لي أحد أصحابي بالمكتب: لعلك تأتي ترى هذا المشهد. قلت وأيُّ مشهد؟ قال: إنَّ الوافد قد قدم على الوزارة يتَّكئ على العكَّزة ذات الأربع عجلات التي تُمسك باليدين الثنتين وقد ضعُفت حاله بعد أنْ كان متعافيًا. ولعله أُصيب بجلطة أوصلته إلى هذه الحال. وحيث إني لا أملك له حلاًّ في حاله التي سار عليها، مع تعاطُفي معه من منطلق إنساني، اعتذرت عن عدم الخروج له. فلا النظام يحميه ولا العقد يقف معه، ولا حيلة له ولا حيلة لنا معه، ولا شماتة في هذه المواقف. ما كنا نستطيعه حينئذٍ هو أنْ نتوقَّف عن إسناد بعض الأعمال لمن يثبت عليه التستُّر.

وأحسب أنَّ هذه حالٌ واحدة من عدد هائل من الحالات التي نخرت في مجتمعنا. فالتستُّر في مجتمعنا مرضٌ خطيرٌ، أسهم فيه بعض المواطنين في الماضي بعلمهم وإدراكهم. وإياك أنْ تتحدَّث عن الوطنية مع هذه الفئة فإنهم سيغرقونك في وطنيَّتهم. واللهم لا شماتة. وقد تغيَّر هذا الوضع بحمد الله ثم جهود الجهات المعنية في محاربة التستُّر من خلال نظام رسمي مقرٍّ.

ومن المواقف الطريفة التي لها في الوقت نفسه جانبٌ محزن أنه ورد على مكتب الهيئة العامَّة لجمع التبرُّعات للمجاهدين الأفغان مواطن قد حصل على انتداب لعمل قديم قام به، فجاء لمكتب الهيئة ليتبرَّع به كلِّه لبناء مسجد في أفغانستان. فرحَّبت به، وأخبرته أنَّ هذا المبلغ قد يبني له مسجدين جامعين. ورجوت أنْ يصلِّي بهما بعد الانتهاء من عمارتهما. فتسلَّم الإيصال وانصرف.

وبعد عدَّة أيام ورد عليَّ المواطن نفسه، وقال على استحياء إنه صادف مسجدًا يُنشأ في أحد أحياء شرق الرياض، وأن المسجد يحتاج إلى دعم، ولذا يرغب في استرداد المبلغ الذي تبرَّع به؛ ليصرفه على ذلك المسجد. فحيَّيته وطمأنته أنَّ المبلغ مستردٌّ بحول الله. وما عليه إلا أن يمرَّ غدًا الخميس ليجد المبلغ جاهزًا بانتظاره؛ إذ إنَّ مكتب الهيئة لا يحتفظ بالنقد.

وبعد أنْ اطمأنَّ المواطن ذكرت له بعفوية وتلقائية مباشرة أنَّ الأمر ليس في وجود مسجد في أحد أحياء مدينة الرياض، ولكنك صادفت شخصًا لا يثق في الهيئة فذكر لك أنَّ تبرَّعك قد لا يصل إلى مبتغاك، فقد «يلعبون به!». وأكَّدت له أنَّ المهم في الأمر أنْ تكون مطمئنًّا على ما تنفق، وأنه سيصل - بحول الله تعالى - إلى مبتغاك. فعاد في اليوم التالي وتسلَّم المبلغ. ولم يمرَّ عليَّ هذه المرَّة؛ لأنه كان محرجًا.

وهذا يعكس شيئًا من أزمة الثقة التي صاحبت بعض الجهات الخيرية العاملة في الداخل أو الخارج، وشيوع انطباعات غير صحيحة عن مسألة التلاعُب

بالتبرُّعات. ولكنها للحقِّ ليست إلا انطباعات محدودةً جدًّا - بفضل الله - لم تؤثِّر على مسار تنمية الموارد المالية للجمعيات. والمؤلم أنَّ بعض وسائل الإعلام التقليدية تمارس شيئًا من تشويه السمعة؛ رغبةً في إثارة الشكوك في نوايا العاملين في مجالات الخير.

ومن المواقف الصعبة أنني كنت - وأنا عضو في مجلس الشورى (١٤١٤ - ١٤٢٠هـ) - ضمن لجنة ذات علاقة بالتعليم بالبلاد. جاءت الفكرة من معالي الأستاذ الدكتور «محمد بن أحمد الرشيد» وزير المعارف ثم التربية والتعليم ١٤١٦ - ١٤٢٥هـ - رحمه الله تعالى -، وهي ثقةٌ منه أعتزُّ بها.

كان يرغب في تكوين هذه اللجنة منذ أنْ كان عضوًا في مجلس الشورى، وكتب عرضًا بذلك بموجب المادَّة الثالثة والعشرين من نظام مجلس الشورى، وكنت أحد الموقِّعين على العرض. فلما توزَّر استصدر قرارًا بتكوين اللجنة، وجعل على رئاستها أحد الإخوة التربويين، وكان قد عمل في وزارة المعارف. ولم يكن هذا الأخ الحبيب سعيدًا - كما بدا منه وظهر عليه - برئاسة اللجنة ولا راغبًا في ذلك، ولم يكن مهيأً نفسيًّا لرئاستها لأسباب تخصُّه، فكان طيلة المدَّة التي أدار بها الفريق في حالٍ قلقة، لا تساعد على قيادة لجنة بهذا الحجم، من حيث المهمَّةُ، ومن حيث الأعضاءُ ومكانتهم العلميةُ والفكريةُ.

ربَّما تكون هذه الحال من أسباب فشل بعض المشروعات المصيرية، عندما تسند إدارتها إلى من لا يرغبون في قيادتها، لا نقصًا في قدراتهم الذهنية أو الإدارية أو العلمية، ولكن لأنهم مصروفون عنها لأسباب خارجة عنها، وربما كان منها ضعف الاقتناع بالمهمَّة أو المهمَّات المراد القيام بها. والثقة بالأشخاص - على أهميَّتها - لا تكفي لإنجاز المهمَّات.

ضمن إحدى مداخلاتي أساء رئيس اللجنة - عفا الله عني وعنه - فهمي، وظنَّ أني أتَّهمه بما ليس فيه، رغم أني بدأت بالقول بأني أتَّهم نفسي، فحسَب أني

أقول فيه ما لا يليق به، وكان ردُّه غير لائق به ولا بي، فكتبت له قصاصة، قلت له فيها بكل إيجاز موح بالترفُّع عمَّا ظنَّه فيَّ: «لستَ أنتَ من يُقال فيه ذلك، ولستُ أنا من يقول فيك ذلك!». فتأثَّر الرجل واتَّصل بي في اليوم التالي وأنا حينها في مجلس الشورى، وأبدى موقفه وتذمَّره من الموضوع كله، وانتهى الأمر إلى هذا الحدِّ.

الشاهد من هذا الموقف هو تصريحي أمام أعضاء اللجنة بأني أتَّهم نفسي أوَّلاً، ثم بعد ذلك أبحث عن المؤثِّرات الخارجية. وقد تكون هذه السمة من جملة التعقيدات التي تلفُّ بي، فإنْ تكنْ فلتكُنْ، ولا أجد غضاضةً في ذلك؛ لأني مقتنعٌ أنها حسنةٌ من حسنات الرجال.

ولأنَّ المناصب لا تدوم - كما ذكرت في استهلال هذه الوقفات - لم أرحِّب بمَن وفد إليَّ من أقربائي أو معارفي من موظَّفين في جهات أُخرى للانتقال للوزارة التي كنت مسؤولاً فيها؛ بحجَّة وجودي فيها؛ لأني لمَّحت لهم بأنَّ وجودي فيها وفي غيرها مؤقَّت قطعًا، وأنَّ هذا المكان ليس وقفًا عليَّ، كما أنه لم يكن وقفًا لمن جاؤوا قبلي، ولن يكون وقفًا لمن سيأتون بعدي. فلم أقتنع بمسوِّغ طلب النقل فرددتهم بلطف، وإنْ حملوا في أنفسهم عليَّ.

ومن المواقف المفرحة المحزنة في آنٍ أنَّ الزميل والصديق الدكتور «عبدالرحمن بن صالح الشبيلي» - رحمه الله تعالى -،[1] وقد زاملته في مجلس الشورى، تواصل معي حال تسلُّمي مسؤولية الوزارة وأثار معي موضوع وجود عدد من المعوقين في بعض البلدان العربية الشقيقة مرسَلين على حساب الحكومة، وأنَّنا - ولله الحمد - قادرون على استيعابهم، لا سيَّما أنه تواترت أخبار حول قدرٍ

(١) توفِّي أخي وزميلي أبو طلال الدكتور «عبدالرحمن بن صالح الشبيلي» مساء الثلاثاء ٢٧/ ١١/ ١٤٤٠هـ الموافق لـ٣٠/ ٧/ ٢٠١٩م في باريس، إثر سقوطه من شرفة سكنه، بعد خدمته لوطنه في مجالات الإعلام والتعليم والثقافة والتأليف والشورى - رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً -.

من الإهمال الواضح في رعايتهم. فشكرته واستدعيت الزميل الصديق الدكتور الاستشاري «طلعت بن عبدالله الوزنة» وعرضت عليه الموضوع، وطلبت منه خطَّةً لاستردادهم، دون أي ضجَّة إعلامية أو أي انتباه؛ تلافيًا لأي إجراء خارجي قد لا يكون في مصلحة المعوقين.

فانطلقت الخدمات الطبِّية بقيادة الزميل والصديق الدكتور «طلعت» في حملة الاسترداد على شكل دفعات، ثم توزيعهم على مراكز التأهيل الشامل المنتشرة في مناطق المملكة ومدنها. وتمَّ المشروع - بحمد الله - بهدوء تامٍّ، بفضل الله تعالى ثمَّ بفضل الناصح الأمين الدكتور «عبدالرحمن بن صالح الشبيلي» - رحمة الله عليه - وهمَّة الخدمات الطبِّية بوكالة الوزارة للشؤون الاجتماعية، بقيادة الزميل وكيل الوزارة الأستاذ «عوض بن بنيَّة الردَّادي» - رحمه الله - والزميل مدير عام الخدمات الطبِّية بالوزارة الدكتور «طلعت بن عبدالله الوزنة». فجزى الله كل من أسهم في هذا المشروع خير الجزاء.

والمؤشِّر الطيِّب هنا هو أنه لم يرد للوزارة أي اعتراضٍ من قِبَل أهالي المعوقين الموجود أولادهم خارج البلاد الطاهرة على هذا الإجراء، رغم أنَّ بعض المعوقين كانوا قد سُكِّنوا مؤقَّتًا في الداخل خارج مناطق سكنى أهلهم حتَّى تتمَّ إعادة تسكينهم، ومع أنَّ وجود المعوقين خارج البلاد ربَّما كانت له فوائد جانبية لبعض الأهالي لسفرهم على حساب الدولة؛ لرؤية أولادهم المعوقين. والحمد لله على التيسير.

ومن المواقف المحزنة حقًّا أنه عندما غزا حزبُ البعث في العراق - وليس بالضرورة العراقيِّين - الكويتَ ليلة الخميس ١١/ ١/ ١٤١١هـ الموافق ٢/ ٨/ ١٩٩٠م، وحضرت القوات الأجنبية لتحرير الكويت، أوفدت المملكة العربية السعودية تسعين من مواطنيها إلى العالم؛ لبيان وجهة نظر المملكة في الغزو، وفي وجود القوات الأجنبية في المنطقة، وكنت أحد هؤلاء التسعين بصحبة

الأستاذ «صالح الطعيمي» - رحمه الله - أمين عام الغرفة التجارية الصناعية السابق بالرياض، والأستاذ «إبراهيم الطوق» رئيس الغرفة التجارية الصناعية بالرياض، والأستاذ «أحمد بن حمد اليحيى» وكيل وزارة العمل والشؤون الاجتماعية لشؤون العمل وسفير المملكة العربية السعودية في الكويت سابقًا، ومعالي الدكتور «فهد بن عبدالله السماري» عميد البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، أمين عام دارة الملك عبدالعزيز لاحقًا.

وسعينا إلى بيان الموقف الشعبي على ما هو عليه، فلقينا تفهُّمًا من بعض الجهات النمساوية والألمانية في الغرف التجارية وغيرها. وقد لقيت وزملائي أعضاء الوفد عنتًا من بعض أفراد الجالية العربية والإسلامية في كلٍّ من النمسا وألمانيا تلك التي لا تُحسب على الجالية العربية والمسلمة تعميمًا، بدليل مواجهتنا لبعض الأفراد المتفهِّمين لموقف دول الخليج العربية من غزو حزب البعث للكويت، وتعرَّضنا للخطر والشتم والتهزئة. ولم تثننا هذه المواقف عن المهمَّة التي جئنا باقتناع من أجلها.

وقد كان السبب الرئيسي في هذه المواقف بين بعض أفراد الجاليات المسلمة حول دول الخليج العربية تلك التعمية الإعلامية الشديدة من حزب البعث وبعض المتعاطفين معه من بعض الأقلِّيات التي لا تكنُّ ودًّا للدول الخليجية ولا قياداتها، حيث وُظِّف الإعلام البعثي ضدَّ الدول الخليجية بين الجاليات المسلمة، وفي بعض بلدان جنوب شرق آسيا وأفريقيا جنوب الصحراء. مع أنَّ الدول الخليجية كانت وما تزال تقف مع احتياجات الجاليات المسلمة وبعض بلاد المسلمين الوقفات الواضحة الداعمة في العالم كلِّه.

كتبت في الصحف مجموعة من المقالات حول الغزو، وحول موقف المملكة العربية السعودية منه، مع التوكيد على الجبهة الداخلية وصلابتها ووقوفها مع القيادة في تخطِّي هذه الفتنة التي عصفت بالمنطقة، وراح ضحيَّتها الكثير من

الرجال والأموال ومشروعات التنمية. ونشرتُ هذه الإسهامات الصحفية في كتاب سمَّيته: «الصراع العربي في الكويت: فرض الأفكار قسرًا».(١)

أردتُّ أنْ أؤكِّد فيه على الموضوع ليس كما صوَّره الغازي من حزب البعث، بل إنه صراع فكري يراد منه فرض أفكار حزب البعث على الناس المحيطين بمركزه بقوَّة السلاح، عندما لم تنفع الحملات الإعلامية. ولم يلقَ هذا التجميع للمقالات الصحفية الصدى الذي كنت أطمح إليه. وبقي كتابًا جُمعت فيه مقالات صحفية، كانت وليدة اللحظة.

ومن المواقف الطريفة، لكنها طرافة منتجة، أنه عرض عليَّ الزميل الأستاذ «إبراهيم بن محمد بن عبدالمحسن الفريح» - رحمه الله تعالى - مدير مركز التأهيل الشامل بالبكيرية، ثم مدير الشؤون الاجتماعية بمنطقة القصيم، أنَّ هناك أرضًا بالبكيرية شرق المركز، تصل مساحتها إلى ستِّين ألف (٦٠,٠٠٠) متر مربَّع، مملوكة للفريق «عبدالله بن راشد البصيلي» - رحمه الله تعالى - رئيس الحرس الملكي زمن الملك «خالد بن عبدالعزيز» - رحمة الله عليه - والفريق هو الذي بنى المركز ابتداءً، مع ما بناه من مراكز تأهيل في أبها وتبوك ومواقع خيرية أخرى داخل البلاد وخارجها. وأنَّ المركز بحاجة إلى هذه الأرض؛ لتكون متنفَّسًا للمقيمين بالمركز المعوقين من الذكور الإناث. فاتفقنا على أنْ نزور الفريق في بيته بالرياض؛ لنعرض عليه التبرُّع بالأرض للمركز.

رتَّبنا الزيارة وجلسنا معه - رحمة الله عليه - بحضور بعض من أبنائه. فبادرت بالحديث أنه ممَّا يحثُّ عليه الشرع الحنيف ألاَّ يجعل الإنسان الموسر أولاده وورثته عالةً على غيره، وهو قادر على ألاَّ يكونوا كذلك؛ بحجَّة الحرص على فعل الخير والبذل فيه، إذ إنَّ الأقربين أولى بالمعروف. ثم عرضتُ عليه

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الصراع العربي في الكويت: فرض الأفكار قسرًا.- مرجع سابق.- ١٥٢ ص.

التبرُّع بالأرض للمركز. فتردَّد - رحمه الله تعالى - في البدء، فكان جوابي له أنه ما على المحسنين من سبيل. وأثنيت على أياديه البيضاء في مجالات الخير. ثمَّ شكرناه وودَّعناه، وخرجنا من عنده ونحن لم نحصل على مبتغانا في الظاهر.

ومن الغد هاتفني معالي الفريق «البصيلي»، وأخبرني أنه وافق على منح المركز تلك الأرض المجاورة له من الجهة الشرقية. فبشَّرت أخي الأستاذ «إبراهيم الفريح». وتمَّ وقف الأرض على المركز بفضل الله تعالى ومنَّته.

*****

الوقفة الثانية والثلاثون: مرحلة جديدة

كنت قد وطَّنت النفس على أنني لا بدَّ تاركٌ هذه المهمَّة. وهذا من طبع المناصب التي لا تدوم. وفي الساعة السابعة من مساء يوم الثلاثاء ٢٨/ ١٢/ ١٤٢٥هـ الموافق ٨/ ٢/ ٢٠٠٥م اتَّصل بي معالي الأستاذ «خالد بن عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري» السكرتير الخاص لسمو ولي العهد في حينه الأمير «عبدالله بن عبدالعزيز»، وحاول إعطائي فكرةً عن عزم القيادة على إعفائي من العمل في الوزارة، وكانت تلك رغبتي.

وكان قد بدا عليه شيء واضح من الحرج، ولكنني فهمت قصده، فقلت له مباشرة، وكان هذا هو اقتناعي غير القابل للنقاش: أرجو أنْ تنقل عني لصاحب السمو الملكي الأمير «عبدالله بن عبدالعزيز» أنَّ مصلحة هذا الوطن مقدَّمة على كلِّ اعتبار. وذكر لي أنَّ صاحب السموِّ الملكي الأمير «عبدالعزيز بن فهد بن عبدالعزيز» وزير الدولة عضو مجلس الوزراء رئيس ديوان رئاسة مجلس الوزراء سيتَّصل بي للموضوع نفسه.

ثم اتَّصل بي بعدها مباشرةً سموه لينقل لي الرغبة الملكية في الإعفاء، ولم يكن أقلَّ حرجًا من معالي السكرتير الخاص لسمو ولي العهد. ولكنني بكل اطمئنان طلبت من سموه مثلما طلبت من معالي السكرتير الخاص أنْ ينقل عني لخادم الحرمين الشريفين قولي بأنَّ مصلحة هذا الوطن فوق كلِّ اعتبار، فأبدى إعجابًا بهذا الموقف، وذكر لي أنَّ قيمتي عنده قد زادت. وكان هذا الإعفاء مطلبًا سبق لي أنْ ألمحت إليه في مواقفَ خاصةٍ، فجاء امتدادًا لما أكرمتني به القيادة - سدَّدها الله تعالى -.

صدر الأمر الملكي الكريم بإعفائي من العمل في وزارة الشؤون الاجتماعية،

وأعلن في نشرة الأخبار في الإذاعة السعودية في الساعة التاسعة، وفي التلفزيون السعودي الساعة التاسعة والنصف من ذلك المساء؛ لأتفرَّغ بعدها لما كنت أتوق إليه، من البحث العلمي والمحاضرات، لا سيَّما أني لم أُوفَّق في الحصول على التفرُّغ العلمي الذي يناله عضو هيئة التدريس بين مراحل عضويته من أستاذ مساعد إلى أستاذ مشارك إلى أستاذ كرسي، على أنه ميزةٌ تقليدية من ميزات أعضاء هيئة التدريس. حال بيني وبين ذلك التقليد الأكاديمي المحبَّب للباحثين والأكاديميين انشغالي بأعمال إدارية وفنية واجتماعية داخل الجامعة وخارجها، وداخل البلاد وخارجها، تلك المرحلة التي لم آسف عليها يومًا قطُّ.

قبل صدور الأمر الملكي الكريم بالإعفاء كنت في ذلك اليوم الثلاثاء قد خصَّصته لمكتب الصندوق الخيري، كما خصَّصت يوم الأحد لمكتب الاستراتيجية الوطنية لمعالجة الفقر. وكل منهما في مكان مستقل عن الوزارة لكنه مملوك لها، وبقية الأيام أقضيها في ديوان الوزارة. فلم اطَّلع على أوراق الوزارة في حينها، فأحيلت المعاملات إلى داري بحقيبة، وحقيبة أخرى من وزارة التجارة والصناعة؛ إذ كنت وزيرًا لها بالإنابة. ولم أكن قد شرعت في الاطِّلاع على الأوراق «المعاملات» فيهما.

وبصدور الأمر الملكي الكريم توقَّفت ولايتي على هاتين الجهتين بالأصالة وبالإنابة، مما عنى لي أنه ليس من حقِّي شرعًا ونظامًا وأدبًا وذوقًا الاطِّلاع على «المعاملات»، ناهيك عن اتِّخاذ قرارات بشأنها. فأعدت الحقيبتين صباح اليوم التالي دون أنْ أفتحهما. وما كنت لأستدرك بعض القرارات العاجلة، التي ربما كنت متردّدًا في اتِّخاذها، سواء أكانت في المصلحة العامة أم في المصالح الشخصية.

بالإضافة إلى أني سعيت إلى تطهير مكتبتي، وهي في الوقت نفسه مكتب، بالمنزل من كل ما اقتضى عملي وجوده عندي من أوراق وظروف وأقلام وجهاز حاسوب محمول، واشتراك في الهواتف والصحف والمجلاَّت، التي عادت إليَّ

بحكم المنصب، ولم تأتني وأنا قابعٌ في بيت أهلي! من منطلق الحديث الشريف حول قبول الهدايا والأعطيات لحاجة في نفس يعقوب. فعلت ذلك بصورة يراها البعض مبالغًا فيها، لا سيَّما أولئك الذين أوجدوا مخزونًا لديهم من إمكانات الإدارة التي يعملون بها. واستمرَّت معهم لزمن طويل على أنها من الأدوات ليست ذات أهمية.

في اليوم التالي الأربعاء ٢٩/ ١٢/ ١٤٢٥هـ استيقظت مبكِّرًا على العادة، فلم أشأ أنْ أغيِّر من عادة حميدة في الاستيقاظ المبكِّر انتهجتها وألزمت بها نفسي. وعدتُ إلى أوراقي وبحوثي وانتشلتها من بين جمع من الملفَّات الإلكترونية في الحاسب المحمول الخاصِّ بي، الذي لازمني لسنين عديدة. وأعدت النظر في بعض الأعمال العلمية، وأصدرت أعمالاً جديدة، وأحجمت عن الإسهام في بعض المشروعات الاجتماعية والاقتصادية الربحية بمبالغ عالية؛ لعدم اقتناعي بأسلوب عرضها عليَّ. فقد أحسست أنَّ بعض عارضيها إنما أرادوا أنْ يستفيدوا من الاسم، وقد صرَّح لي بعضهم بذلك. وهذا يرضي غرورًا في النفس، ولكنه لم يجرَّني إلى التعجُّل في قبول هذه العروض، والحمد لله على هذه النعم.

وقد وقفت على سيرة أحد علماء الأندلُس في كتاب «الصلة» لـ«ابن بشكوال»، دون أنْ أزكِّي نفسي، وهذا نصُّها: «عبدالرحمن بن أحمد بن أبي المطرف بن عبدالرحمن المعافري، قاضي الجماعة بقرطبة، يكنَّى أبا المطرف وأصله من باغة بالأندلُس. استقضاه الخليفة هشام بن الحكم بقرطبة في دولته الثانية يوم عرفة سنة اثنتين وأربعمائة. وكان من أفاضل الرجال أولي النباهة.

وكان قد عمل بالقضاء على عدَّة كور بالأندلُس. وكان محمود السيرة، جميل الطريقة. وكان الأغلب عليه الأدب والرواية. وكان قليل الفقه. فلم يزل يتولَّى القضاء على سداد واستقامة، وهو يواصل الاستعفاء ويلحُّ فيه إلى أنْ أعفاه السلطان. فعزله عن القضاء يوم الخميس لثمانٍ بقين من رجب سنة ثلاث وأربعمائة.

وانصرف عن العمل محمود السيرة، لم تتعلَّق به لائمة. كان عدلاً في أحكامه، سمحًا في أخلاقه، جيِّد المعاشرة لإخوانه، بارًّا بالناس محبوبًا منهم، مسعفًا لهم في حوائجهم، طالبًا للسلامة من جميعهم، قنوعًا قليل الرغبة، واسع الكفِّ بالعطية والصدقات، شديد الاحتمال للأذى قد بزَّ في ذلك مراجيح الحلماء. وكانت مدَّة نظره في القضاء بقرطبة سبعة أشهر وثلاثة عشر يومًا.

ولمَّا وصل كتابه بالعزل اشتدَّ سروره، وأعلن شكر الله عليه، وأبرز في الوقت مُدْيًا من قمح فتصدَّق به، ودخل بيته فعاود طريقه في الزهد والانقباض إلى أنْ مضى لسبيله مستورًا.

وكانت وفاته يوم الإثنين للنصف من شهر صفر سنة سبع وأربعمائة، فكان مشهودًا من الناس مثنيًّا عليه، ودُفن بمقبرة الربض قرب القاضي ابن وافد، وصلَّى عليه الشيخ أبو العبَّاس بن ذكوان، وكان مولده صدر سنة ستٍّ وثلاثين وثلاثمائة، ذكره ابن حيَّان، واختصرت ما ذكره فيه، قال: وذكر ابن مفرِّج أنه كانت له رحلة حجٍّ فيها ولقي وروى، والله أعلم»[(١)].

وأرجو أنْ أكون قريبًا من ذلك، وأدعو للجميع أنْ يكونوا أقرب من ذلك، فهذا هو الذي يبقى دنيًا وآخرة.

وأرجو أنْ يكون ذلك من حسن الخُلُق الذي عبَّر عنه شيخ الإسلام «أبو حامد الغزَّالي» (٥٠٥هـ) الذي يصف الشخص حسَنَ الخُلُق بالعبارة الرائعة الآتية: «أنْ يكون كثير الحياء قليل الأذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول، برًّا وصولاً وقورًا صبورًا شكورًا رضيًّا حليمًا رفيقًا عفيفًا شفيقًا: لا لعَّانًا ولا سبَّابًا ولا نمَّامًا ولا مغتابًا، ولا عجولاً

(١) انظر: ابا القاسم خلف بن عبدالملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال الخزرجي الأنصاري، (توفِّي سنة ٥٧٨هـ). الصلة/ ضبط نصَّه وعلَّق عليه جلال الأسيوطي.- ٢ مج.- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.- ١: ٢٧٥ - ٢٧٦، ترجمة ٦٩٤.

ولا حقودًا ولا بخيلاً ولا حسودًا، بشَّاشًا هشَّاشًا، يحبُّ في الله ويبغض في الله، ويرضى في الله ويغضب في الله، فهذا هو حسنُ الخُلُق».[1] ولا أتواضع إذا ما قلت إنني أقصر دون ذلك بكثير، فقلَّما تجتمع هذه العلاماتُ كلُّها في بني آدم، إلا في صفوة الخلق. واجتمعت في رسول الله سيِّد ولد آدم محمَّد بن عبدالله ﷺ، فقد كان ﷺ خلقه القرآن.

من التبعات الطيِّبة أنه عندما صدر الأمر الكريم بإعفائي من المسؤولية المباشرة من وزارة الشؤون الاجتماعية تقاطر الأوفياء عليَّ، بحيث اضطررت في النهاية إلى تحديد وقت لاستقبال هؤلاء الأوفياء، الذين يأتي منهم من ليس لي بهم معرفة سابقة، ولم تسبق لي مقابلتهم، ولم أقدِّم لهم خدمة مباشرة أو غير مباشرة.

ومنهم من كان صريحًا بأنه لم يكن ليزورَني لو كنت ما أزال على المسؤولية؛ هروبًا من سوء الظنِّ. وكتب بعضهم لي مباشرة وعني في الصحافة كتابات لم أكن أحسب أني أستحقُّها. وهذا رصيد أعتزُّ به وأدعو الله تعالى - دون أنْ أزكِّي نفسي - أنْ يجعله مؤشِّرًا على رضًا عام، وفوقه رضا الله تعالى ثم رضا والديَّ فالقيادة، والناس شهود الله في أرضه.

ومن هؤلاء الأوفياء من يتواصل معي الآن وفاءً منهم، فكثُر تردُّد الزوار على داري صباح مساء، مما اضطرَّني إلى تخصيص يوم الأحد بعد صلاة المغرب لاستقبال الأحبَّة، ثم قصر هذا الأسلوب على أول يوم أحد من كلِّ شهر، ثم توقَّف الاستقبال بعد أنْ استنفد الأمر أغراضه. وكانت آخر جلسة مساء الأحد مطلع شهر جمادى الآخرة من سنة ١٤٢٩هـ الموافق شهر يونيو/ حزيران من سنة ٢٠٠٨م. واكتفيت باستقبال المهنِّئين بالعيد، ثم توقَّف كذلك. والحمد لله ربِّ العالمين.

---

(١) انظر: أبو حامد الغزالي. إحياء علوم الدين.- ٣ مج.- بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.- ٣: ٧٠.

واستحضرتُ في هذا الموقف - أيضًا سيرة «مُحَمَّد بن الحسين بن عبدالله بن إبراهيم الروذراوري الأهوازي»، أبي شجاع ظهير الدين الوزير، (مولده بالأهواز وتوفِّي بالمدينة المنوَّرة سنة ٤٨٨هـ)، قرأ الفقه والأدب، وولي الوزارة للإمام المقتدي، وأُعفي، وأنشد عند إعفائه:

تـولاَّهـا ولـيـس لـه عـدوٌّ وفـارقـهـا ولـيـس لـه صـديـقُ

وكان لا يخرج من بيته حتى ينسخ شيئًا من القرآن الكريم، ويقرأ في المصحف.[1] واستشهادي بالبيت أعلاه لا يعني أنه ينطبق على حالي، فلا أعلم أني كسبت أعداءً بقدر ما كسبت أصدقاء. وأحسب أنه لم يكن لي عدوٌّ من قبلُ ومن بعدُ - ولله الحمد - أو هكذا أظنُّ. ولهذا السبب ولغيره - مما يأتي بعده - توقَّفتُ عن استقبال الزائرين، هروبًا من تعلُّق الناس بالمواعيد.

والجلوس لاستقبال الأوفياء والمحبِّين عادةٌ حميدةٌ، فيها تخفيف على صاحب الشأن في تحديد اليوم والوقت لهؤلاء الزوَّار من المحبِّين، وكذلك للمحبِّين أنفسهم عندما يعلمون أنَّ محبَّهم قد خصَّص يومًا وزمنًا لاستقبالهم؛ بحيث يُفرِّغ هذا الوقت المرسوم للزيارات.

وهي عادةٌ حميدة كذلك من حيث وجود الأوفياء في مجتمعنا المترابط، رغم مشاغل الدنيا وبُعد المسافات. والمؤكَّد أنَّ هذه الفئة من الرجال لا تعنيهم الوجاهات، وليسوا ممن يبحثون عنها، ويجدون أنفسهم ملزمين اجتماعيًّا لاتِّباع هذا الأسلوب المحبَّب، ولا يعتبون على من لا يلازم الزيارات. فمن جاء حيَّاه الله، ومن لم يأتِ حفظه الله. فلعلَّ له عذرًا وأنت تلوم.

ومع هذا فإنَّ من أسباب توقُّفي عن استقبال الزوَّار أنَّ لي وجهةَ نظر خاصَّة بي، أعرضها ولا أفرضها على غيري، ولا أحسب أني أصرُّ عليها، وهي - بحكم

---

(١) انظر: الصفدي. الوافي بالوفيات.- مرجع سابق.- ٣: ٣ - ٤، ترجمة ٨٥٣.- (الوزير أبو شجاع محمد بن الحسين بن عبدالله بن إبراهيم الروذراوري).

أنني لست من تلك الفئة من الرجال المذكورين في الفقرة السابقة من ذوي الجاه والجهود المبذولة في خدمة الوطن والمواطن والقيادة - عدم حماسي للجلوس لاستقبال الناس بصورة منتظمة، ناهيك عن أنْ أجعلها عادة أتطلَّع فيها لمن يأتي، وأعتب على من لا يأتي، واستجدي من لا يريد أنْ يأتي ليأتي.

وأظنُّ أنَّ هذا الأسلوب المتَّبع لدى بعض وجهاء المجتمع، خاصَّةً ممن يبحثون عن الوجاهة، يدخل في مفهوم «لزوم ما لا يلزم»، ويضعهم في مواقف من استجداء الزوَّار هم في غنًى عنها. وفي نفسي الشيء الكثير من هذا الأسلوب، لا سيَّما أني أنظر إليه من زاوية الحساسية المفرطة من «الاستيجاه»، وإنْ تكنْ لهذا الأسلوب حسناتٌ أخرى قصر نظري عنها، ولا أنفي ذلك.

وكنتُ وما أزال أعتب على من ينهج هذا الأسلوب وهو ليس عندي بحاجة له؛ لما حباه الله تعالى من وجاهة مكتسبة في علمه أو ماله أو مكانته الاجتماعية، دون تكلُّف هذا المنحى في الحصول عليها. وكنت أُحرج كثيرًا عند الجلوس للناس الذين أحسب أنه لم يدفعهم في البدء إلا الوفاء، ومع هذا ربَّما وجد بعضهم نفسه ملزمًا بما لم يلزمه به أحدٌ. بدا هذا واضحًا من كثرة الاعتذارات عن عدم القدرة على الحضور، تلك التي تصلني ممن لا يتمكَّن من التواصُل معي إلا بهذه الطريقة.

مع توكيدي على أنَّ هذا الهاجس لا ينطبق على الجميع؛ إذ إنَّ لدينا من الوجهاء - كما مرَّ ذكره - مَن يرون أنفسهم ملزمين اجتماعيًّا بتخصيص وقت لاستقبال الأوفياء، بدلاً من ترك الوقت مفتوحًا، مما يؤثر على خصوصية الشخص الوجيه ويحرجه أمام الزائرين.

لم أجعل من هذه المناسبات مقياسًا للعلاقة بيني وبين الأصحاب والأحباب، فأعمد إلى حصر من حضر ولوم من لم يحضر. فلم أجد في نفسي توقًا إلى اكتساب هذه الوجاهة الاجتماعية، التي أخشى أنْ تفضي بي إلى الرياء

وطلب السمعة. وأحمد الله تعالى على أنْ أضحيت من أولئك الذين يُحرص على حضورهم الصالونات والمناسبات الاجتماعية والثقافية، بما في ذلك الحضور للعزاء في فقيد عزيز على أهله. وتفصيل هذا في الوقفات الآتية.

*****

الوقفة الثالثة والثلاثون: معنى التقاعُد

قالوا عن التقاعد الكثير، مما يرجِّح النظرة السلبية لهذه المرحلة في حياة الإنسان. كثير ممن يتقاعدون لا يُعِدُّون البديل الذي يشغل نشاطهم الباقي وقدرتهم على الاستمرار في الأداء والعطاء.(١) التقاعد من الوظيفة الرسمية بالنسبة لي - ولله الحمد والمنَّة - لم يكن تقاعُسًا، ولم أشعر بالفراغ، إذ إنني قد وطَّنت النفس على البديل، الذي لا يكاد يقلُّ أهميَّةً عن العمل الذي كنت أقوم به. وربَّما كان الفرقُ بين الحالين هو نزولُ تلك الأحمال من المسؤوليات الآنية المباشرة، التي كانت تلاحق المسؤول باللحظة والثانية من منطلق: «والله لو أنَّ عناقًا أو بغلة بالعراق»، لكن الهموم لم تزُل بزوال الوظيفة الرسمية.

ربَّما كان الفرق أيضًا أني بدأت هذه المرحلة الجديدة من الحياة وأنا أتطلَّع إليها وأحلم بها، لا سيَّما أنَّ نظام التقاعد بما يصرفه من مخصَّص شهري أغنى - بفضل الله تعالى - عن البحث عن مورد مالي يؤمِّن وسيلة العيش والرزق، وليس مصدر الرزق، فمصدره عند الله تعالى مكتوب على جبين المخلوق، رغم العروض المتوالية للانخراط في نشاطات ربحية عامَّة وعضوية في مجالس وغيرها وفتح مكتب للاستشارات والدراسات، بل واستغلال الاسم في بعض المجالس التي صرَّح بعض أصحابها لي بأنهم يرغبون في اسمي بغضِّ النظر عن إسهامي - كما مرَّ ذكره -. وهذا لا يخدمني ولا يرضي غرورًا في نفسي، بل إنه يزعجني كثيرًا.

وهذا فضل من الله تعالى حرصت على ألا أهدره بمنافع مادِّية، لا تضيف شيئًا إلى ما أنعم الله تعالى به عليَّ من خير عميم، وما زاد على ذلك من أموال

---

(١) انظر: عبدالرحمن بن إبراهيم أبو حيمد. خذ التقاعد وابدأ الحياة.- ط ٢.- الرياض: المؤلِّف، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.- ٣١١ ص.

فإنَّما هي أرقام في أرصدة لها أهلها. ولعلِّي لست من أهلها، وإنْ لم أنسَ نصيبي من الدنيا، وقد أحسن الله تعالى إليَّ ولله الحمد والمنَّة.

وقد جرَّبت أن أكون عضوًا في مجلس إدارة شركة قابضة لدورة واحدة، فتأكَّد عندي بالتجربة أنَّ هذه الأعمال - رغم ما ألقاه من تقدير واضح من أعضاء المجلس الأفاضل - زادت من اقتناعي أنَّ هذا المجالَ ليس مجالي، ولا أضيف إليها. والحمد لله ربِّ العالمين.

ولم أرغب في أنْ أكون عضوًا في جمعية المتقاعدين التي نشأت أثناء خدمتي في الوزارة، رغم كثرة الإلحاح من القائمين عليها، لا سيَّما من الأستاذ الوالد الدكتور الفاضل «عبدالرحمن الطيب الأنصاري» - رحمه الله - رئيس مجلس إدارتها، الذي أكنُّ له التقدير والاحترام على جهوده العلمية والوطنية بجامعة الملك سعود ومجلس الشورى، وكنت زاملته فيه.

فلم أقتنع بالآلية التي قامت عليها هذه الجمعية، «والعُود على أوَّل ركزة»، لا سيَّما عندما بدر منها حالٌ من التصادُم مع المؤسَّسة العامَّة للتقاعد، التي كان يقودها معالي الأخ «محمد الخراشي»، الذي تسلَّمها وهي مصلحة ثم انطلق بها انطلاقة غير عادية بإشراف مباشر من معالي الأخ الدكتور «إبراهيم بن عبدالعزيز العسَّاف»، وزير المالية في حينه ورئيس مجلس إدارة المؤسَّسة، ينمِّي فيها المحافظ وزملاؤه في المؤسَّسة أموال المتقاعدين، من خلال الاستثمار المحلي المأمون - بحول الله - ويحرص على أرصدتها، فكان حقُّه على الجمعية وعلى المتقاعدين أنْ يقفوا بجانبه، لا أنْ يبحثوا عن الهنات التي تفُتُّ من همَّته ومشروعاته.

وكثيرًا ما عُرض عليَّ فتح مكتب للاستشارات والدراسات الاجتماعية، أكسب من ورائه مالاً يزيد على حاجتي من المال. وحيث إنَّ لي موقفًا من هذا النوع من المكاتب، لا سيَّما في تعاطيها مع المشروعات الرسمية، أحجمت بقوَّة وإصرار عن فتح مكتب خاصٍّ أو المشاركة مع مكاتبَ ربحية قائمة.

ومع هذا لم أعتزل الناس، بل قدَّمت خدماتي الاستشارية، التي أحسب أني أملكها، لمن طلبها دون أيِّ مقابل ماديٍّ يحوِّلها إلى تجارة، فقد كنت أرغب فيما وراء ذلك من تجارة. ولم يلبث هذا الموقف أنْ زاد في ضوء ما يُعرض عليَّ من تقويم أو تحكيم لمشروعات علمية أو اجتماعية من قِبل جهات غير ربحية، واكتفيت من ذلك بذلك، دون الانخراط في عمل ملزم لي.

استحضرت في هذه المرحلة مشروعاتي البحثية المؤجَّلة، وطفقت أعمل عليها واحدًا تلو الآخر، حتى أخرجت بين سنتي ١٤٢٦ و١٤٤٥هـ ما لا يقلُّ عن ثمانية وأربعين (٤٨) كتابًا فكريًا وعلميًّا - ولله الحمد والمنَّة - معظمها في الاستشراق، بالإضافة إلى طبعات جديدة لكتب سبق إصدارها، بحيث وصلت - بفضل الله تعالى - إلى كتابة هذه الخواطر إلى خمسةٍ وستِّين (٦٥) كتابًا، بالإضافة إلى حوالي مئة وعشرة بحوث ودراسات ومحاضرات، جمعت المتشابه منها وأصدرته في كتب.

وانطلقتُ - ولله الحمد والمنَّة - في الإسهام والمشاركة في الندوات والمؤتمرات العلمية والفكرية والاجتماعية داخل البلاد وخارجها، في مصر وسورية والمغرب ودول الخليج العربية وتركيا والهند وبريطانيا وألمانيا والبرازيل ونيو زيلاندة وأستراليا وقرقيزستان، بالإضافة إلى المشاركات المحلية في المحافل الفكرية والعلمية والاجتماعية. وهذا هو المجال الذي كنت أطمح إليه، وليس أكثر من ذلك.

* * * * *

الوقفة الرابعة والثلاثون: التكريـــــم

اتَّصل بي الوجيه «عبدالمقصود خوجة» (١٣٥٥ - ١٤٤٤هـ) - رحمه الله - ودعاني لحضور أحد تلك الملتقيات في الإثنينية المشهورة على شرف العالِم المغربي المحقِّق «إبراهيم شبوح». وكان ذلك مساء الإثنين ٢٢/ ٤/ ١٤٢٩هـ الموافق ٢٨/ ٤/ ٢٠٠٨م، ثم أكرمني بجلسة خاصَّة مساء يوم الثلاثاء التالي لهذه الجلسة، حضره لفيف من الأحبة من وجهاء مكة المكرمة وجدة وأعيانهما، وسعدت بمرافقة أخي وصديقي الأستاذ «سليمان بن إبراهيم بن سليمان النملة»، رجل الأعمال في جدَّة وابنه «إبراهيم» وأخي الأستاذ الدكتور «عبدالعزيز بن إبراهيم العُمري» الذي علَّق على تقديمي لذاتي في الجلسة مع من علَّق من الضيوف.(١)

وكان ممن علَّق على اللقاء الأوَّل في مجلس الوجيه «عبدالمقصود خوجة» الأستاذ الصديق «إحسان بن صالح طيِّب»، والصديق الدكتور «عبدالله بن صادق دحلان»، ومعالي الصديق الدكتور «غازي بن عبيد مدني» - رحمه الله - ومعالي الأستاذ الدكتور «رضا عبيد»، بالإضافة إلى تعليق العلاَّمة الدكتور «إبراهيم شبوح» والدكتور الأديب الطبيب «عبدالله منَّاع» - رحمه الله -.

إلا أنَّ الوجيه «عبدالمقصود خوجة» - رحمه الله تعالى - لم يكتفِ بهذه الجلسة، فعاود دعوتي لإحياء آخر إثنينية في موسمها السابع والعشرين. وكان هذا مساء الإثنين ٢١/ ٥/ ١٤٢٩هـ الموافق ٢٦/ ٥/ ٢٠٠٨م. ورغم أنَّ الوجيه كان يمرُّ بوعكة صحية كان من الممكن معها تأجيل اللقاء، إلا أنه تحامل على نفسه تلك

(١) توفِّي الوجيه «عبدالمقصود بن محمد سعيد خوجة» يوم السبت ٢٢/ ١/ ١٤٤٤هـ الموافق لـ٢٠/ ٨/ ٢٠٢٢م. رحمه الله تعالى.

الليلة، وأبى إلا أنْ يحضرها معلِّقًا على المناسبة التي شرفني بحضورها معالي الأستاذ الدكتور «محمد عبده يماني» (١٣٥٩ - ١٤٣١هـ) - رحمه الله تعالى - وقال عني معالي الدكتور «محمد» من الثناء ما لا أستحقُّه. كما شرَّفني بالحضور أخي الأستاذ الوجيه «سليمان بن إبراهيم بن إبراهيم النملة» وابنه «إبراهيم» وأخي المهندس أبو مشعل «عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالعزيز النملة». وهو أيضًا رجل أعمال والأستاذ الدكتور «عبدالمحسن القحطاني» صاحب الندوة الأدبية في جدَّة، وعلَّق على اللقاء مشكورًا.

وما أزال أحتفظ بهديَّة الوجيه «عبدالمقصود خوجة» - رحمه الله تعالى - المميَّزة التي يقدِّمها للضيف في نهاية اللقاء. وقد نصبتها في مقدِّمة بيتي الذي انتقلت إليه - بفضل الله ومنَّته - مساء يوم الأحد ٧/ ٩/ ١٤٢٩هـ الموافق لـ ٦/ ٩/ ٢٠٠٨م على شارع الشيخ «عبدالله المخضوب» بحي الفلاح شمال مدينة الرياض، بعد أنْ أمضيت في عمارته ما لا يقلُّ عن ستِّ سنين دأبا، عانيت خلالها معاناةً لا توصف مع المقاولين، وتنفُّذ جماعة منهم على سوق البناء السعودي، من حيث المواد ومن حيث التنفيذ، بحيث فكَّرت جدِّيًّا في كتابة خواطر موضوعية حول هذا الوضع، الذي بدأ ينقشع تدريجيًّا في شتى مجالات السوق، وذلك بحملة القضاء على التستُّر في البلاد، دون الاقتصار على البناء والعمار، بل بدءًا بأسواق الفواكه والخضار؛ وذلك رغبةً مني في الإسهام في تصحيح المسار.

إلا أنه يبدو أني لن أتمكَّن من ذلك؛ لأنَّ كتابة مثل هذا الموضوع ستطال أشخاصًا، لا يدور بخلدي أنَّ لهم علاقةً بما يجري في السوق السعودي، ولأنَّ الإحاطة بظروف السوق ليست متحقِّقة عندي. فآثرت الإعراض عن هذا الموضوع، فلهذا الموضوع أهله الذين لا يصل إليهم الشكُّ في إخلاصهم وتفانيهم ونزاهتهم في عملهم، لا سيَّما أنَّ هذا الوضع لم يستمرّ بفضل الله ثم بفضل تقوية الجهات الرقابية في متابعتها للأسواق، ومن ثم تطهيرها من الدخلاء عليها.

وكرَّمني اتِّحاد المؤرِّخين العرب في القاهرة بشهادة يسمِّيها الاتِّحاد بـ«الشوامخ». وليس من باب التواضُع إذا قلت إنني استغربت كثيرًا هذا التكريم؛ إذ ليس لي جهود علمية في الدراسات التاريخية والتراث العربي الإسلامي، ترقى إلى أنْ أُجعلَ من الشوامخ. كما كرَّمتني جامعة عين شمس بمعية العالم العربي الأستاذ الدكتور «فاروق الباز».

ولا أبيح لنفسي سرد مناسبات التكريم التي حظيت بها؛ حفظًا لما لها من مكانة عندي، وهربًا من هاجس التبجُّح والنرجسية التي لا يسلم منها بعض الناس، وإنْ حاولوا إخفاءها. وقديمًا قال الشاعر العربي الحكيم القدير «زهير ابن أبي سُلمى»:

ومهما تكن عند امرئٍ من خليقةٍ

وإنْ خالها تخفى على الناسِ تُعلمِ

*****

الوقفة الخامسة والثلاثون:
العودة للجامعة

طالما كنت أرغب في الاقتصار على العمل في المجال الأكاديمي، بين التدريس والبحث العلمي وخدمة المجتمع. وهذه هي الأهداف الرئيسية الثلاثة لكلِّ جامعة. فلم أكن أتطلَّع إلى جميع التكليفات التي أسندت إليَّ؛ لخوفي من التقصير فيها، وألا أكون عند حسن الظنِّ بي، لا تهرُّبًا مني، ولكنني كنت ملزمًا أدبًا أنْ أحترم ثقة المسؤولين بي التي أعتزُّ بها كثيرًا.

وأعلم أنَّ لدينا المئات ممن يتطلَّعون لذلك، ولهم ذلك، ولكني ادَّعي أنني لست منهم عملاً بمنهج «طالب الولاية لا يولَّى»، ولا أُلزم أحدًا بتصديق هذا الادِّعاء، ولذا لم أترك هذه الأمنية الأكاديمية مع الأعباء الإدارية الأخرى إلا عندما شعرت بثقل المسؤولية وعظم التطلُّعات من ولي الأمر ومن المواطنين، فنحَّيت العمل الأكاديمي إلى حين مع هوى نفسي فيه وشوقي إليه.

وعندما تفرَّغت من العمل الإداري آثرت أنْ أتفرَّغ لمشروعات بحثية لمدة سنتين، ثم اهتبلت فرصة العرض الذي كرَّره معالي الأخ الكريم الدكتور «محمَّد ابن سعد السالم» مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية السابق، عن طريق الصديق الصدوق الأستاذ الدكتور «إبراهيم بن محمد الحمد المزيني»، للعودة للجامعة متعاقدًا، فكتبت لمعاليه عن رغبتي في مواصلة ممارسة هوايتي المحبَّبة فرحَّب بها، وعرضها على مجلس الجامعة فوافق عليها، فتعاقدت معي الجامعة تعاقُدًا كاملاً. فركَّزت على الدراسات العليا بين محاضرات وإرشاد أكاديمي وإشراف ومناقشات للرسائل العلمية.

وعندما قابلته لأشكره على مشاعره أكَّد - أكرمه الله - حرصَه على وجودي في الجامعة، كما ألحَّ على عدم تكليف نفسي بالكثير من المحاضرات والأنشطة

الأكاديمية الأخرى، فقد كان يرغب في الاكتفاء بانتمائي للجامعة. وفي هذا تقدير منه لي أدين له به، لا سيَّما أنه كان متابعًا للمبتعثين في الجامعة، يُعنى بهم ويذلِّل الصعاب أمامهم. وكنت من المبتعثين فكانت له علينا أفضال، وفي هذا فضل له سابق عليَّ وعلى زملائي المبتعثين.

عودتي للجامعة هي تحقيق لرغبة ذاتية أكيدة، إلا أنها أحدثت استغرابًا لدى بعض أفراد المجتمع، فلم يكونوا يتوقَّعون أنْ يعود «الوزير» إلى أروقة الجامعة أستاذًا مثل بقية الأساتذة. وهذا تقليد عالمي مطروق دون غرابة، فبمجرَّد أنْ يترك الشخص عمله القيادي المباشر في الحكومة يعود إلى العمل الأكاديمي، خاصَّةً أنه تحوَّل بعد الخبرة والتجربة إلى «تكنوقراطي»، لا سيَّما إذا كان ممن ينتمون لهذا القطاع العلمي، ولكنه تقليدٌ في مجتمعنا لم يكن متوقَّعًا.

وربَّما انتقدني بعض المتابعين بعودتي للجامعة، على اعتبار أنها «أنزل» من وظيفتي التي انتهيت إليها، أو ربَّما نظر آخرون إلى رغبتي في زيادة الدخل المادِّي. والفريق الأول يعبِّر عن تقليد محلِّي لا يتوافق مع الجو العلمي «الأكاديمي» الذي طالما ارتحت إليه. ولست مثل ذلك العالم - رحمه الله - الذي إذا ولي ولاية لم يرضَ بأصغر منها، وهو شرف الدين «محمد بن عبدالرحيم بن علي الأرمنتي» (توفِّي سنة ٧٣٣هـ)، فقيه قاضٍ بمصر، اتَّصف بالنزاهة، عُرضت عليه ولايات بعد صرفه مما هو أعلى منها فلم يوافق مع شدَّة ضرورته.[١] وقد عاودتني رؤًى في المنام متكرِّرة تعبيرها يقوم على أني لا أرغب في المزيد من التكليفات التنفيذية؛ خوفًا من أنني قد لا أُوفَّق بها، والله أعلم.

وقد ينظر إلى هذه العودة بعيون بعض الناس أنها رغبة في المزيد من الدخل المادِّي - كما ذكرت -. ولا أنفي أنَّ هذا العاملَ له أثرٌ في العودة، ولم تكن العودة من باب التطوُّع غير الوارد في هذا المقام، ولكنه لم يكُن بالضرورة هو

---

(١) انظر: ابن حجر العسقلاني. الدرر الكامنة.- ٥ مج/ تحقيق محمد سيِّد جاد الحقِّ.- القاهرة: أمّ القرى للطباعة والنشر، د. ت.- ٤: ١٣٠، ترجمة ٣٨٩٢.

الدافعَ الأوَّل، فلم أعدْ للجامعة من أجله؛ ذلك أنَّ النظام المالي في المملكة يعطي المتقاعد في هذه المناصب راتبه كاملاً، وهو راتبٌ مجزٍ وكافٍ، بل إنه بالنسبة لي خاصَّةً أكثر من ذلك ولله الحمد والمنَّة. وأيضًا لم أناقش أو «أفاوض» الجامعة حول هذا الجانب، من حيث «المربوط» الذي أستحقُّه، ورضيت بما قُسم لي من راتب أوَّل «مربوط» من درجة أستاذ، وليس بما يعادل الراتب بعد التقاعُد.

ومع هذا فإنَّ ما يقابل هذا «المربوط» من مكافأة شهرية منتظمة أكثر من كافٍ ومجزٍ. ويجعل في النفس شيئًا من الحرج في تسلُّم مكافأة دون بذل الجهد المقابل لها، سواءٌ على مستوى الساعات أم على مستوى الأداء، لولا تأكيد الجامعة ابتداءً على الرغبة في التعاقُد مع منسوبي الجامعة الذين خدموا في مرافق أخرى في الحكومة.

بقيت متعاقدًا مع جامعتي لمدَّة سبع سنين، رأت الجامعة بعدها عدم الرغبة في تجديد العقد؛ لأسباب لم تظهر لي وجاهتها، إذ أسرَّ لي من أثق به أنَّ إدارة الجامعة رأت أن تتعاقد معي الجهةُ المباشرة التي أحاضر بها، وهي في الغالب كلية اللغات والترجمة، بينما عقدي كان مع كلِّية علوم الحاسب وتقنية المعلومات، بحسب التخصُّص الأصلي.

وكنت أرغب بصدق في استمرار العلاقة مع التدريس. وعلى أيِّ حال فقد أذعنت لعدم تجديد العقد؛ لأن الجامعة هي صاحبة القرار، وهي بإدارتها المتفضِّلة عليَّ. وقد أحسنت إليَّ من قبلُ، وما على المحسنين من سبيل.

ولم أنسَ أنْ أرسل لمعالي مدير الجامعة رسالة شكر على إتاحة الجامعة لي المجال للتدريس بالتعاقُد لمدَّة سبع سنين. وأرسلت منها نسخًا لعمداء الكلِّيات التي درَّست فيها، كلِّية العلوم الاجتماعية، وكلِّية اللغات والترجمة، وكلِّية علوم الحاسب الآلي وتقنية المعلومات، أولئك العمداء الذين أُكنُّ لهم التقدير والاحترام والامتنان.

وقد بلغني أنَّ الجامعة قد أعادت النظر في مسألة استمرار التعاقُد مع بعض الأساتذة السعوديين المتقاعدين، والإفادة من علم مَن لديهم علم ونضج وعقولٍ راجحة. وهم كُثُر ولله الحمد والمنَّة. وينبغي الإفادة منهم ومن علمهم، دون الاستسلام لهاجس وفكرة عدم نفعهم، أو ضعف عطائهم! وهذا ما يقرِّره الفحص الطبِّي الشامل والدقيق. وعلى أيٍّ حال لا ينبغي لأستاذ الجامعة أنْ يتقاعد، مثله في هذا مثل أصحاب المهن التي تزيد فيها التجربة مع السنين وحسن الأداء.

وكنت في الوقت نفسه أتعاون مع جامعة الملك سعود بقسم الدراسات الإسلامية التابع لكلِّية التربية الذي كان يرأسه الأخ الصديق أ. د. «عبدالله بن صالح البرَّاك»، وله الفضل بعد الله في دعوتي للتعاون مع القسم. وكنت اقترحت على القسم أنْ يتحوَّل إلى كلِّية مستقلَّة تُعنى بالدراسات الإسلامية، فلم يعُد القسم قسمًا للثقافة الإسلامية، أو الدراسات الإسلامية، يغذِي الكلِّيات والأقسام بالجامعة في تدريس مادَّة الثقافة الإسلامية، بل إنَّ هذا القسم أضحى يقدِّم علومًا إسلامية في القرآن الكريم وعلومه، والسنة النبوية الشريفة والسيرة العطرة والفقه والعقيدة. وهذه أقسام كلِّية قائمة بذاتها، لا شُعَبًا في قسم يتبع لكلِّية.

كنت أدرِّس لطلبة الدراسات العليا وطالباتها في مرحلتي الماجستير والدكتوراه في القسم موادَّ الاستشراق والتنصير والعلاقات الحضارية بين الشرق والغرب. ولم أسلم من الانتقاد في خطوتي هذه كذلك، كما الانتقاد الذي تعرَّضت له عندما تعاقدت مع جامعتي، رغم ثناء بعض الزملاء بجامعة الملك سعود على هذه الخطوة مني، وقيل هذا في مقالات وتغريدات. ومنها ما كتبه الزميل أ. د. «خالد الدريس» من جامعة الملك سعود مشكورًا، حينما رآني في الجامعة أسير على سجيَّتي، متنقِّلاً بين قاعات كلِّية التربية، حيث الطلاَّب وحيث الدائرة التلفزيونية.

ولـم أتوقَّـف - بحمـد الله - عـن الأداء، فطفقـتُ أحاضـر وأتعـاون مـع بعـض الجامعـات في مناقشـات الرسـائل العلمية والإشـراف على بعـض الرسـائل العلميـة، لا سـيَّما في جامعتـي الإمـام محمـد بـن سـعود الإسـلامية وفي الجامعـة الإسـلامية بالمدينـة المنـوَّرة، التـي ركَّـزتْ علـى الاستشـراق والتنصيـر، ووجَّهـت كثيـرًا مـن الدارسـين لطـرْق هـذه الموضوعـات الحيويـة، ثـم جامعـة أم القـرى وجامعـة الملـك عبدالعزيـز وجامعـة الملـك خالـد بأبهـا في مناقشـة الرسـائل ذات العلاقـة، والمشـاركة في النـدوات والمؤتمـرات. ثـم جامعـة نايـف العربيـة للعلـوم الأمنيـة، التـي تكرِّمنـي دائمًـا في فعالياتهـا العلميـة أثنـاء رئاسـة معالـي الصديـق الدكتـور «عبدالعزيـز بـن صقـر الغامـدي» ثـم معالـي الدكتـور «جمعـان أبـو الرقـوش»، كالمشـاركة في مناقشـة الرسـائل العلميـة أو الإشـراف علـى شـيءٍ منهـا، أو المشـاركة في النـدوات واللقـاءات التـي تعقدهـا الجامعـة داخـل الجامعـة وخارجهـا، وداخـل البـلاد وخارجهـا. وكان ذاك قبـل أن تخفِّـف الجامعـة مـن برامجهـا الأكاديميـة؛ لأسـباب علميـة هـي التـي دعتهـا للتخفيـف منهـا.

* * * * *

الوقفة السادسة والثلاثون: الأحزان (١)

مساء يوم الثلاثاء (٧/ ٨/ ١٤١٢هـ الموافق ١١/ ٢/ ١٩٩٢م) فقدت والدي «إبراهيم الحمد البراهيم النملة» إثر عملية جراحية في القلب، ونجحت العملية بفضل الله تعالى ثم بحنكة الدكتور الجراح العالمي «محمد بن راشد الفقيه»، إلا أنَّ الوالد بقي بعدها خمسًا وأربعين ليلة في مستشفى القوات المسلّحة بالرياض، ثم انتقل إلى رحمة الله تعالى في روضة من رياض الجنة - بإذنه تعالى -.

وهنا قد يتردَّد القول بأنَّ العملية نجحت ومات المريض، على حدِّ قولهم: ربحنا المعركة وخسرنا الحرب أو العكس، لا أدري. على أيِّ حال لم يشهد الوالد - رحمه الله تعالى - إلا اليسير من هذه الثمرة اليانعة التي غرسها قبل ستين سنة مع الوالدة - رحمها الله تعالى - ولم أنعم أنا بشيء من ردِّ الجميل للوالد الحبيب في دنياه، وأدعو الله تعالى أنْ أوفَّق لردِّ شيء من ذلك بالدعاء له بالرحمة والمغفرة.

وإذا كان الشيء بالشيء يُذكر فإني لا أذكر أنَّ والدي - رحمة الله تعالى عليه - كان يؤدِّبنا قولاً أو فعلاً أمام الآخرين البتة، وكان - رحمه الله - يؤدِّبنا ولا يتوانى في ذلك. ونعلم حين يدعونا إلى البيت أنَّ في الجوِّ «علقةً» ما، فربَّما نختبئ وراء جدَّتنا والدته «فاطمة بنت عبدالله العبلاني» - رحمهم الله تعالى جميعًا - وما كان - رحمه الله تعالى - يؤدِّبنا بليل قطُّ. فكان قصده التأديب، وما كان يقصد التهزئة أو الترويع أو الحطِّ من قدرنا أمام الآخرين. أبٌ كهذا الأبِّ ألا نشعر بالتقصير تجاهه؟! وأترك التفاصيل في وفاة الوالد وفقده للمرجع المذكور أدناه.(١)

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. وبشِّر الصابرين: كلمات في رجال تركوا أثرًا.- مرجع سابق.- ص ٩٣ - ١٠٠.

قبل هذا فقدت أخي الأكبر الرائد بحري «عبدالله بن إبراهيم الحمد النملة»، الذي توفِّي إثر سقوط طائرته العسكرية العمودية في البحر الأحمر، وهو في مهمَّته التي تهيَّأ لها بالدراسة والتدريب، فاختار البحرية مهنةً، والطيران هوايةً، فجمع بين المهنة والهواية؛ لتكون نهايته الدنيوية في البحر، وهو يقود طائرته العمودية في الجو مع زميل له - رحمهما الله تعالى رحمة واسعة - شهيدين بإذن الله تعالى.

توفيِّ وأنا في ألمانيا يوم الثلاثاء ١٠/ ١٠/ ١٤٠٦هـ، الموافق ١٧/ ٦/ ١٩٨٦م، وكنت لحظتها في رحلة مشي مع المستشرق الألماني «فونك» في إحدى الغابات القريبة من فرانكفورت، وكان ذلك اليوم إجازة في ألمانيا الغربية. وفي ذلك اليوم حلَّقت فوق رأسينا، ونحن نمشي في الغابة، طائرة صغيرة ذات المحرِّك الواحد «السيسنا»، نظرت لها وقلت للمستشرق: أخي يقود مثل هذا النوع من الطائرات. وعندما عدت إلى البيت اتَّصل بي أخي «محمد» ليخبرني بوفاة أخي «عبدالله»، وكان هو ووالدي - رحمهما الله تعالى - عند أختي «أمِّ أنس» - رحمها الله تعالى - يخبرانها.

وكان وقع الخبر عليَّ غيرَ هيِّن، فرتَّبت أمور سفري إلى الرياض مع الصديق الأستاذ الباحث «مازن بن يوسف العماوي» الذي يعمل في معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، وكان هو أقربَ الناس إليَّ في هذه المحنة، فقدم إليَّ معزِّيًا، ثم تولَّى بدلاً مني ترتيب سفري وأهلي الذي تيسَّر إلى الظهران يوم الأربعاء اليوم التالي لوفاة أخي.

ومن الظهران أخذت مع أهلي سيارة أجرة إلى الرياض، كاد سائقها أنْ يودي بحياتي وزوجي وولديَّ «حمد» و»أروى»، وهو يقود سيارته على نَصَب منه وسهر، فما وصلنا الرياض إلا الواحدة بعد منتصف الليل. وكان تشييع جنازة أخي قد تمَّ عصر ذلك اليوم، فلم أحضر هذه المناسبة المحزنة التي ذكر لي إخوتي أنَّ والدي - رحمه الله تعالى رحمة واسعة - قد تأثَّر كثيرًا بهذا المشهد

عند دفن الجنازة والحمد لله تعالى على كلِّ حال، وله ما أخذ وله ما أعطى وكلُّ شيء عنده بأجل مسمًّى. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وأدعو الله تعالى أنْ يتقبَّل أخي عبدالله وزميله في الطائرة من الشهداء، فقد كان له أثر واضح في حياتي، ففقدت بفقده ثم فقد والدي ما يفقده المحتاج الذي يعتمد في حياته - بعد اعتماده على الله تعالى - على سند قوي يتمثَّل في والده، ثم في أخيه الذي يكبره ويفوقه في كثير من الأشياء الفطرية، ومنها قدراته القيادية وحصافته ورغبته في الإنجاز.(١)

ثم فقدت والدتي التي ألمَّت بها جلطة في الدماغ يوم الإثنين ٢٩/ ١٢/ ١٤١٨هـ الموافق ٢٧/ ٤/ ١٩٩٨م بعد عودتها من الحجِّ. وذكر أخي د. «يوسف» أنها كانت في حال لا تسمح لها بالحجِّ ذلك الموسم، الأمر الذي لم يتبيَّن لي، فلم أكُن ملازمًا لها - رحمها الله تعالى - كما كان أخواي «وليد» و«يوسف» وابن أختي «أنس بن محمد الصالح الشاوي». وكانت حريصةً كالوالد على عمرة في شهر رمضان وحجَّة في شهر ذي الحجَّة، فبقيتْ في غيبوبة مختلفة المستوى تسعة أشهر بين المستشفى والبيت، حتى توفَّاها الله مساء يوم الثلاثاء ليلة عيد الفطر المبارك من سنة ١٤١٩هـ الموافق ١٦/ ٢/ ١٩٩٩م.(٢)

أثناء معاناتها مع المرض عرض علينا أحد الأطبَّاء أنْ ينزع عنها الأجهزة المساندة، ولا يردَّها عليها إذا ما طلبتها حالُها. وأنه بهذا لا يستأذننا، بل إنه يعرض علينا، فاسودَّت الدنيا في عيوننا، أنا وإخوتي وأخواتي، ونحن - بفضل الله - أحد عشر. فأجرينا بعض الاتِّصالات لإبطال هذا التوجُّه من هذا الطبيب - سامحه الله - فعاشت الوالدة بعد ذلك أشهرًا دون أجهزة مساندة، وإنْ بقيت في غيبوبتها وعدم قدرتها على الحركة أو الحديث، وكانت ترى وتسمع ما يدور حولها، بانَ

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. وبشِّر الصابرين: كلمات في رجال تركوا أثرًا.- المرجع السابق.- ص ١٠٤ - ١٠٦.
(٢) انظر: علي بن إبراهيم النملة. وبشِّر الصابرين: كلمات في رجال تركوا أثرًا.- المرجع السابق.- ص ١٠١ - ١٠٣.

ذلك في تقاسيم وجهها الطاهر عندما نكون حولها ونتعمَّد التلطُّف بيننا مع شيء من المشاكسات الخفيفة التي تعوَّدتْ عليها منَّا - رحمها الله رحمة واسعة -.

تبعتها بعد ذلك أختي «مزنة» أمّ أنس، التي داهمها المرض الخطير في صدرها، ثم سرى في جسدها الطاهر حتى قضى عليها - بقضاء الله تعالى وقدره - يوم الخميس ليلة الجمعة ٦/ ٣/ ١٤٢١هـ الموافق ٨/ ٦/ ٢٠٠٠م. وكانت قبل ذلك تكتم شعورها بالمرض؛ لتبقى قريبةً من الوالدة، ترعاها وتتلمَّس راحتها.

كنتُ ليلتها في جنيف أحضر مؤتمر العمل الدولي، ممثِّلاً لبلادي، في رحلة هي أيُّ شيء إلا أنْ تكون رحلة استجمام، رغم أنها في سويسرا، وكنت متَّجهًا مع زميلي الأستاذ «الدكتور إبراهيم بن محمد الحمد المزيني» وأخي الأستاذ «عبدالعزيز بن إبراهيم الهدلق» وبعض أعضاء الوفد إلى أخي اللواء المتقاعد «جميل الميمان» عضو مجلس الشورى السابق - رحمه الله تعالى - لتناول طعام العشاء معه. وكان يرأس المجلس الثقافي الإسلامي بجنيف، ولم نشأ إخباره بالحدث؛ لأنه نفسَه كان يعاني من المرض الخطير، وقد صبر عليه محتسبًا حتى وافاه الأجل - رحمه الله تعالى رحمة واسعة -.

فاتني بسبب هذه المهمَّة أنْ أكون معها في أيامها الأخيرة التي لم تطُل كثيرًا. وأحسب أنها أحسَّت بالمرض قبل أنْ تبادر إلى علاجه، حتى انتشر في العظم قبل الجسم، صابرةً على الآلام لرعاية والدتها - رحمهما الله تعالى رحمةً واسعة - التي أقامت عندها في أشهرها الأخيرة ترعاها، فلم تكن لتشرع في العلاج وتترك والدتها، ولم تكن كذلك لتعلن لنا نحن إخوتها عما أصابها والآلام المصاحبة، وكأنها - رحمة الله عليها - قد اعتادت على مثل هذه الأحوال، فنسيت نفسها في سبيل برِّها بوالدتها، رغم وجود غيرها ممن يقوم برعايتها، ويتسابق مع إخوته وأخواته على ذلك ولله الحمد والمنَّة -.(١)

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. وبشِّر الصابرين: كلمات في رجال تركوا أثرًا.- المرجع السابق.- ص ١٠٧ - ١٠٨.

بوفاة «أمِّ أنس» أكون قد فقدت والديَّ وأربعةً من إخوتي، ابنين وبنتين؛ «صالح» و«فاطمة» و«عبدالله» و«مزنة». ثمَّ بوفاة زوجتي الوفيَّة «أمِّ حمد» - رحمها الله تعالى - أضافت الوفاة أحزانًا إلى أحزاني. وعزائي في أسرتي زوجتي الفاضلة «مها بنت عبدالرحمن بن مطلق الحناكي» (منذ ٢٥/ ٢/ ١٤٣٣هـ) وأولادي «حمد» و«أروى» و«آلاء» و«نورة» و«عبدالله» و«ندى»، وكذا إخوتي السبعة وأختيَّ الباقين، الذين يصغرونني في السن، ولكنهم - ولله الحمد والمنَّة - أندادٌ معي في كلِّ شيء، وإنْ كانوا يرون فيَّ والدَهم الذي لم ينعموا كثيرًا باللقاء به، ولم يشبعوا من رؤياه، ومن ذا الذي يشبع من لقاء والديه ورؤياهم؟!

وقد كتبت عن وفاتهم ووفاة عمَّيَّ الزعيم «محمد بن سليمان النملة» ورجل الأعمال العم «عبدالرحمن بن عبدالعزيز النملة» وابن أختي «أم أنس» «محمد ابن عبدالله بن إبراهيم اللحيدان» في الصحافة السعودية، ثمَّ نشرت ما كتبته عنهم وعن غيرهم من أموات المسلمين في كتاب سمَّيته: «وبشِّر الصابرين: كلمات في رجال تركوا أثرًا»، جاء في طبعتين، وجرى التعرُّض له كثيرًا في هذه الوقفات.(١)

وبفقدي لأعضاء أسرتي أتمثَّل قول الشاعر «الصمَّة بن عبدالله بن الطفيل القُشيري» (توفِّي بطبرستان في حدود سنة ٩٥هـ) في قصيدته التي قالها في رحيله عن نجد:(٢)

بكت عيني اليسرى فلما زجرتُها
عن الجَهل بعد الحلم أسبلتا معًا

قفا ودِّعا نجدًا ومن حلَّ بالحمى
وقلْ لنجدٍ عندنا أنْ يودّعا

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. وبشِّر الصابرين: كلمات في رجال تركوا أثرًا.- المرجع السابق.- ٢٦٠ ص.

(٢) انظر: الصفدي. الوافي بالوفيات.- مرجع سابق.- ١٦: ٣٣٢ - ٣٣٣. وانظر أيضًا: أبا الفرج الأصفهاني. الأغاني.- ٩ مج.- بيروت: دار الفكر، د.ت..- ٦: ١٢٤ - ١٢٨.

الوقفة السابعة والثلاثون:
الأحزان (٢)

مرَّ الحديث عن زواجي بالفاضلة أمِّ حمد «رقية بنت حمد السليمان الشعيبي» في ٢٥/ ٢/ ١٤٠١هـ الموافق ٣١/ ١٢/ ١٩٨٠م. وعشت معها إحدى وثلاثين سنة، كانت مليئة بالمودة والرحمة والعطف والحنان، وأنجبت ستة أطفال ذكرتهم في الوقفة السابقة. وكلانا نطلق من أسرتين نشأتا ظروفًا معيشية متقاربة جدًّا والحمد لله.

وفي يوم السبت ٢٦/ ١/ ١٤٣٢هـ اشتكت من صدرها، وكانت عندها كحَّة واحتقان في الصدر من قبل. فطلبت في صبيحة ذلك اليوم أخذها إلى الطبيب، فأخذتُها - وهي منهكة من الكحَّة - إلى الخدمات الطبية بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية القريبة من السكن، فشخَّصها الطبيب المناوب وأجرى لقلبها تخطيطًا سريعًا، فنصح بنقلها إلى المستشفى، فنقلتها إلى مستشفى رعاية الرياض شرق الدائري الشرقي في حيِّ الروابي، وأجرى عليها الأطباء الفحوص والأشعة، ولم يروا ما يستدعي القلق، وزودوها بالمضادَّات الحيوية والشراب ودواء الحرارة.

عدنا إلى البيت وبقيَتْ بعد الظهر. ومع صلاة العصر أحسَّت أنَّ صدرها بدأ يضيق عليها، فطلبت الذهاب إلى مستشفى الأمراض الصدرية، ولأنني كنت مشغولاً بمحاضرات الدراسات العليا مساء السبت بالجامعة، ولم أشعر أنَّ الأمر يستدعي الاعتذار عن المحاضرة، وأنني سألحق بها إذا احتاج الأمر إلى ذلك، صحبتها الابنة «أروى» إلى مستشفى الأمراض الصدرية، الذي كنت أظن أنه ما يزال على طريق الملك عبدالعزيز أمام مطار الرياض القديم.

إلا أنهم لم يجدوه فتوجَّهوا إلى مستشفى القوَّات المسلَّحة، (ونسمِّيه

المستشفى العسكري)، ولم يتوفَّقوا في الوصول إلى الطبيب المناوب أو أحد المسعفين، فتوجَّهوا إلى مدينة الملك فهد الطبية - وهي قريبة من المستشفى العسكري - حيث بادرها المسعفون هناك بصورة كانت غاية في الاهتمام والعناية. وحينها بدأت عليها تطوُّرات لم نكن نحسب لها حسابًا، حيث ذهبت في إغماءة، وسعى المسعفون إلى تدارُك الأمر، إلا أنه يبدو أنَّ حالها بدأت تنحدر إلى الأسوأ - في مقاييسنا نحن البشر - فتوقَّف القلب للحظات.

وكانت ابنتي «أروى» على تواصُل معي، فعلمت أنَّ الوضع خطير، فصرفت الطلاب واتَّجهت إلى المستشفى أتابع حالها وأجري بعض الاتِّصالات لنقلها إلى مستشفى الملك سعود بالشميسي، إلا أنَّ الأطبَّاء المناوبين ذكروا أنَّ حالها لا تحتمل النقل بالإسعاف.

وتبين أنَّ لديها التهابًا في الرئة اليسرى، ثم تبعه التهابٌ في الرئة اليمنى، ثم هبوطٌ في الضغط، ثم ضعفٌ في وظائف الكُلى. وكل هذا يجري في غرفة الإنعاش، حتى حوالي الساعة الثانية عشرة ليلاً، حيث نقلوها بحذر شديد إلى غرفة في العناية المركَّزة، وواصلوا معها الإسعافات وهي في غيبوبة تامَّة.

واستمرَّ الوضع طيلة يوم الأحد الطويل. وكانوا قد استدعوني صبيحة الأحد؛ لأنها - كما قال المتَّصل - كانت «تعبانة». وكانت تحت رحمة الله تعالى ثم الأجهزة التي مارست بعض الوظائف الطبيعية، بما في ذلك غسيل الكلى المستمرُّ. وكنت أنا والابن «حمد» وإخوتها «سليمان» و«محمد» و«علي» حولها، وكان الابن «عبدالله» يدرس خارج البلاد، ثم زارنا أخواها «عبدالله» و«صالح» اللذان بدا عليهما التأثُّر الشديد منذ أنْ علما بحالها، والتأثُّر كان حاضرًا لدى الجميع.

واتَّفق الرأي على أنْ يبقى واحدٌ منا قريبًا منها ليلة الإثنين. فطلب إخوتها مني ومن الابن «حمد» الذهاب للراحة؛ لأننا كنا منهكَين. وبقي عندها كلٌّ

من أخويها «سليمان» و«علي». ولحق بهما رحيمنا الأستاذ الدكتور «محمود المحمود» زوج الابنة «أروى»، وكان قد أحضر معه ماءً مقروءًا به. وجلس معهما إلى الواحدة والنصف بعد منتصف الليل.

وفي صباح اليوم التالي الإثنين ٢٨/ ١/ ١٤٣٢هـ الموافق ٣/ ١/ ٢٠١١م استدعاني الأخ «سليمان بن حمد الشعيبي»، وذكر أنهم يجرون لها الصدمات الكهربائية لإنعاشها، فأسرعت للمستشفى مستعينًا بالله ثم بالسائق، فلم أكن أرغب في القيادة حينها، رغم إصراري دائمًا على أنْ أقود سيَّارتي بنفسي حتى في الأسفار، إلا أنَّ أعصابي صبيحة ذلك اليوم لم تتحمَّل. وما وصلت إلا وقد أعلنت وفاتها صبيحة ذلك اليوم الساعة الثامنة والنصف. رحمها الله تعالى رحمة واسعة وأسكنها فسيح جناته وكتبها من الشهيدات الداخلات الجنة بلا حساب ولا سابق عذاب.

ويصوِّر «أحمد بن عبدالله بن زيدون»، (٣٥٤ - ٤٤٥هـ)، هذا الموقف الصعب بالصورة الآتية:[١]

وحسبك من حادثٍ بامرئٍ ترى حاسديه له راحمينا

كانت العناية التي لقيتْها «أمُّ حمد» من مدينة الملك فهد الطبِّية غاية في الإتقان والتفاني. وليس ذلك عائدًا إلى أنَّ الفريق قد علم أنها زوجة «علي النملة»، ولكن لأنَّ الفريق قد علم أنها حالٌ إنسانية تستدعي العناية الفائقة. كان هذا قد صاحبها في رحلتها المضنية، فلم يتوقَّف الجميع عن بذل أقصى ما يستطيعون. وكان هذا بمرأىً مني ومن الابن «حمد» وإخوتها. وقد قدَّمت تقديري وامتناني لما لقيتْه - رحمها الله تعالى - إلى أخي الأستاذ الدكتور «عبدالله العمرو» المشرف العام على المدينة الطبية سابقًا، الذي بدت بصماتُه واضحةً من خلال تهيئة الجو الطبي لمثل هذه الحالات.

---

(١) انظر: الصفدي. الوافي بالوفيات.- مرجع سابق.- ٧: ٨٧ - ٩٤، ترجمة ٣٠٣١.

ثـم إنَّ معالـي الدكتـور الفاضـل «منصـور الحوَّاسـي» وكيـل وزارة الصحَّـة السـابق ورئيـس مجلـس إدارة مدينـة الملـك فهـد الطبِّيـة علـم بوجودهـا علـى هـذه الحـال عـن طريـق الزميـل الصديـق الإنسـان الدكتـور «طلعـت بـن عبـدالله الوزنـة»، الـذي يقـود الخدمـات الطبيـة بـوزارة الشـؤون الاجتماعيـة قيـادةً إنسـانية صمـدت أمـام البيروقراطيـة والتحدِّيـات الوظيفيـة، وتغليـب البعـد الإداري علـى الجانـب الإنسـاني والشـأن الاجتماعـي، فاتَّصـل بـي الدكتـور الفاضـل «منصـور» وقـدَّم خدماتـه التـي يسـتطيعها للمضـي في العنايـة.

ولـم تكـن المدينـة الطبِّيـة تحتَـاج بقيادتها الإداريـة والفنيـة لمزيـد مـن التوصيـات، فالـروح كانـت هنـاك. وكـان الجميـع «يتسـابقون» لتوفيـر أيِّ قطعـة أو دواء أو إمـدادات طبِّيـة، يطلبهـا الأطبـاء المسـعفون لهـا. فهنيئًـا لنـا بأمثـال الدكتـور الفاضـل «عبـدالله العمـرو» والدكتـور الفاضـل «منصـور الحوَّاسـي» والدكتـور الفاضـل «طلعـت الوزنـة» والقيـادات الصحِّيـة الوطنيـة والوافـدة الشـابَّة الواعيـة، وهـي - ولله الحمـد والمنَّـة - كثيـرة محتسـبة.

وكانـت وفاتهـا قـد جـاءت في أعقـاب الاحتفـال بـزواج الابنـة «آلاء» مـن الرحيـم الأخ أبـي راكـان «إبراهيـم بـن سـليمان القرعـاوي» مسـاء يـوم الخميـس ١٧/ ١/ ١٤٣٢هـ الموافـق لـ٢٢/ ١٢/ ٢٠١٠م. وكـان زواج النسـاء في البيـت، بعـد تهيئتـه لهـذه المناسـبة. وقـد يكـون لهـذا دلالتـه المؤثِّـرة سـلبًا علـى وفـاة الفاضلـة «أم حمـد». لكنـي لا أملـك مـا أجـزم بـه.

«أمُّ حمـد» كانـت بالنسـبة لـي زوجـة وصديقـة وراعيـة وأمَّ عيالـي وربَّـة بيتـي، كانـت لـي الشـيء الكثيـر. أولتنـي عنايـة فائقـة مـن أوَّل يـوم التقيـت بهـا فيـه حتـى في أدقِّ التفاصيـل. كانـت تحنـو علـيَّ وتشـفق علـيَّ كثيـرًا، عندمـا أدركـتْ أني أريـد كلَّ شـيء علـى تمامـه، وأني أنـزع إلـى المثاليـة في نظـرتي لكثيـر مـن الأمـور، رغـم أننـا مطالبـون دائمًـا بالتغاضـي والتغافُـل والتجاهُـل والتناسـي والتغابـي، وإنمـا السـيِّد في

قومه المتغابي. وتحمَّلتْ لذلك الشيء الكثير وصبرتْ، وتأقلمتْ وصار هذا جزءًا من حياتها اليومية. وأحسب أنها نسيت نفسها في سبيل أنْ تسعدني وتحدب عليَّ.

وما شعرتُ أني قدَّمتُ لها ما يمكن أنْ يكون ردًّا لبعض جمائلها عليَّ، وإنْ سعيت إلى إشعارها بامتناني بما تقوم به تجاهي ومحاولاتي بيان ذلك.

ولعلَّ من آخر ما أشعرتها به بيتين من الشعر قرأتهما أثناء بحثي لتأليف كتاب تراثي، حيث تقول الشاعرة الأندلُسية «حفصة بنت الحاج الركوني»، (من غرناطة وتوفِّيت بمرَّاكش سنة ٥٨٦هـ)،[١] وكنت بعثتهما برسالة هاتفية نصِّيةٍ إليها - رحمها الله تعالى - قبيل وفاتها:

أغار عليكِ من عيني وقلبي ومنكِ ومن زَمَانكِ والمَكانِ
ولو أني جعلتُكِ في عُيُوني إلى يوْمِ القيامَةِ ما كفاني

وكنت أعجب من بعض المعزِّين الذين ما فتئوا يردِّدون أنْ عسى أنْ تكون قد توفِّيتْ وأنا عنها راض. والزوجة السعيدة هي التي يموت عنها زوجها أو تموت عنه وهو راضٍ عنها، والزوج السعيد هو الذي يموت عن زوجته أو تموت عنه وهي عنه راضية، فأردُّ عليهم بأني أرجو أنْ تكون قد توفِّيت وهي عني راضية، وآخرون يقولون: حلِّلها وأبحها، فأردُّ عليهم: عسى أنْ تكون هي قد حلَّلتني وأباحتني.

ومن فضل الله تعالى علينا في هذا المجتمع كثرة المعزِّين والداعين والمهوِّنين من المصيبة التي تبدأ كبيرة ثم تصغر، والحمد لله على أنْ حظيتْ بالثناء وبالدعاء لها بالرحمة والمغفرة من عدد غير قليل من عباد الله وإماء الله على حدٍّ سواء، سواء ممن حضر أم ممن سمع وقرأ ولم يحضر. فجزى الله الجميع عنها وعني خير الجزاء.

---

(١) انظر: ياقوت الحموي. معجم الأدباء.- مرجع سابق.- ١٠: ٢١٩ - ٢٢٧، ترجمة ٢٦.

وقـدْرُ «أمِّ حمـد» - رحمهـا الله تعالـى رحمـة واسـعة - لا يوفِّيـه حديـث ولا تفاصيـل. فبعـد فراقهـا - رحمهـا الله تعالـى - وجدتُّنـي كمـا قـال الشـاعر:[١]

وإنِّـيَ في داري وأهـلي كأنَّني لـبعـدكِ لا دارٌ لـديَّ ولا أهـلُ

وقـرأتُ في طبقـات الحنابلـة لـ«ابـن أبي يعلى» أنَّ «بشـر بـن الحـارث» قـد فقـد أختـه «مُخَّـة» فتوجَّـع «بِشْـرٌ» عليهـا وجعًـا شـديدًا وبكـى بـكاءً شـديدًا، فقيـل لـه في ذلـك، فقـال: قـرأتُ في بعـض الكتـب أنَّ العبـد إذا قصَّـر في خدمـة ربِّـه سـلبه أنيسَـه، وهـذه كانـت أنيسـتي في الدنيـا.[٢]

وكـذا كانـت «أمُّ حمـد» - رحمهـا الله تعالـى - حتَّـى وفاتهـا أنيسـتي في الدنيـا، مـع انشـغال بالهـا بوالدتهـا الفاضلـة أم سليمان «حصَّـة الحمـود اللحيـدان» التـي كانـت - رحمهـا الله - مريضـةً قـد لازمـت الفـراش ورغبتهـا في ملازمتهـا في مرضهـا.

حدَّثنـي خـال العيـال اللـواء «محمـد بـن حمـد السـليمان الشـعيبي» أنَّ والدتهـا ليلـة وفاتهـا قامـت مـن سريرهـا، وكانـت ملازمـةً لـه، وتـدور في الصالـة تبكـي وتسـأل: أيـن رقيـة؟ وقـد كانـت تأنـس بهـا كمـا تأنـس بأولادهـا الـبررة مـن بنيـن وبنـات. جعلهـا الله تعالـى أنيسـتي في جنَّـات الفـردوس الأعلـى مـع أنيسـتي بعدهـا الفاضلـة «مهـا بنـت عبدالرحمـن المطلـق الحنـاكي» ووالـديَّ وأحبابـي.

جعـل الله تعالـى قدرهـا عاليًـا في الفـردوس الأعلـى مـن الجنَّـة، وجمعنـي بهـا مـع النبيِّـن والصدِّيقيـن والشـهداء والصالحيـن وحسُـن أولئـك رفيقًـا، حيـث تقـرُّ بـي عيناهـا الطاهرتـان، وتقـرُّ بهـا عينـاني، كمـا تقـرَّان برؤيـة والـديَّ وأولادي وإخـوتي وأخـواتي وأحبَّتـي ووالديهـا وإخوتهـا وأخواتهـا وأولادهـا وأحبَّتهـا. وفضـل الله عظيـم.

*****

(١) انظر: الصفدي. الوافي بالوفيات.- مرجع سابق.- ٦: ٣٩٢ - ٣٩٥، ترجمة ٢٩٠٦.
(٢) انظر: ابن أبي يعلى. طبقات الحنابلة.- ٢: ٥٨١ - ٥٨٣، ترجمة ٥٧٤.

الوقفة الثامنة والثلاثون:
خير خلف لخير سلف

بقيت على هذا الشعور بفقد الشريكة «أم حمد» - رحمها الله - لسنة كاملة وشهر (١٤٣٢ - ١٤٣٣هـ)، كانت فيها حالي من الشعور بالفراغ المُطبق لا تسرُّ الصديق، رغم تسرية أولادي بنينَ وبناتٍ وإخوتي وأخواتي وأصدقائي المقرَّبين عني في كلِّ الأوقات، وتدافُع الجميع في الأخذ عن خاطري. وكان الأولاد بنين وبناتٍ هم أحرى بمن يأخذ عن خواطرهم في فقدهم والدتهم - رحمها الله تعالى - إذ الفقد عندهم كان عظيمًا. وكان الابنان «حمد» و«عبدالله» بعيدين جسميًّا في البعثة، حيث كانا يواصلان تعليمهما، ولكنهما كانا حولي بشعورهما وبرِّهما بي.

أمَّا بناتي «أروى» و«آلاء» و«نورة» و«ندى» فلقيت منهن ما يلقى الأبُ من بناته البارَّات، الحدب والحنان والأخذ عن الخاطر والمتابعة، وتهيئة الجو العائلي الخالي مما يعكِّر الجو الأسْري، والتفهُّم - بفضل الله تعالى - لهذا الظرف الذي كنت أعيشه. ولقد أحسنوا إليَّ بهذه المواقف. ومن حقِّهم أنْ أقول لهم: أحسنتم جميعًا فأحسن الله إليكم.

والذي يعنيني هنا ويعني غيري ممَّن يتعرَّضون لفقد الشريك هو الإدراك لهذه السنَّة الكونية القائمة على الشراكة الحقيقية القائمة في الأصل على المودَّة والرحمة: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾. [سورة الروم: ٢١]، مع الاقتناع بتوزيع الأدوار بين الشريكين، لا من قِبَل الطرح الإعلامي المسطَّح، ولا النظر من خلال تلك المثاليات التي تتناسى مفهوم الشراكة الأسْرية وما تتطلَّبه من العيش مع الواقع والتعايُش معه، دون التحليق في عالم من المثاليات والتنظير، بعيدًا عن طبيعة البشر وأحاسيسهم وحساسياتهم ومشاعرهم.

جاء هذا الشعور من خلال التجربة التي آمنت فيها وقبلها بمفهوم الشراكة والسكن. فما كان في الذهن الاستغناء عن هذا المفهوم، مع الاحتفاظ بالفضل لأهله. ولا تنافيّ بين هذا وذاك.

خلال هذه السنة غير العادية في حياتي الخاصَّة كان الناس يُلحُّون عليَّ بالإسراع «بملء الفراغ» الذي تركته زوجتي! وكنت أعجب من بعض التعبيرات، مثل هذا التعبير «ملء الفراغ» الذي يوحي بقدر من الأنانية، كما يوحي بقدر من قلَّة التقدير للطرف الآخر الذي سيملأ «الفراغ»، وإنْ يكن أهون من بعض التعبيرات الأخرى التي توحي بالأنانية المفرطة وضعف الاكتراث بالفقيدة.

ولقد صلَّى معي صلاة الفجر يومًا ما أحد الناصحين الأفاضل من ذوي الاهتمام والوعي، واعتذر عن عدم الدخول في البيت، وأركبني معه في سيَّارته ودار بي في الحي، يقنعني بسرعة البحث عن «السكن»، وأنه يبدي استعداده التام للمساعدة في هذا الأمر، فأكبرت له خطوته تلك وشكرته عليها ودعوت له.

لستُ متأثِّرًا بثقافة بعض الشعوب الذين يكادون يحرِّمون الزواج بعد وفاة الزوجة. ولست متأثِّرًا بالمسلسلات العربية التي صوَّرت الزواج بالأخرى جريمةً في حقِّ الأولى، حيَّةً كانت أم متوفَّاة. وغذَّت بهذا الموقف السلبي عقول الشباب والشابَّات. لكني في الوقت نفسه كنت أعيش حالاً من الفقد أوجد عندي فراغًا عاطفيًّا، لم يكن يروق لي معه التفكير السريع في «البديل» - كما سمَّوه - أي الشريك.

على أيِّ حال تقاطر عليَّ - بفضل الله تعالى - الناصحون الذين قدِموا وفي أذهانهم مَن تملأ الفراغ، فحمدت الله تعالى على هذه المواقف النبيلة من أشخاص يريدون لي الخير كما يريدونه لمن هن في أذهانهم. ولكني في الوقت نفسه ما كنت في حال تسمح لي بالتفكير إلا بعد أنْ مرَّت فترة من الزمن.

فهداني الله تعالى - وبنصيحة من أخ عزيز وصديق فاضل ناصح له فضل عليَّ بعد فضل الله تعالى هو الأخ «علي بنٍ صالح اليحيى» زميل الدراسة الجامعية

والصديق الوفي وزوجته الفاضلة «أم تركي» وابنته العزيزة الدكتورة «هديل» زوج الأخ «يزيد بن عبدالله الحناكي» إلى أسرة فاضلة، كنت قد تعرَّفت على عميدها الشيخ الكريم حقًّا الوالد «صالح بن مطلق الحناكي» - رحمه الله تعالى - وأبنائه الأكارم في المناسبات الخيرية، فهم من أهل الخير، ومن أولئك الناس - ما شاء الله تبارك الرحمن - الذين يألفون ويؤلفون.(١)

فوجدت عندما ورد ذكر صديقي أبي تركي لهذه الأسرة الكريمة - بقدَر الله تعالى - ميلاً تلقائيًّا إلى هذه الأسرة الفاضلة، لا سيَّما أنها قد جمعتني بأعضائها مناسباتٌ خيريةٌ عديدة في محافظة الرس بالقصيم، حينما كنت على رأس العمل. ووجدت الأخ الكريم الوجيه «عبدالرحمن بن صالح المطلق الحناكي» تحديدًا يوليني رعايةً خاصَّةً، بعد العناية الخاصَّة التي أولانيها أبوه الوجيه أبو مطلق - رحمه الله تعالى - وإخوانه.

ويشاء الله تعالى ويريد أن تكون الفاضلة «مها بنت عبدالرحمن بن مطلق الحناكي» هي الشريكة، فأبدأ معها، أو تبدأ هي معي، أو نبدأ نحن الاثنان معًا رحلة مودَّة ورحمة بفضل الله تعالى ومنِّه وكرمه، منذ كتب الله تعالى لهذه الشراكة أنْ تقوم، فكان كتْبُ الكتاب يوم الخميس ٦/ ١/ ١٤٣٣هـ الموافق لـ١/ ١٢/ ٢٠١١م. وكان الزواج مساء الخميس ٢٥/ ٢/ ١٤٣٣هـ الموافق لـ١٩/ ١/ ٢٠١٢م. والعجيب أنَّ هذا التاريخ - دون التخطيط المسبق لهذا - يماثل التاريخ الذي اقترنت به بأمِّ العيال الفاضلة - رحمها الله تعالى - في يوم الخميس ٢٥/ ٢/ ١٤٠١هـ الموافق لـ٣١/ ١٢/ ١٩٨٠م.

وكانت «مها» قبل دخولي في حياتها ملازمةً لوالدتها الفاضلة «سلمى الشامخ»

---

(١) توفِّي العم الفاضل الوجيه «صالح بن مطلق الحناكي» - رحمه الله تعالى - يوم الأحد ٩/ ٢/ ١٤٣١هـ بمستشفى الملك فيصل التخصُّصي بالرياض، ودُفن بمدينة الرسِّ. انظر: عبدالله بن صالح العقيل. فقيد الجود والإحسان صالح بن مطلق الحناكي.- الرس: المؤلِّف، ١٤٣١هـ.- ١٤٢ ص.

- رحمها الله تعالى - التي أضناها المرض، إلى درجة ملازمة ابنتها إياها وهي منوَّمةٌ في المستشفى في الرسِّ ثم في جدَّة، حيث انتقلت الوالدة أم مطلق من الرسِّ إلى جدَّة لمواصلة العلاج، فلازمتها ابنتها «مها»، دون نسيان ملازمة إخوتها وأختيها وغيرهم لها. وكانت الأمُّ - رحمها الله - تدعو لابنتها وأولادها بنين وبناتٍ دائمًا بخير، وما أحرى بإجابة دعاء الوالد والوالدة لأولادهم. فأرجو أني من هذا الخير باستجابة الله تعالى لدعوات الأمِّ لأبنائها وبناتها البررة.

بدأنا سويًّا بصحبة الأولاد بنين وبناتٍ رحلة تحفُّها - بفضل الله تعالى - المودَّة والرحمة والألفة. ومن فضل الله تعالى أنْ ينتج عن هذه الخطوة قدرٌ مباركٌ من التواؤم والتآلُف والتوفيق من الله تعالى - ما شاء الله تبارك الرحمن -، فأجد من زوجتي الفاضلة «مها بنت عبدالرحمن الحناكي» التقدير والاحترام والوفاء والتفاني والمتابعة والحدب. ومن حقِّها عليَّ أنْ أقول لها: أحسنتِ، فقد أحسنتْ - جزاها الله عني خيرًا - فأحسن الله إليها. وأرجو أنْ أُبادلها بمثل ما ألقاه منها وأكثر، فتلك - لَعمري وما شاء الله تبارك الرحمن - هي الشراكة الحقيقية في تسيير مركب الحياة. والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات.

وأعتب كثيرًا وأنا في هذه النعمة التي يُحدَّث بها بحمد الله تعالى ومنَّته على من جعلوا العلاقات الزوجية مجالاً للأحاديث السلبية والتندُّر بين الأصدقاء في مجالسهم الخاصَّة، وأحيانًا في المجالس العامَّة، من منطلق: «كلٌّ يتولول من ليلاه». وما ينبغي لهذه المواقف الخاصَّة أنْ تُخضع لمثل هذا الطرح العام بين الناس، وكثير من المتلقِّين لمثل هذا «التولول» ليس عندهم إلا الشماتة. ومن الخير أنْ تكون هذه العلاقات في خزنة الأسرار، بمراعاة الخصوصية في كتمان الأخبار التي لا يأتي كشفها وذكرها بخير.

فلا يحسن أنْ ينسى الزوجان الفضل بينهما. والذي «يتولول» من أهله «يتولولون» منه»! ولا يحسُن أنْ تكون العلاقات الزوجية والأسْرية فاكهة

المجالس، بالكشف عن أسرار أراد الله تعالى ألاَّ تنكشف. ولقد سُئل شخص في مجلسه عن ابنه، فقال: ذهب بأمه لمكَّة للعمرة، «الله لا يعيده ولا يعيد أمَّه». فما هذه الدعوة من الزوج الوالد ليكونَ لها صدًى هو في غنًى عنه. ولا حولَ ولا قوَّة إلا بالله.

وتستمرُّ الحياة الخاصَّة على هذا المنوال الموفَّق بتوفيق الله تعالى، حيث تمضي عند تسجيل هذه الخواطر اثنتا عشرة سنة فأكثر على بركة الله. ولعلَّ هذا من الحديث بنِعَم الله تعالى علينا - ما شاء الله تبارك الله - ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله. وأحجم هنا عن المزيد، سوى تكرار حمدي لله تعالى وشكري له تعالى على نِعمِه التي تتوالى.

*****

الوقفة التاسعة والثلاثون:
موسوعة الإسلام

دُعيت في ٣/ رمضان المبارك/ ١٤٣٦هـ إلى المشاركة في لقاء «عصفٍ ذهنيٍّ» في مكَّة المكرَّمة حول مناقشة فكرة إنشاء موسوعة عن الإسلام، تكون بأقلام منصفة من مسلمين؛ وذلك بسبب خلو المكتبة العربية والإسلامية من موسوعة شاملة مؤصَّلة عن الإسلام، رغم وجود موسوعات موضوعية وجهوية كثيرة.

شمل هذا اللقاء عددًا من المعنيين بهذا الشأن من أساتذة الجامعات والمفكِّرين. وانتهى الاجتماع عند السحور، حيث بدأ الساعة الثانية عشرة ليلاً. ودار فيه نقاش شفَّاف وجادّ. ويظهر أنَّ صاحبَي الفكرة الأستاذ الدكتور الفاضل «عبدالرحمن جميل قصَّاص» والدكتور الفاضل «صالح بن عبدالله الحسَّاب الغامدي» قد رأيا في هذا الشخص ما يمكن أنْ يثري فكرة المشروع، فانتخباني وزميلاً آخر هو الأخ الفاضل الدكتور «علي بن عبدالله بن سليمان العتيبي»، لنكون أربعتنا متابعين لفكرة المشروع، ونكوِّن له مجلسًا تأسيسيًّا من أربعة أشخاص. ليكون المجلس التأسيسي مكوَّنًا من الآتية أسماؤهم:

- أ. د. «عبدالرحمن بن جميل قصَّاص» من جامعة أمِّ القرى،
- د. «صالح بن عبدالله الحسَّاب الغامدي»، من جامعة تبوك، ثم انتقل إلى جامعة أمِّ القرى،
- د. «علي بن عبدالله العتيبي» الأمين المساعد السابق للهيئة العالمية الإسلامية للتعليم،
- و«علي بن إبراهيم الحمد النملة».

ثم انضمَّ إلينا الأخ الفاضل المربِّي الأستاذ «صادق بن عبدالكريم النور»، أحد العاملين في مجال التربية والتعليم بجدَّة أمينًا عامًّا للموسوعة. فانطلق الأستاذ «صادق النور» في الإجراءات التنفيذية بحماس ورغبة ومبادرات وإبداع، بعد أنْ «تشرَّب» المشروع وأهمِّيته وحيويته.

ثم انضم إلى فريق الموسوعة الشاب المحاضر بجامعة أمِّ القرى الشيخ «حمزة بصنوي». وأضفى على الفريق حيويةً على حيويَّته. واعتنى مع الزميل «صادق النور» باللجنة العلمية للموسوعة.

ولحق بمجلس الإدارة في دورته الثانية، التي انطلقت على بركة الله سنة ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م، الزميل الدكتور «ماجد بن حاتم الحارثي» من جامعة الملك عبدالعزيز بجدَّة ومدير الوقف العلمي بالجامعة خلفًا للأخ والصديق الدكتور «عصام بن حسن كوثر» الذي أبلى بلاءً حسنًا في تثبيت الوعي بالأوقاف وأسهم بإدارة الوقف العلمي في إنشاء أوقاف الجامعات وغيرها من المنشآت الكبرى. والدكتور ماجد إضافةٌ مباركةٌ للمجلس؛ لما يتمتَّع به من تشرُّب لفكرة العمل الموسوعي، ورغبة في الإسهام في إصدار الموسوعة وإنجاح المشروع - بحول الله تعالى - وذهنية متوثِّبة.

فبدأنا مسيرة الفكرة منذ شهر شوال من سنة ١٤٣٦هـ في مناقشة جدواها وإمكانية تطبيقها على الواقع العربي والإسلامي، من حيث الإمكانات المادِّية والبشرية. وقبل ذلك توافر الاقتناع والإرادة لدى من يُنتظر منهم دعم المشروع بتلك الإمكانات، ثمَّ وضوح الرؤية في المنهج الذي ستسير عليه الموسوعة، من حيث النظرة الوسطية والاعتدال والسماحة، والبعد الواضح عن الأهواء والتحيُّزات والميول.

وعقدنا في الانطلاقة الثانية بعد لقاء مكَّة المكرَّمة جلسة عصف ذهني بالرياض بمشاركة عدد من ذوي الشأن. كما عقدنا ورشة عمل في بورصة

بتركيا؛ لتوسّطها بين الشرق والغرب لعلماء ومفكِّرين مسلمين من الدول العربية والإسلامية. ثم ورشة عمل أخرى في مدينة إسطنبول في تركيا أيضًا. واتَّفقنا على أنْ نخصِّصَ لدراسة الفكرة وجدواها ثلاث سنين؛ رغبةً في الهروب من ردود الفعل في أفعالنا، التي لا تلبث أنْ تخبت مع الزمن، ثم إعطاء الفكرة حقَّها من النضج.

وبدأنا رحلة البحث في هذا الموضوع بمسح للهيئات والمؤسَّسات التي أسهمت في إصدار موسوعات، وعلى رأسها دار بريل بمدينة لايدن بهولندا، التي تكاد تتخصَّص في إصدار الموسوعات وكتب التراث. ومن بينها موسوعة الإسلام التي تعارف العرب على تسميتها بدائرة المعارف الإسلامية، والتي قام بتحريرها فريق من المستشرقين، وأحدثت شرخًا في تقديم المعلومة الصحيحة عن الإسلام لغير المسلمين ولبعض المسلمين؛ نظرًا لما اعتراها من طعون ضدَّ الإسلام والمسلمين.

ثم زرنا بعض البلاد العربية والإسلامية، ومنها تركيا، حيث أصدر مركز البحوث الإسلامية التابع لوزارة الشؤون الدينية «ديانات» موسوعة إسلامية باللغة التركية. ورأت القيادة التركية ترجمتها إلى اللغة الإنجليزية بدلاً من اللغة العربية؛ للحاجة إليها عند من يتحدَّثون اللغة الإنجليزية. ثم دولة الكويت التي أصدرت الموسوعة الفقهية في خمسة وأربعين مجلَّدًا، وسعت إلى إصدار موسوعات أخرى تحت مظلَّة وزارة الأوقاف، كموسوعة العالم الإسلامي المعاصر، وموسوعة أصول الفقه، وغيرها.

ثم زرنا المغرب حيث التقينا برهط من علماء المغرب، تطوَّعوا لإصدار موسوعة عن المغرب باسم «معلمة المغرب»، كانت فكرة في ذهن العالم المغربي «محمد الحجِّي» - رحمه الله - ثم تطوَّرت إلى مؤسَّسة خيرية غير ربحية، تواصل إصدار الموسوعات في الشأن المغربي. كما زرنا المنظمة الإسلامية للتربية

والثقافة والعلوم في الرباط؛ للإفادة من تجربة المنظَّمة في الإسهام في إصدار كل ما من شأنه خدمة الإسلام علميًّا وفكريًّا.

وزرنا القاهرة بجمهورية مصر العربية مرَّتين، وكلاهما برعاية أستاذي الخبير في مجالات العمل الموسوعي الأستاذ الدكتور «عبدالستَّار عبد الحقِّ الحلوجي». كانت الزيارة الأولى لعرض الفكرة، حيث لاقت استحسانًا وحماسًا ومباركةً منقطعة النظير. ولو لم يلقَ المشروع إلا مباركة أستاذنا الدكتور «عبدالستَّار» لكفى؛ لأني كأحد تلاميذه عرفت عنه بُعده الواضح عن المجاملات وطرحه رأيه في مثل هذه المشروعات بوضوح.

وكانت الزيارة الثانية لحضور دورة خاصَّة عن العمل الموسوعي وصناعة الموسوعات الشاملة والموضوعية والجهوية، أدارها أستاذنا أ. د. «عبدالستار» في جامعة القاهرة لمدَّة خمسة أيام.

وكذا مررنا على تونس، حيث المشروع الموسوعي الذي لم يتم، فزرنا مركز الترجمة وأفدنا من تجربته. وزرنا مدينة لاهور بالباكستان، حيث يعمل أستاذ على إصدار موسوعة عن الإسلام باللغة الأُردية. الأستاذ الدكتور «محمد أرشد» من جامعة البنجاب. وهو ذو همَّة عالية وحماس علمي وسعة اطِّلاع، لولا أنَّ المادَّة وضعف الدعم يقفان حجر عثرةٍ في طريق هذا المشروع الواعد.

وتوالت اجتماعاتنا نحن الأربعة، ثم نحن الخمسة بعد انضمام ساعدنا الأيمن الأستاذ «صادق النور»، ثم الستَّة بعد انضمام الشيخ الواعد «حمزة بصنوي» ثم انضمام الدكتور «ماجد بن حاتم الحارثي». وكلَّما مرَّ بنا الوقت ازددنا اقتناعًا بالفكرة. ولمسنا التأييد ممن اتَّصلنا بهم، وإنْ كنَّا لا نمانع من أنْ نسمع من يقنعنا بعدم الجدوى، وأنَّ غيرنا ممن قبلنا قد حاولوا وما نجحوا.

ومع زيادة الاقتناع عمدنا إلى إيجاد المظلَّة القانونية بالسعي في الحصول على ترخيص للمشروع باسم «جمعية دار الموسوعة الخيرية»، على اعتبار أنها

ستكون منشأة خيرية وغير ربحية. والترخيص من أَوَّليَّات أيِّ عمل مؤسَّسي يُراد له الثبات والدوام. وهكذا تقتضي الأنظمة والقوانين السيادية. وهو اقتضاءٌ مقدَّر ومتفهَّم، ولا يتهرَّب منه إلا من لا يدرك الأبعاد المحيطة بأيِّ عمل مؤسَّسي، سواءٌ أكان خيريًّا أم ربحيًّا. وأكرمني زملائي المؤسِّسون بأن جعلوني رئيسًا لمجلس إدارة الجمعية.

وإلى كتابة هذه السطور ونحن نواصل التفكير في فكرة هذا المشروع الكبير. ونتواصل مع المعنيِّين بهذا العمل العلمي، ومن بينهم المؤسَّسات المانحة التي هي المورد المالي الرئيسي للجمعية بالإضافة إلى دعم وزارة الموارد البشرية والتنمية الاجتماعية بالمملكة العربية السعودية؛ على اعتبار أنها جمعية خيرية تحتاج إلى مردود مالي كبير، لا يقوم على الاستمرار في طلب التبرُّعات بقدر ما يقوم على مورد ثابت من الأوقاف والاستثمارات الآمنة، التي تجيزها لائحة المؤسَّسات والجمعيات الخيرية الصادرة عن مقام مجلس الوزراء في المملكة العربية السعودية وتتماشى مع المفهوم الاقتصادي والاستثماري في الإسلام. ونسأل الله تعالى التوفيق والسداد.

*****

الوقفة الأربعون:
الجائحة - الوباء - النازلة

يتحدَّث المؤرِّخون المعاصرون من عرب وعجم عن طاعونٍ حلَّ بالعالم سنة (١٣٣٧هـ)، سمَّاها أهل المنطقة بسنة الرحمة أو سنة «الصخنة». وقد حصد هذا الطاعون أعدادًا كثيرةً من المواطنين. وتحدَّث عنه مؤرِّخون محلِّيون. فينقل المؤرِّخ في التاريخ الحديث للجزيرة العربية الباحث «عبدالرحمن بن محمد ابن زيد العرفج» قول الشيخ «إبراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن»: «وكان عامًا في نجد والأحساء والعراق وجميع المدن على الخليج العربي». (تذكرة أولي النهى والعرفان، ج٢: ٢٥٦). وينقل عن المؤرِّخ «إبراهيم بن محمد القاضي» قوله: «وفي هذه السنة أوقع الله بالجزيرة العربية كلها البادية والحاضرة مرضًا، وانتقصت الجزيرة بنفوس عديدة. مبتدأه من جنوب من جهة الأحساء وأشمل إلى عنزة والأسلم». (خزانة التواريخ النجدية). كما ينقل عن الأديب «أمين الريحاني» قوله: «تدعى هذه السنة في نجد سنة الرحمة وهي الوافدة الإسبانية التي غزت العالم بعد الحرب». (تاريخ نجد الحديث، ص٢٦٥).[(١)]

وفي شهر جمادى الآخرة من سنة ١٤٤١هـ الموافق لشهر فبراير من سنة ٢٠٢٠م حلَّ على العالم أجمع وباءٌ (أو جائحة أو نازلة) مُعدٍ وعظيم وخفيٌّ وسريع ومريع، لعلَّه انطلق من الصين قبل ذلك - كما هو التخمين - دون النظر إلى من صدَّره للصين، وسار وانتشر بالعدوى بين القارَّات كما تسير النار في الهشيم. واتَّخذ العالم إزاءه تدابير جذرية واحتياطات هائلة؛ لمحاصرته والحدِّ من انتشاره، بحيث وصل الأمر إلى إيقاف التجمُّعات في شتى مناشط الحياة.

---

(١) انظر: عبدالرحمن بن محمد زيد العرفج. سنة (الرحمة) سنة (الصخونة).- صحيفة الجزيرة (الرياض).-
http://www.al-jazirah.com/20151122/2015/wo1.htm.

وعلِّقت الصلاة في المساجد والجوامع إلا الحرمين الشريفين بمكَّة المكرَّمة والمدينة المنوَّرة وعلى حذر. واتَّفق العالم على تسميته بـ«كورونا كوفيد ١٩».

وأضحى هذا الوباء هو حديث المجتمع والعالم، وتسارع المستعجلون إلى بثِّ الأخبار السلبية عبر وسائل التواصُل الاجتماعي المفتوحة، بين مهوِّلٍ ومهوِّن. وهو موضوع عامّ بالنسبة لي، قد لا يُناسب الدخول فيه دون معرفة كافية. ولهذا لا أتعاطف أبدًا مع هذا الأسلوب الذي أُحسُّ بطريقة طرحه أنَّ المتحدِّث ربَّما يتباهى بما يورده من «آخر الأخبار» السلبية.

ولم أعطِ هذا الشأن من الاهتمام أكثر من المعرفة العامَّة للاحتياط وأخذ الأمر بالجدِّية التي يستحقُّها، دون أنْ أجعل من نفسي خبيرًا، يستمدُّ خبرته من الطرح العام غير الموثوق من أحاديث المجالس والاستراحات ووسائل التواصُل، التي تفتقر في الغالب إلى التوثيق عند نقل المعلومات السريعة.

وهذا التسابُق في هذا الشأن غير العادي - كما يظهر لي - يُعدُّ من الرغبة في الظهور والشهرة والتباهي والتسابُق في إطلاق معلومات سريعة وغير دقيقة، ولو على حساب الحقيقة ودون تثبُّتٍ أو تروٍّ. وأخشى أنْ أضع هذا الأداء المتعجِّل في مفهوم «الإرهاب الفكري»، دون اتِّهام الأفراد بتعمُّد هذا الطرح المهوِّل أو المهوِّن، وأنَّ الأمر عند بعضهم لا يخلو من كونه مؤامرة وتدبيرًا من بعض الجمعيات السرِّية، التي لا تُكنُّ خيرًا للبشرية جمعاء. ومن قائل إنها مؤامرة سياسية «قذرة»، ومن مستبعدٍ كلَّ هذه الافتراضات، ومهوِّن من حضور نظرية المؤامرة فيها، لا سيَّما أنها عمَّت العالم دون استثناء جهة دون أخرى. وقد قيل إنَّ التهوين من المؤامرة جزء من المؤامرة.(١)

وفي الجانب المتزامن مع هذا الشأن الاستعراضي كثُرت الوصفات الطبِّية الشعبية وغير الشعبية. وظهرت الخلطات السرِّية وغير السرِّية من غير

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. هاجس المؤامرة بين التهوين والتهويل.- مرجع سابق.- ٢١٣ ص.

المتخصِّصين، وأغلبهم مجتهدون. وربَّما جنى عليهم اجتهادهم، فظهرت المتناقضات في الوصفات، ويصحبها شيء من إرعاب الناس وتهويل الأمر بينهم.

وتدخَّلت السياسة العالمية في تبادُل الاتِّهامات، على أعلى المستويات، حول مصدر الفيروس، فسيَّست بعض الدول الوباء. واستُحضرت نظرية المؤامرة مرَّاتٍ، وقيل إعلاميًّا وسياسيًّا الشيء الكثير من التخمينات، وكثُر الذين يصطادون بالمياه العكرة من بعض السياسيين وهم قلَّة، والإعلاميين وهم كثرة، بأساليب غير حضارية ومؤلمة ومحزنة. وكأنَّ المغرضين عالميًّا قد فرحوا بهذه المحنة؛ ليكيلوا التهم بالتقصير على من يناوؤنهم، ويكسبوا أصواتًا - ربَّما - في حملاتهم الانتخابية!

ومن الكيل المغرض والاصطياد بالماء العكر اتِّهام بعض الدول بالتحفُّظ على عدد الإصابات، وتهوين دولٍ أخرى من آثار الوباء، ومغالطة دولٍ ثالثة في الإحصاءات. وكلُّ هذه الأساليب لا تخدم محاصرة الوباء، لا سيَّما أنَّ إخفاء الحقيقة لم يعُد اليوم حاضرًا، بفعل تقنية المعلومات ووجود مواقع تقنية موثوقة ومسؤولة، تديرها منظَّمات عالمية رسميَّة تتابع تطوُّر هذا الوباء لحظةً بلحظة. وهذا هو الأصل دون سذاجة، وخلافه خلاف الأصل.

وفي الجانب المضيء من هذه البلوى تحدَّث العقلاء عن التصدِّي لها، وتوكيد خطورة الموقف وجدِّيته وضرورة المضي في التصدِّي الفردي والجماعي له بعد التوكُّل على الله تعالى. وفي الوقت نفسه تغليب جانب الفأل وبثّ روح الطمأنينة، واستحضار قدرة الله تعالى وتدبيره في كشف الغمَّة مع اتِّخاذ التدابير والأسباب، من منطلق «إعقلها وتوكَّل». ولم يسلموا بهذا من الاستهزاء بهم والسخرية من منطلقاتهم الحكيمة. وكأنه ينطبق عليهم القول في هذه الظروف الخاصَّة وغيرها: أمسك عليك لسانك، ويُضاف إليه القول: وأمسك عليك بنانك!

ونودي في الأذان للصلوات أنْ «صلُّوا في بيوتكم»، فبكى الناسُ من المؤذِّنين والخطباء والأئمة والناس المتردِّدين على المساجد والنساء في بيوتهن، لكنهم

انصاعوا بالسمع والطاعة إلى التدبيرات التي اتَّخذتها الجهات الرسمية المختصة من العلماء والقيادة والمصالح الحكومية؛ إذ أدركوا في زمن الإدراك أنَّ ما اتُّخذ من تدبيرات إنما يصبُّ في المصلحة العامَّة.

وضربت وزارة الصحَّة في هذه البلاد المباركة بقيادة المواطن الفاعل المتفاعل معالي الدكتور «توفيق الربيعة» والوزارات والمصالح الحكومية الأخرى المعنية، التي وصلت إلى ثماني عشرة وزارة ومصلحة، ممثَّلةً بالقائمين عليها من الوزراء والإدارات كافَّةً، بالإضافة إلى القطاعين الخاصِّ والخيري، أروعَ المثل في التفاني والعمل الدؤوب، والابتعاد عن التجاوزات أو التساهُل أو التجاهُل أو التهاوُن.

وكان هذا من خلال تكوين لجنة عليا مستمرَّة في الاجتماعات لمتابعة تطوُّرات هذا البلاء، واتِّخاذ ما يلزم من التدبيرات بمتابعة ومعاضدة مباشرة من القيادة، التي قدَّمت مصلحة المواطن والمقيم على كلِّ اعتبار. واستُحضرت كثيرٌ من المستشفيات الثابتة والمتنقِّلة، وحُجزت بعض الفنادق بالكامل لإقامة من يُشتبه بإصابتهم بهذا الوباء، وعلاجهم ورعايتهم بالمجَّان.

وتعاون المواطن والمقيم في تحقيق الوصول إلى المنشود في محاصرة هذا الفيروس، فتعطَّلت بعض المصالح الآنية. ووعدت الحكومة بتدبير الأمر، بحيث تتمُّ معالجة الوضع بما يكفُل تحقيق خُطط المقاومة لهذا الوباء، الأمر الذي دفع ولي الأمر في المملكة العربية السعودية خادم الحرمين الشريفين الملك «سلمان بن عبدالعزيز آل سعود» إلى الخروج للعلن لتوكيد اهتمام الدولة، بقطاعاتها الثلاثة؛ الحكومة والقطاع الأهلي «التجاري» والقطاع الخيري «الثالث»، والإشادة بالجهات المعنية في جهودها المضنية، وحثِّ المواطنين والمقيمين على التعاون وبذل المستطاع.

وتكرَّرت الدعوة إلى البقاء في المنازل، وأنَّ هذا الإجراء ضروريٌّ ولا مندوحة عنه. فتفاعل المواطنون والمقيمون مع هذه الدعوة التطوُّعية الطوعية. وأكثروا من البقاء في المنازل، وقلَّلوا من الخروج للشوارع والأسواق إلا لحاجة.

وبـدأت مرحلـة التأريـخ لهـذه الحقبـة مـن الزمـن، وكثُـرت الكتابـات الصحفيـة والطروح الإعلامية عبر الوسائل الحديثة. وسوف يستمرُّ هذا النهج في التأريخ لهذه الجائحـة، ممـا يستدعي سعة الصدر والقبول لما يُطرح، بعد عرضه على ميزان الاعتدال والتثبُّت والتأني في عدم الانقياد لكلِّ وجهة نظر تعبِّر عن رأي قائلها.(١)

والذي يعنيني من هذا الشأن العام مباشرة أنني وجدت نفسي في الأسبوعين الأوَّلين من شهر جمادى الآخرة من سنة ١٤٤٣هـ الموافق للأسبوعين الأوَّلين من شهر يناير من سنة ٢٠٢٢هـ قد ظهرت عليَّ أعراض متعارف على أنها مظنَّة الإصابة بالفيروس. فعملت المسحة المعتادة يوم السبت ٥/ ٦/ ١٤٤٣هـ الموافق لـ٨/ ١/ ٢٠٢٢م للاطمئنان وقطع الشكِّ باليقين، لتخرج النتيجة بعد ساعات بأني مصاب بالفيروس.

فما كان مني إلا أنْ أعزل نفسي في قاعة البحث بالقبو، وأعزف عن الخروج، مهما كانت الظروف والالتزامات الخاصَّة والعامَّة، بكل تقبُّل ودون تذمُّر - ولله الحمد والمنة - ثم يظهر في تطبيق «توكَّلنا» الرائع جدًّا أنني مصاب، ويتغيَّر اللون في شاشة التطبيق من الأخضر إلى البنِّي، مما يستدعي اعتزال الجو العام والانقياد التامَّ للتوجيهات الحذرة المحذِّرة.

وهكذا كان حتى خفَّت الأعراض المتعارف عليها طبِّيًا، فعملت المسحة مرَّةً أخرى مساء الأربعاء ٩/ ٦/ ١٤٤٣هـ الموافق لـ١٢/ ١/ ٢٠٢٢م، فتظهر النتيجة سلبية - بفضل الله تعالى - أي أنني قد تجاوزت هذه الحال سليمًا معافًى بفضل الله تعالى.

وحيث إني قد تفرَّغت من أي ارتباطات علمية واجتماعات بحثية ولقاءات ودعوات اجتماعية جانبية مكثَّفة، ودخلت في مرحلة فيما يشبه العصف الذهني

---

(١) انظر: محمد البنعيادي ومصطفى شهايب/ إعداد وتنسيق. عالم (ما بعد الجائحة): قراءات في تحوُّلات الفرد والمجتمع والأمَّة والعلاقات الدولية، كتاب جماعي.- وجدة (المغرب): جمعية النبراس للثقافة والتنمية، ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م.- ٣٤٦ ص.

حول موضوع كتابة السيرة الذاتية، وكنت قد ارتبطت بها من قبل بأيام قليلة قبل الإصابة بالجائحة، فقد قمت في هذه الإقامة القسرية المحبَّبة بقراءةٍ لم تكن هي الأخيرة لهذه الخواطر، وعدَّلت فيها بالحذف والإضافة وإعادة الترتيب، في جوٍّ مناسبٍ جدًّا لمثل هذه الأعمال، حيث الصفاء والهدوء المناسب لتحرير مثل هذه الخواطر. والحمد لله أوَّلاً وآخرًا. ووجدت من الأهل والأولاد بنين وبناتٍ اهتمامًا متواصلاً بالسؤال عن الحال، وإذا ما كنت أحتاج إلى أيٍّ من الخدمات من داخل البيت أو خارجه.

ولدينا في هذه المواقف التي تستدعي رعاية وعناية غير عادية مقولة مؤدَّاها قولنا: «الله لا يورِّيك غلاك عندنا». بمعنى أنَّك لا تمرُّ بظرف طارئ نضطر معه إلى إبراز العناية الخاصَّة، التي يستدعيها الموقف. وفي هذا فضل من الله عظيم. ولذا حرصت على عدم إشاعة هذه الحال التي مررت بها عند مَن هم من أعزِّ الناس عندي من الإخوة والأصدقاء والأقارب.

*****

الوقفة الواحدة والأربعون: قد قِيل ما قِيل

لا بُدَّ من الوقوف المتأني تجاه مواقف الآخرين من خوض المرء الحياة العملية بين الإداريين، والعلمية بين الأكاديميين، واعدُّ نفسي من الأكاديميين لا الإداريين، إذ إنَّ أيَّ شخص يبدأ عملاً من الأعمال لا بُدَّ له من أنْ يخضع للنقد، وأحيانًا للتجريح من الآخرين الذين يعرفونه قبل الذين لا يعرفونه. وفي المجال الأكاديمي يقولون: من ألَّف فقد استهدف.

وكلما زادت فاعلية المرء في الأداء زاد منتقدوه، وربما كان هناك من يغبطه، بل ربما كان هناك من يحسده. ولا بُدَّ أنْ تظهرَ منه هناتٌ في قراراتٍ لا تُرضي الجميع دائمًا. وهذا الموقف غير مرغوب فيه مثاليًّا، ولكنه إذا ما استثنينا الحسد أمرٌ «عادي»، وهو في الوقت نفسه مؤشِّرٌ على الإنتاجية. ولست أزعم أني من هذا الصنف الفاعل المغبوط أو المحسود، فأنا هنا لا أزكِّي نفسي.

وأستحضر هنا قولاً حكيمًا لشيخ الإسلام «ابن تيمية» - رحمه الله تعالى - قوله: «ما انتقم أحدٌ قطُّ لنفسه إلا أورثه ذلك ذُلاًّ يجده في نفسه، فإذا عفا أعزَّه الله تعالى».[1] وقال الله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾ [الشورى: ٤٠]. ولذا كنت أنهى دائمًا عن مفهوم «تصفية الحسابات» بين الأتراب، لا سيَّما إذا تأمَّر عليهم أحدُهم، وكانت بينهم بعض المنغِّصات الإدارية التي تسود غالبًا بين الزملاء في الإدارة الواحدة.

وهذه حادثة تبيِّن تسرُّع بعض الناس في بهتان الآخرين، دون تثبُّت ولا

---

(١) انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام. جامع المسائل/ تحقيق محمد عزيز شمس، إشراف بكر بن عبدالله أبو زيد.- ط ٢.- ٩ مج.- الرياض: دار عطاءات العلم، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م.- ١: ١٧٠.

تبيُّن، وهي أنه في حدود الساعة الثامنة وعشر دقائق من صبيحة يوم الثلاثاء ١٢/ ٧/ ١٤٢٩هـ الموافق ١٥/ ٧/ ٢٠٠٨م كنت في مكتبتي التي تشغل ملحقًا خارجيًّا كان مصمَّمًا ليكون مجلسًا نسائيًّا في منزلي بحيِّ القدس شرق الرياض، فسمعت صوتًا غريبًا فخرجت ووجدت الخيمة المقابلة للمكتبة تحترق فجأة، وكانت مليئة بالفُرُش والمواد القابلة للاشتعال كالخشب والقطن والسدو والشعر. وكان هاجسي في تلك اللحظة ألا تكون إحدى بناتي في الخيمة وهي تحترق، فتأكَّد لي - بحمد الله - أنها لم تكُن فيها. وكان بجوار الخيمة إسطوانة غاز من تلك المحمولة تغذِّي «وجار» موقد الخيمة.

وتجمهر الناس كعادتهم، فقد كان الوقت يتزامن مع خروج الموظفين لأعمالهم، وبيتي موازٍ لشارع «عبدالرحمن الغافقي» (مخرج ١١) الذي يفصل بين حي الروضة وحي القدس شرق الرياض، حيث كنت أسكُن، وهو شريان بين الشرق والغرب، يمتدُّ غربًا ليصبح بعد الدائري الشرقي شارع العروبة.

وقد يُعزى حريق الخيمة إلى عبث الفأرة بأسلاك الكهرباء الممتدَّة في الخيمة، والفأرة تؤذي أحيانًا. وقد روي عن أبي سعيد رضي الله عنه وابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: «استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فإذا الفأرة قد اخذت الفتيلة وصعدت بها إلى السقف لتحرق البيت، قال: فلعنها وأحلَّ قتلها للمُحرم». قال الذهبي: هذا حديث غريب الأفراد.[1] والحديث رواه البخاري في الأدب.

كان من بين المتجمهرين مصوِّر لإحدى الصحُف السيَّارة، وكان في طريقه لعمله، فلم يتردَّد في استحضار آلة التصوير وتصوير الحال وعرضها في الصحيفة بعنوان: حريق في بيت الوزير، ونظر إلى الخبر والصورة على أنها سبق صحفي. رغم تنبيهي ورجائي له بعدم التصوير، وإبداء عدم رغبتي في ظهور الخبر، ونهيه

(١) انظر: الذهبي. تذكرة الحفَّاظ.- ٥ مج.- بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.- ٣: ٧٣ - ٧٥، في ترجمة ٨٥٤، (محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليمان الأصبهاني العسَّال).

عن دخول المنزل، لكنه غافلني مع انشغالي الذهني وصوَّر - هداه الله - فنشر. فأُدخل الخبر في موقع الصحيفة في الإنترنت وكان عليها تعليقات. فعلَّق أحدُ القرَّاء وذكر اسمه (م. ق.) على هذا الحادث - من باب الشماتة وربَّما التشفِّي - أنه نتيجة لما اقترفه صاحب البيت من مخالفات وفساد مالي، صاغها بعبارة واثقة من انطباعه، حيث قال: «هذا مآل المال الحرام»!

وأتمثَّل في هذا الموقف ردَّ أحد علماء السلف على من اتَّهمه في دينه وأمانته في قوله: إنْ كنتَ صادقًا فغفر الله لي، وإنْ كنتَ كاذبًا فغفر الله لك. وأضيف إلى قول الحكيم هذا إضافة، قد تكون أكثر سماحة من تلك، لتكون العبارة: إنْ كنتَ صادقًا فغفر الله لي ولك، وإنْ كنتَ غير ذلك فغفر الله لك ولي.

وقد كتب عني بعض الزملاء والأصدقاء والمعارف وآخرين لم ألتقِ بهم، كتبوا في الصحافة ووسائل التواصُل الاجتماعي كتابات ثناءٍ أُحجم عن ذكرها هنا، شاكرًا الله تعالى ثم الزملاء والمعارف والآخرين على ما أنعموا عليَّ به من الثناء غير المستحقِّ. وأحجمت عن التوسُّع في هذا الشأن محتسبًا الأجر عند الله تعالى داعيًا إياه - جلَّ وعلا - أنْ يبيح كل من أساء إلي ويحلِّله.

وتقف هذه الوقفة عند هذا الحدِّ، دون التوسُّع في استعراض ما قيل، وقد قيلَ ما قيل إنْ صدقًا وإنْ كذبًا. وقد وطَّنني أحد المحبِّين ألا ألتفت إلى ما قد يقال، فإنَّ الذي يعمل لا بُدَّ أنْ يتعرَّض للقيل والقال، فجزى الله من قال خيرًا خيرًا، وغفر الله لمن لم يقُل عني خيرًا.

*****

الوقفة الثانية والأربعون: المضيِّ على السجيَّة

وفي الوقت نفسه أجدني ماضيًا على سجيَّتي، مفضِّلاً العفوية والتلقائية والطيبة، وربَّما النظرة المثالية للأشياء والأشخاص، بعيدًا عن التلبُّس بلباس الاستذكاء أو التذاكي، وتصنُّع الفطانة، وإشعار مَن حولي بأني أفهم كلَّ شيء عن كلِّ شيء، في وقت تغيب عني فيه أشياء كثيرة.

أشعر بالسعادة من داخلي على هذه السمة أو السجيَّة التي يراها بعضنا عيبًا، بل يراها آخرون ضعفًا، فالدنيا كلّها لا تستحق منَّا التلوُّن والاختفاء وراء مقوِّمات مصطنعة، لا تتَّفق مع الطبيعة التي خلقنا الله عليها من منطق «إنْ لم تكُن ذئبًا أكلتك الذئابُ». ومن فَعَل ذلك دفَع الثمن النفسي والصحِّي والاجتماعي، وربَّما المادِّي غاليًا، حينما بحث عن الناس عندما احتاج إلى لحظة وفاء فلم يجدهم، وكانوا محيطين به عندما كان مسؤولاً إحاطة السوار بالمعصم.

وقال حكيم معاصر: «ما أطيب القلب الأبيض الزُلال! ما أسعد صاحبه! ما أهنأ عيشه! ما ألذَّ نومه! ما أطهر ضميره! ما أريح باله! هل في العمر القصير مساحةٌ لتصفية الحسابات مع الخصوم، وتسديد فواتير العداوة مع المخالفين؟! العمر أقصر من ذلك فاغتنمه!». وأرجو بهذا أنْ أكون ممن قال فيهم العالِم «طاووس بن كيسان»: «إنَّ هذه الأخلاق منائح، يمنحها الله من يشاء من عباده، فإذا أراد الله بعبد خيرًا منحه منها خُلُقًا صالحًا».[1]

وقال الشرفي لابن الهندي: «ما أعجب أمرك أبا عمر! أنت ذكيٌّ لغيرك بكيٌّ

---

(١) انظر: ابن أبي الدنيا، محمد بن عبدالله بن عبيد بن سفيان والطبراني، سليمان بن أحمد بن أيُّوب. كتاب مكارم الأخلاق/ تحقيق محمد عبدالقادر محمد أحمد عطا. - القاهرة: دار الكتب العلمية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م. - ص ٢٦.

لنفسك»، فقال ابن الهندي: «كذلك يبيِّن الله آياته للناس»، وأنشد بيت «العباس ابن الأحنف»:[(١)]

صرت كأني ذبالةٌ نُصبت

تُضيء للناس وهي تحترقُ

ومن سجيَّتي أنني لا أردُّ طالبَ خدمة أو شفاعة. وأول ما أبادر من يطلبها بقولي: أبشر، وأترك الحكم على مدى قبولها لمَن توجَّه إليهم أو تُطلب منهم. وهذا لا فخر فيه ولا فضل، فالفضل لله تعالى أولاً وآخرًا.

وقد واجهتُ مرةً واحدةً أو مرَّتين فقط أنَّ من شفعت لهما لم يكونا في المستوى الذي قدَّمته لهما فيه. وكان هذان الموقفان اللذان علمت بهما ممن شفعت لهما عنده مجالاً للإصرار على تقديم الخدمة أو الشفاعة. ولم يكونا قد أثَّرا - بفضل الله تعالى - على هذا المسار. قال الشاعر:

مَنْ ذَا الَّذِيْ تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا

كَفَى الْمَرْءَ نُبْلاً أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهْ

*****

(١) انظر: ابن بشكوال. الصلة.- مرجع سابق.- ١: ١٤ - ١٥، ترجمة ٢١.

الوقفة الأخيرة:
وبعـــــــد

فلقد نشأت - بحمد الله تعالى - نشأة فقر وعازة، أُؤكِّد عليها بكلِّ مناسبة أو دون مناسبة من منطلق عدم التنكُّر للماضي من جهة، ومن جهة ثانية الإكثار من الحديث بِنِعَم الله تعالى عليَّ وعلى أسرتي، رغم اعتراض بعض أصحابي في ذكرها والتوكيد عليها؛ بحجَّة أنَّ المجتمع في تلك الأيام كان كلُّه يعاني من العوز والفاقة، وكان كذلك، إلا أنَّ معاناتي الحقيقية مع الفقر بدأت في الزوال - ماليًا - بدخولي معهد الرياض العلمي سنة ١٣٨٦هـ، وحصولي على مكافأة شهرية كان قدرها مئتين وخمسين (٢٥٠) ريالاً، استطعت استثمارها بالمفيد لي ولأهلي، رغم قلَّتها، ولكنها تفوق دخل الماء البارد، وبيع البطيخ والخضروات الورقية! وبعد ذلك توالى الخير والفضل من الله تعالى.

مع هذا فقد استمرّ عندي الإحساس بالفقر، من خلال استمراري في حرمان نفسي من شيء من متاع الدنيا المباح، إلى درجة أني اتَّهم نفسي، وقد يتَّهمني غيري بالبخل والتقتير، بل ربَّما سرى هذا الشعور نحوي على أولادي، الذين لم يستوعبوا هذا الموقف؛ لأنهم - بحمد الله - لم يمرُّوا بما مررت به وأهلي وإخوتي وأخواتي، ولعلَّهم لا يمرَّون به بعون الله تعالى وتوفيقه، والحمد لله على كل الأحوال.

سارت الحياة بي بفضل الله تعالى عليّ ومنَّته من طيِّب إلى أطيب، ومع هذا فلم تتوقَّف التحدِّيات غير الموجَّهة لي شخصيًا، ولكنها تحدِّيات الحياة والزمان، التي يستوي فيها كلُّ ابن آدم وبناته، على اختلاف في المدى والقدرة على المواجهة والتصدِّي لتحدِّيات الحياة. ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾. [البلد: ٤].

الذي يبدو أنَّ مواجهة الحياة ليست بالسهولة إلا لمن يسَّرها الله تعالى له، ومن يسَّره الله لها، وقد يسَّر الله لي الحياة، فأقبلت عليّ، رغم رغبتي عنها وعن متاعها، ورغم إعراضي عنها، فكانت مني كالظلِّ بعد الزوال كلَّما هربت منه لحق بي، ولم أكن منها كالظلِّ قبل الزوال كلَّما لحقتَ به هرب عني.

يظهر ذلك في حياتي العملية، فقد كنت أرغب في البقاء في الجو التعليمي والبحث والقراءة والكتابة كما كرَّرت كثيرًا في هذه الخواطر، ولم أكن أرى نفسي يومًا في أيِّ موضع مما وُضعت فيه حتى الآن من فرص الدنيا. وهذا فضل من الله عليَّ ومنّة منه تعالى ثم رضا والدي ومن حولي أنْ أتمكَّن من خدمة هذا البلد الطيِّب، وأنْ أسهم في ردِّ شيء من الجميل العظيم الذي لقيته منه في اليسر والعسر.

مع هذا فإني لا أبرِّئ نفسي الأمَّارة بالسوء من التقصير، الذي يعتري البشر. فما أنا إلا عضو في هذا المجتمع المتَّسع الدوائر، ينتابني ما ينتاب ابن آدم من حالات الضعف وتقلُّبات المشاعر وحظوظ النفس. وقد عشت في مجتمعات مختلفة زمانًا ومكانًا تأثَّرت بها إلى حدٍّ بعيد. وقد أكون أثَّرت بها إلى حدٍّ متواضع. ولم أكن ذلك الحمْل البريء بين قطيع من الذئاب. ولكنني لم أكن في الوقت نفسه ذئبًا بين قطيع من الحملان. ويمكنني القول - دون تزكية للنفس - أني كنت حمْلاً بين الحملان، وما كنت ذئبًا بين الذئاب، وإنْ كنت لا أرغب في أنْ أكون لا هذا ولا ذاك.

وهكذا يتبيَّن من هذه السياحة السريعة أنَّ حياتي لم تكن خاصة أو غير عادية، ولم تتعرَّض - ولله الحمد والمنَّة - إلى أيِّ تقلُّبات غير عادية كذلك. ولم أعانِ من تحدِّيات جسيمة وغير عاديَّة في صحَّتي وفي شبابي، وفي عيشتي وفي حياتي العلمية والعملية، فقد كنت نموذجًا لمعظم أبناء ذلك الوقت، أشترك فيه

مع أعداد كثيرة جدًّا منهم، ما عدا ما انتاب حياتي العلمية من منغِّصات أسأل الله تعالى أنْ يغفر لكلٍّ من أسهم فيها وأن يغفر لي.

وأنظر إلى الوراء حامدًا الله تعالى الذي منَّ عليّ بهذه النعم. وهذا الذي جعلني أشعر أنَّ هذه الوقفات لا تستدعي التسجيل؛ لأني لم أرَ فيما مرّ بها ما يمكن أنْ يفيد القارئ، أو يستحقُّ القراءة. وهذا من فضل الله عليَّ وعلى أهلي وولدي، فله الحمد في الأولى وفي الآخرة.

ولا بُدَّ من تجديد العهد بمن أولاني العطف والحنان ومن دأب على تنشئتي هذه التنشئة، التي بدا لي أنها تنشئة صالحة. فكانا لا يتركان مجالاً من مجالات الحدب عليَّ وعلى إخوتي وأخواتي إلا وطرقاه، ولو كان ذلك على حساب راحتهما ورغباتهما. ولقد أنكرا ذاتيهما وقدَّمانا على نفسيهما، وصبرا على صروف الدهر، وعاشا الحرمان والفاقة والكبَد من أجل أنْ يصلا بنا إلى ما وصلنا إليه. أفلا أكون مقصِّرًا في برِّهما، واهمًا إنْ كنت أظنُّ أني سألحق جزاءهما؟ ومن ذا الذي يصل إلى هذه المرحلة؟ جزاهما الله عني وعن إخوتي وأخواتي وأحفادهما خير الجزاء وأسكنهما فسيح جناته وأعاننا جميعًا على برِّهما ووالديهما، وأقرَّ بنا عيونهما وأقرَّ بهما عيوننا في الفردوس الأعلى من الجنَّة.

وتظلُّ هذه الوقفات التي فاقت الاثنتين والأربعين وقفةَ خواطر، سطَّرتها في أوقاتٍ متباعدة، وراجعتها مرَّاتٍ متعدِّدة، وتحسَّست من بعض ما ذكرته فيها فعدَّلته أو حذفته. فلعلِّي قد وفِّقت في وصف الحقبة الزمانية التي نشأت فيها والبيئة التي عشتها وعايشتها، وخرجت منها بالكثير من الخير، الذي أرجو الله تعالى أنْ يكونَ خيرًا ممتدًّا لي ولأهلي ولأولادي وإخوتي وأخواتي وأحبابي من الأقارب والأصدقاء والمعارف ومن قرأ هذه الخواطر ومن ذكرني بخير. والحمد لله ربِّ العالمين.

* * * * *

المصادر والمراجع:

قد يعجب القارئ عندما يواجه هذه الفقرة غير المألوفة في كتُب السير الذاتية. وله أنْ يعجب. ومسوِّغي في إيرادها هنا كثرتها، ورغبتي في إعادة فهرستها بحسب الاسم الأخير للمؤلِّف الأوَّل، وإنْ كنت قد أثبتُّها عند ورودها في هوامش الصفحات:

١. **إبراهيم، عبدالعزيز عبدالغني**. نجديون وراء الحدود: العقيلات ودورهم في علاقة نجد العسكرية والاقتصادية بالعراق والشام ومصر.- بيروت: دار الساقي، ١٩٩١م.- ٣١٢ ص.-

٢. **أبو حيمد، عبدالرحمن بن إبراهيم**. خذ التقاعد وابدأ الحياة.- ط ٢.- الرياض: المؤلِّف، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.- ٣١١ ص.

٣. **ابن أبي الدنيا، محمد بن عبدالله بن عبيد بن سفيان والطبراني، سليمان بن أحمد بن أيُّوب**. كتاب مكارم الأخلاق/ تحقيق محمد عبدالقادر محمد أحمد عطا.- القاهرة: دار الكتب العلمية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.- ٣٩٩ ص.

٤. **ابن أبي يعلى**. طبقات الحنابلة.- ٢: ٥٨١ - ٥٨٣، ترجمة ٥٧٤.

٥. **الأصفهاني، أبو الفرج**. الأغاني.- ٩ مج.- بيروت: دار الفكر، د.ت..- ٦: ١٢٤ - ١٢٨.

٦. **ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبدالملك بن مسعود بن موسى الخزرجي الأنصاري**، (توفِّي سنة ٥٧٨هـ). الصلة/ ضبط نصَّه وعلَّق عليه جلال الأسيوطي.- ٢ مج.- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.- ١: ٢٧٥ - ٢٧٦، ترجمة ٦٩٤.

٧. **البغوي، الحسين بن مسعود ، الإمام أبو محمد**. معالم التنزيل/ حقَّقه وخرَّج أحاديثه محمد عبدالله النمر وعثمان جمعة خميرية وسليمان مسلم الحرش.- ٨ مج.- الرياض: دار طيبة، ١٤١٢هـ.- ٨: ٤٩.

٨. **البنعيادي، محمد ومصطفى شهايب**/ إعداد وتنسيق. عالم (ما بعد الجائحة): قراءات في تحوُّلات الفرد والمجتمع والأمَّة والعلاقات الدولية، كتاب جماعي.- وجدة (المغرب): جمعية النبراس للثقافة والتنمية، ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م.- ٣٤٦ ص.

٩. **البيُّومي، محمد رجب**. حصاد الدمع.- الرياض: دار ثقيف، [١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م].-

١٠. **التركي، عبدالله بن عبدالمحسن**. لمحاتٌ من الذاكرة.- الرياض: المؤلِّف، ١٤٣٦هـ.- ص ١٤٨.

١١. **ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام**. جامع المسائل/ تحقيق محمد عزيز شمس، إشراف بكر بن عبدالله أبو زيد.- ط ٢.- ٩ مج.- الرياض: دار عطاءات العلم، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م.

١٢. **جحا، ميشال**. عمر فرُّوخ والاستشراق.- الاجتهاد.- ع ٢٥ (خريف العام ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).- ص ١٣١ - ١٥١.

١٣. **جحا، ميشال**. موقف الدكتور عمر فرُّوخ من الاستشراق والمستشرقين.- ص ٨١ - ٩٠.- في: الاستشراق.- ع ٤ (شباط ١٩٩٠م).- بغداد: دار الشؤون الثقافية العامَّة، ١٩٩٠م.- ٢٢١ + ٣٩ ص.

١٤. **الحموي، ياقوت**. معجم الأدباء.- ط ٣.- ٢٠ ج في ١٠ مج.- د. م.: دار الفكر، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. - ٥: ٣.

١٥. **الحليسي، نوَّاف بن صالح**. عصر العقيلات: الجذور العربية في مصر والشام والعراق، قطوف على هامش قصصهم في مهاجرهم.- الرياض: المؤلِّف، ١٤١٧هـ.-٣٣٨ص.-(سلسلة من تراث بجد مع قوافل تجارة العقيلات؛١).

١٦. **الحيدري، عبدالله بن عبدالرحمن**. السيرة الذاتية في الأدب السعودي/ تقديم حمد الجاسر.- ط ٢.- الرياض: دار طويق، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.- ٨٠٨ ص.

١٧. **الخشرمي، خالد**. الشرق والغرب في السيرة الذاتية العربية.- مكَّة المكرَّمة: نادي مكَّة الثقافي الأدبي، ١٤٣٤هـ.- ص ٤٢ - ٥٨.

١٨. **الخشرمي، عبدالله**. عصاميون: قصص وتجارب رجال أعمال.- ٢ ج.- جدة: دار الخشرمي، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.- ٢: ١٢٦ - ١٣٣.

١٩. **الدعجاني، أحمد. خالد بن عبدالعزيز**: سيرة ملك ونهضة مملكة/ تقديم سلطان بن عبدالعزيز، مراجعة عبدالله بن يوسف الشبل وناصر بن عبدالعزيز الشثري.- الرياض: المؤلِّف، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.- ٦١٠ ص.

٢٠. **دكمجيان، ريتشارد هرير**. الأصولية في العالم العربي/ ترجمة عبدالوارث سعيد. ـ ط ٢.ـ المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م. ـ ٣٠٨ ص.

٢١. **الذهبي، الإمام شمس الدين**. تذكرة الحفَّاظ.- ٥ مج.- بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.- ٣: ٧٣ - ٧٥، في ترجمة ٨٥٤، (محمد ابن أحمد بن إبراهيم بن سليمان الأصبهاني العسَّال).

٢٢. **الزامل، عبدالله وفهد العجلان**. نجاحات من الصحراء/ تقديم سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز.- الرياض: دار المواجب العربية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.- ١٧٦ ص.

٢٣. **السبيِّل، إبراهيم بن محمد**. همساتٌ حانيةٌ: صور شعرية بين العامِّي والفصيح.-عنيزة: مركز صالح بن صالح الاجتماعي، ١٤٣٦هـ.-ص١٩٣.

٢٤. **السويداء، عبدالرحمن بن زيد**. عقيلات الجبل.- حائل: النادي الأدبي، ١٤١٦هـ.- ٤١٢ ص.

٢٥. **الشويرخ، صالح بن محمد بن علي**. مجلس الشورى السعودي خلال ربع قرن ١٤١٤ - ١٤٤٢هـ (١٩٩٤ - ٢٠٢١م).- ط ٢.- الرياض: المؤلِّف، ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م.- ٣٧٣ ص.

٢٦. **الصفدي، خليل بن أيبك. الوافي بالوفيات**.- ٣٠ مج.- بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.- ٦: ٥٥، في ترجمة ٢٤٩٥، (إبراهيم ابن عرفات بن صالح، زين الدين بن أبي المنى القنائي).

٢٧. **الطهطاوي، محمَّد عزَّت**. لماذا أسلم هؤلاء؟: قساوسة ورهبان وأحبار ومستشرقون وفلاسفة وعلماء.-القاهرة: مكتبة النافذة، ٢٠٠٥م.-١٩٤ص.

٢٨. **الطويل، محمد بن ناصر**. إسلام القساوسة والحاخامات.- الرياض: دار طويق، ١٤٢٤هـ.- ص.

٢٩. **عبدالرزَّاق، صلاح**. المفكِّرون الغربيون المسلمون: دوافع اعتناقهم الإسلام.- ٢ ج.- بيروت: دار الهادي، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.- ٤٢٩ ص.

٣٠. **العرفج، عبدالرحمن بن محمد زيد**. سنة (الرحمة) سنة (الصخونة).- صحيفة الجزيرة (الرياض).-
http://www.al-jazirah.com/20151122/2015/wo1.htm.

٣١. **العسقلاني، ابن حجر**. الدرر الكامنة.- ٥ مج/ تحقيق محمد سيِّد جاد الحقِّ.- القاهرة: أمَّ القرى للطباعة والنشر، د. ت.- ٤: ١٣٠، ترجمة ٣٨٩٢.

٣٢. **العسل، عصام**. فنُّ كتابة السيرة الذاتيَّة: مقاربات في المنهج.- بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٠م.- ١٦٠ ص.

٣٣. **العقيل، خالد بن عقيل بن سليمان. محمد السليمان العقيل**: رجل الجود والشهامة ١٣٠٥ - ١٣٩٥هـ/ ١٨٨٨ - ١٩٧٥م، سيرة ذاتية ولمحات من حياة محمد العقيل وإخوانه.- ط ٣.- الرياض: المؤلِّف، ١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م.- ٨٥٩ ص.

٣٤. **العقيل، عبدالله بن صالح**. فقيد الجود والإحسان صالح بن مطلق الحناكي.- الرس: المؤلِّف، ١٤٣١هـ.- ١٤٢ ص.

٣٥. **الغامدي، صالح معيض**. كتابة الذات: دراسات في السيرة الذاتية.- بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠١٣م.- ص ٣٣ - ٤١.

٣٦. **الغزالي، أبو حامد**. إحياء علوم الدين.- ٣ مج.- بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.- ٣: ٧٠.

٣٧. **الفريح، عبدالعزيز بن محمد بن عبدالمحسن**. مساجد البكيرية: تاريخها وأئمَّتها.- ط ٢.- الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م.- ٢١٠ ص.

٣٨. **الفريح، عبدالعزيز بن محمد بن عبدالمحسن**. وصايا وأوقاف أهل البكيرية.- ط٢.- الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م.- ٤٧٣ ص.

٣٩. قرامي، آمال. قضية الردَّة في الفكر الإسلامي الحديث.- تونس: دار الجنوب، ١٩٩٦م.- ص ٥٠.- (سلسلة معالم الحداثة).

٤٠. **القضماني، محمد ياسر. محمد فوزي فيض الله**: العلاَّمة الفقيه المُربِّي.- دمشق: دار القلم، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.- ١٧٤ ص.- (سلسلة علماء ومفكِّرون معاصرون: لمحاتٌ من حياتهم وتعريف بمؤلَّفاته؛ ١٧).

٤١. **آل مريِّع، أحمد علي**. السيرة الذاتية: مقاربة الحدِّ والمفهوم.- الرياض: المجلَّة العربية، ١٤٣٢هـ.- ١٧٥ ص.- (سلسلة كتاب المجلَّة العربية، ١٧٨).

٤٢. **المسلَّم، إبراهيم**. رحلتي مع العقيلات.- الرياض: دار الثلوثية، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.- ٢٠٥ ص.

٤٣. **المسلَّم، إبراهيم**. **العقيلات**.- الرياض: دار الأصالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.- ٣١٤ ص.

٤٤. **مسلم، الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري**. الجامع الصحيح. - بيروت: دار الآفاق الجديدة (د. ت).

٤٥. **الهدلق، عبدالعزيز بن إبراهيم سعد**. ابن شقراء: ذكريات في محطَّات.- الرياض: دار الثلوثية، ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م.- ٣٣٦ ص.

٤٦. **الهزَّاع، عبدالرحمن بن عبدالعزيز**. كنتُ هناك: رحلة ٤١ عامًا في الإعلام.- الرياض: دار تشكيل، ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م.- ٢٩٩ + ص.

٤٧. **هنتنجتون، صامويل**. صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي/ ترجمة طلعت الشايب، تقديم صلاح قنصوه.- ط ٢.- القاهرة: سطور، ١٩٩٩م.- ٢٢٥ ص + الهوامش.

٤٨. **هنتنغتون، صموئيل**. صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي/ ترجمة مالك عبيد أبو شهيوة ومحمود محمَّد خلف.- مصراتة (ليبيا): الدار الجماهيرية، ١٩٩٩م.- ٣٩٠ ص.

* * * *

الملحق:
الأعمال العلمية:

أولاً: الكتب: (تمَّ حساب الطبعة الأولى فقط من كلٍّ كتاب).

١. **أبو حسين: النشأة - البيئة - التعايُش.**- الرياض: دار الثلوثية، ١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٣م.- ٣٤٥ ص.- (سيرة ذاتية).- وهذه الطبعة الثانية من الخواطر.- الرياض: دار الثلوثية، ١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٤م.- ٣٨٥ ص.

٢. **الاستثناء الثقافي في مواجهة الكونية: ثنائية الخصوصية والعولمة.**- الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.- ٥٤ ص.

٣. **الاستشراق الألماني بين التميُّز والتحيُّز.**- بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م.- ٢٦٤ ص.

٤. **الاستشراق الألماني والمستشرقون في المراجع العربية: رصد وراقي «ببليوجرافي» لما نُشر عن الاستشراق والمستشرقين الألمان.**- بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م.- ٢٤٢ ص.

٥. **الاستشراق بين منحيين: النقد الجذري أو الإدانة.**- الرياض: المجلَّة العربية، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.- ٥٠ ص.- (سلسلة كتيِّب المجلة؛ ١٢٠).

٦. **الاستشراق السياسي وصناعة الكراهية بين الشرق والغرب.**- بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.- ٢٣٥ ص.

٧. **استشراق الشرق الأدنى الأوروبي والتجسير الثقافي: رؤية في المفهوم.**- بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م.- ٢٤٧ ص.

٨. **الاستشراق في الأدبيَّات العربية:** عرض للنظرات ورصدٌ وراقي للمكتوب.- الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.- ٣٧٠ ص.

٩. **الاستشراق والإسلام في المراجع العربية**.- بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.- ٢٢٤ ص.

١٠. **الاستشراق وافتعال «الخوف من الإسلام»: فلسفته - تأجيجه - تداعياته**.- الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م.- ١٥٧ ص.

١١. **الاستشراق وتاريخ العلوم عند المسلمين: قضايا وتساؤلات!**.- كتاب مقدَّم للمؤتمر السنوي لاتِّحاد المؤرِّخين العرب بعنوان: «العلوم العربية والإسلامية وتأثيراتها العالمية؛ المحور الثالث: «أثر العلوم العربية والإسلامية في الحضارات الأخرى، ٤- مناهج المستشرقين في دراسة العلوم عند العرب والمسلمين».- القاهرة في ١/ ٥/ ١٤٤٤هـ - ٢٥/ ١١/ ٢٠٢٢م.- ١٠٠ ص.

١٢. **الاستشراق والدراسات الإسلامية: مصادر المستشرقين ومصدريَّتهم**.- الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.- ٢٦٢ ص.- (موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ٣).

- مصادر المستشرقين ومصدريتهم.- ط ٢.- بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.- ٣٠٩ ص.

١٣. **الاستشراق والحضارة الإسلامية**: من النصِّ الشرعي إلى إعادة كتابة التاريخ.- بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م.- ٢٥٠ ص.

١٤. **الاستشراق وعلوم المسلمين في المراجع العربية**.- بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.- ٢٥٦ ص.

١٥. **الاستشراق والعناية بالتاريخ والتراث: من الجناية إلى التصدِّي**.- بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٤١هـ/ ٢٠١٠م.- ٢٣٨ ص.

١٦. **الاستشراق واللغة العربية: من نفي الأصالة إلى حفظ المتون**.- الرياض: المؤلِّف، ١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٣م.- ٣٣٩ ص.

١٧. **الاسْتِغْرَاب: الْمَنْهَجُ فِيْ فَهْمِ الْغَرْبِ، رُؤْيَةٌ تَأْصِيْلِيَّة**.- الرياض: المجلَّة العربية، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.- ٨٥ ص.

١٨. **إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي**: دراسة تحليلية، ونماذج من التحقيق والنشر والترجمة.- الرياض: المؤلف، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.- ١٩٨ ص.- (موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ٤).

١٩. **إِشْكَالُيَة المُصطلَحِ في الفِكرِ العَرَبِي: الاضطراب في النقل المعاصر للمفهومات**.- بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.- ٢٤٨ ص.

٢٠. **الالتفاف على الاستشراق: محاولات التنصُّل من المصطلح**.- الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامَّة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.- ١٨٢ ص.- (موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ٥).

٢١. **تأمُّلات في طريق الدعوة: جولات في الزمان والمكان والتحدِّيات**.- الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.- ٢٥٠ ص.

٢٢. **التجسير الحضاري بين الأمم في ضوء تناقُل العلوم والآداب والفنون**.- الرياض: المؤلف، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.- ١١١ ص.

٢٣. **التنصير في الأدبيَّات العربية**.- الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.- ٢٧٢ ص.

- التنصير في المراجع العربية: دراسة ورصد وراقي للمطبوع.- ط ٢.- الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.- ٤١٩ ص.

٢٤. **التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته**.- القاهرة: دار الصحوة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.- ١٢٠ ص.

- التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته.- ط ٢.- الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.- ١٥٢ ص.

- التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته.- ط ٣.- الرياض: المؤلِّف، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.- ١٦٧ ص.
- التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته.- ط ٤.- الرياض: المؤلِّف: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.- ٢٤٨ ص.
- التنصير: المفهوم - الوسائل - المواجهة.- ط ٥.- بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.- ٢٧٠ ص.

٢٥. **التواصُل الحضاري بين الأمم في ضوء تناقُل العلوم والآداب والفنون**.- في النشر.- الرياض: الجمعية السعودية للتاريخ والحضارة، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.- ١٩٨ ص.

٢٦. **ثقافة العبث: سلوكيات عبثية في زمن الفاقة**.- الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.- ٢٤٥ ص.

٢٧. **الجهاد والمجاهدون في أفغانستان: وقفات تقويم**.- الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.- ١٢٥ ص.

٢٨. **رؤية المفكِّر العربي للاستشراق: من التبجيل إلى الاعتدال**.- في الإعداد.

٢٩. **السعوديُّون: الثبات والنماء**.- الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. - ٣١٤ ص.

٣٠. **السعوديُّون والخصوصية الدافعة: وقفات مع مظاهر التميُّز في زمن العولمة**.- الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.- ٢٤٥ ص.

٣١. **الشرق والغرب: محدِّدات العلاقات ومؤثِّراتها**.- الرياض: المؤلف، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.- ٢٤٨ ص.

- الشرق والغرب: منطلقات العلاقات ومحدِّداتها.- ط ٢.- بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م..- ١٧٣ ص.
- الشرق والغرب: منطلقات العلاقات ومحدِّداتها.- ط ٣.- بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.- ٣٥٢ ص.

٣٢. **صدام الثنائيات: افتعال الصراع بين الملتقيات**.- بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.- ٢٠٥ ص.

٣٣. **الصراع العربي في الكويت: فرض الأفكار قسرًا**.- الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.- ١٥٢ ص.

٣٤. **صناعة الكراهية بين الثقافات وأثر الاستشراق في افتعالها**.- دمشق: دار الفكر، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م.- ١٧١ ص.- (سلسلة نقد العقل المعاصر).

٣٥. **ظاهرة الاستشراق: مناقشات في المفهوم والارتباطات**.- الرياض: مكتبة التوبة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.- ٢١٠ ص.- (موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ١).

٣٦. **كُنه الاستشراق: المفهوم - الأهداف - الارتباطات**.- بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.- ٣٠٢ ص.

٣٧. **العمل الاجتماعي والخيري في منطقة الخليج العربية: التنظيم - التحدِّيات - المواجهة**.- الرياض: المؤلِّف، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.- ٢٥٠ ص.

- العمل الاجتماعي الخيري: التنظيم - التحدِّيات - المواجهة.- ط ٢.- بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.- ٣٢٠ ص.

٣٨. **فكر الانتماء في زمن العولمة: وقفات مع المفهومات والتطبيقات**.- الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.- ٣٢٤ ص.

٣٩. **الفكر بين العلم والسلطة: من التصادُم إلى التعايُش**.- الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.- ٢٧٧ ص.

- الفكر بين العلم والسلطة: من التصادُم إلى التعايُش.- ط ٢.- الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.- ٢٩٠ ص.

٤٠. **فكر التصدِّي للإرهاب: وقفات مع المفهوم والأسباب والأوزار**.- الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.- ١١٣ ص.

- فكر التصدِّي للإرهاب: المفهوم - الأسباب - المواجهة - الأوزار.- ط ٢.- بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.- ٢٧٥ ص.

٤١. **كُنه الاستغراب: المنهج في فهمنا الغرب**.- ط ٢.- بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.- ٣٤١ ص.

٤٢. **مآلات المخطوطات العربية بين المكتبات الغربية والمستشرقين: دراسة في مصائر التراث العربي المخطوط**.- بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٢م.- ٣٨٣ ص.

٤٣. **مجالات التأثُّر والتأثير بين الثقافات: المثاقفة بين شرق وغرب**.- الرياض: المؤلِّف، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.- ١٧٧ ص.

- مناحي التأثُّر والتأثير بين الثقافات: المثاقفة بين شرق وغرب.- ط ٢.- بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.- ١٨٧ ص.

٤٤. **مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين**.- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.- ١٣٢ ص.

- مراكز النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية.- ط ٢.- الرياض: المؤلف، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.- ٢٠٠ ص.

- النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية.- ط ٣.- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.- ٢٠٤ ص.

٤٥. **مسارات الاستشراق: من الالتفات إلى الالتفاف**.- ط ٢.- بيروت: مكتبة بيسان، ٣٧١٤هـ/ ٢٠١٦م.- ٢٥٥ ص.

٤٦. **المُسْتَشْرِقُوْنَ مِنَ الانْعِتَاقِ إِلَىَ الاِعْتِنَاقِ: دراسة في «إعلان» بعض المستشرقين إسلامهم**.- بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م.- ٢٥٩ ص.

٤٧. **المستشـرقون والتنصيـر: دراسـة للعلاقـة بيـن ظاهـرتين، مـع نمـاذج مـن المستشـرقين المنصِّريـن**.- الريـاض: مكتبـة التوبـة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.- ١٧٨ ص.- (موسـوعة الدراسـات الاستشـراقية؛ ٤).

٤٨. **المستشـرقون والسـنة والسـيرة في المراجـع العربيـة**.- بيـروت: مكتبـة بيسـان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.- ١٥٧ ص.

٤٩. **المستشـرقون والقـرآن الكريـم في المراجـع العربيـة**.- بيـروت: مكتبـة بيسـان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.- ٢٦٩ ص.

٥٠. **المستشـرقون ونشـر التـراث**: دراسـة تحليلية ونمـاذج مـن التحقيـق والنشـر.- ط٢.- الريـاض: مكتبة التوبـة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.- ١٩١ ص.- (موسـوعة الدراسـات الاستشـراقية؛ ٢).

٥١. **مصـادر المعلومـات عـن الأدب الجاهـلي: رصـد وراقـي**.- الريـاض: مكتبـة التوبـة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.- ٢٦٠ ص. (بالاشـتراك مـع أ. د. عفيـف محمـد عبدالرحمـن).

٥٢. **مصـادر المعلومـات عـن الاستشـراق والمستشـرقين: اسـتقراء للمواقـف**.- الريـاض: مكتبـة الملـك فهـد الوطنيـة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.- ٥٦ ص.- (ضُمِّـن في كتـاب: الاستشـراق والدراسـات الإسـلامية).

٥٣. **المكتبـات والمعلومـات السـعودية: وقفـات صحفيـة**.- الريـاض: مكتبـة العبيـكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.- ٢٨٤ ص.

٥٤. **المنهـج الاستشـراقي في دراسـة القـرآن الكريـم وترجمـة معانيـه/ تقديـم أ. د. فهـد بـن عبدالرحمـن الرومـي**.- الريـاض: الجمعيـة السـعودية للدراسـات القرآنيـة (تبيـان)، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.- ١٧٦ ص.- (سلسـلة البحـوث العلميـة؛ ٣٨).

٥٥. **مواجهة الفقر: المشكلة وجوانب المعالجة**.- الرياض: المجلَّة العربية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.- ٩٣ ص.- (سلسلة كُتيِّب المجلَّة العربية؛ ٩٠). (بالاشتراك مع: أ. د. صالح بن محمَّد الصغيِّر).

٥٦. **الموسوعات الفردية: المسيري أنموذجًا**.- الرياض» المجلَّة العربية، ١٤٣٢هـ.- ١٢٦ ص.

٥٧. **موقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية بين الاستمداد والتأصيل**.- الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.- ٨٧ ص.

٥٨. **المؤلِّف الموسوعي «نجيب العقيقي» وكتابه «المستشرقون»: دراسة مسحية نقدية**.- بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٢١م.- ٢٢٨ ص.

٥٩. **نقد الاستشراق والمستشرقين في المراجع العربية**.- بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.- ٣٠٣ ص.

٦٠. **نقد الفكر الاستشراقي: الإسلام، القرآن الكريم، الرسالة**.- الرياض: المؤلف، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.- ٢٧٩ ص.

- مراجعات في نقد الفكر الاستشراقي حول الإسلام والقرآن الكريم والرسالة.- ط٢.- بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.- ٣٠٢ص.

٦١. **هاجس المؤامرة في الفكر العربي بين التهوين والتهويل**.- الرياض: المؤلف، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.- ٢٣٠ ص.

- هاجس المؤامرة في الفكر العربي بين التهوين والتهويل.- ط ٢.- بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.- ٢٤٥ ص.

٦٢. **وبشِّر الصابرين: كلماتٌ في رجال تركوا أثرًا**.- الرياض: المؤلف، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.- ٢٤٠ ص.

- وبشِّر الصابرين: كلماتٌ في رجال تركوا أثرًا.- ط ٢.- الرياض: المؤلف، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.- ٢٩٨ ص.

٦٣. **الوراقة وأشهر أعلام الورَّاقين: دراسة في النشر القديم ونقل المعلومات.**- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.- ١٩٠ ص.

- الوراقة والورَّاقون في الحضارة الإسلامية.- ٤ مج.- الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.- ١٢٩٠ ص.

٦٤. **وقفات حول العولمة وتهيئة الموارد البشرية.**- الرياض: المجلَّة العربية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.- ٦٦ ص.- (سلسلة كُتيِّب المجلَّة العربية؛ ٧٣).

- وقفات حول العولمة وتنمية الموارد البشرية.- القاهرة: مجلَّة العمل، ٢٠٠٣م.- ٤٦ ص. (سلسلة كتاب العمل؛ ٥٢٥).

- العولمة وتهيئة الموارد البشرية في منطقة الخليج العربية.- ط ٢.-الرياض: المؤلف، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.-١٧٦ ص.

- تهيئة الموارد البشرية في زمن العولمة.- ط ٣.- بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.- ٢٢٧ ص.

65. *Infrastructure of Information Needs and Resources in the Country of Saudi Arabia: an Assessment. - Ph. D. Dissertation.- Cleveland, Ohio (USA): Matthew A. Baxter School of Information and Library Science, Case Western Reserve University, May 280 -.1984 p. (manuscript).*

ثانيًا: مقالات وبحوث علمية: (مرتَّبةٌ هجائيًّا):

١. **الابتعاث مؤثِّرًا ومحدِّدًا من محدِّدات العلاقة بين الشرق والغرب.**- منتدى أبعاد (شيكاغو ١٥ - ١٩/ ٢/ ١٤٣٥هـ الموافق ١٨ - ٢٢/ ١٢/ ٢٠١٣م).- ١٥ ص.

٢. **الاتِّجار بالبشر: العلاج بالوقاية.**- ورقة عمل مقدَّمة للحلقة العلمية حول مكافحة الاتِّجار بالأطفال بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض محرَّم ١٤٢٧هـ/ فبراير ٢٠٠٦م.- ١٧ ص.

٣. **أثر الاستشراق في افتعال هاجس «الخوف من الإسلام»: فلسفته - تأجيجه - تداعيانه.**- الشارقة: الهيئة العامَّة للكتاب، معرض الكتاب الدولي الأربعون، ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م.- ٩٨ ص.- (محاضرة ٢٩/ ٣/ ١٤٤٣هـ - ٤/ ١١/ ٢٠٢١م).

٤. **أثر الأستاذ في تلاميذه.**- مجلَّة الصلة.- ع ١٥ (١٤٣٤هـ).- ص ٧ - ٩.

٥. **أثر الاستشراق في الحملة على رسول الله ﷺ.**- مجلة الجامعة الإسلامية.- ع ١٤٧ مج ٤٢ (١/ ١٤٣٠هـ - ديسمبر ٢٠٠٨م).- ص ١٦٥ - ٢٠٣.

٦. **أثر الاستشراق ومراكز البحوث الغربية في صناعة السياسات ذات العلاقة بالعرب والمسلمين.**- بحث مقدَّم للمؤتمر الدولي الأوَّل للجمعية العلمية لكلِّيات الآداب بالوطن العربي بعنوان «الدراسات العربية في الغرب» في جامعة اليرموك في إربد والجامعة الأردنية بعمَّان الأردن في المدَّة من ١٠ -١١/ رجب/ ١٤٤١هـ الموافق لـ٤ - ٥/ ٣/ ٢٠٢٠م.- ٣٠ ص.

- وتمَّ نشر البحث في مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب.- مج ١٩، ع (عدد خاص) (٢٠٢٢م).- ٢٤ ص.

٧. **أثر مؤسَّسات المجتمع المدني في التعامُل مع مؤتمرات المرأة**.- البحرين: الاتفاقيات والمؤتمرات الدولية عن المرأة وآثارها على العالم الإسلامي، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.- ٢٠ ص.

٨. **أدوار المؤسَّسات الوسيطة في تنمية العمل الخيري**.- ورقة قدِّمت في ملتقى المؤسَّسات الوسيطة: شراكة وتكامُل.- الرياض: مؤسَّسة مُحَمَّد وعبدالله ابني إبراهيم السبيعي الخيرية، ٢٨ - ٢٩/ ١٢/ ١٤٣٤هـ الموافق لـ ٢ - ٣/ ١١/ ٢٠١٣م.- ١٤ ص.

٩. **الإرهاب: المفهوم والهوية**.- الكويت: وزارة التعليم العالي، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.- محاضرة.-

١٠. **الاستثناء الثقافي في مواجهة الكونية: ثنائية الخصوصية والعولمة**.- القاهرة: مؤتمر اتِّحاد المؤرِّخين العرب، ٨/ ١١/ ١٤٢٩هـ-٦/ ١١/ ٢٠٠٨م.-٣٨ص.

١١. **الاستشراق الألماني: خصوصياته وملامحه**.- ورقة أُعِدَّت على هامش معرض الكتاب الدولي بفرانكفورت بألمانيا - شعبان ١٤٢٥هـ/ أكتوبر ٢٠٠٤م.- فرانكفورت على نهر الماين: معرض الكتاب الدولي، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.- ٢٠ ص.

١٢. **الاستشراق البلقاني: آستشراق أم استعراب؟**.- ورقة مستلَّة بتصرُّف من كتاب الباحث: استشراق الشرق الأدنى الأوروبِّي والتجسير الثقافي: رؤية في المفهوم، مقدَّمة بمناسبة مرور خمسين عامًا على تأسيس قسم الدراسات الشرقية بجامعة بريشتينا بكوسوفا، الثلاثاء ٣/ ١١/ ١٤٤٤هـ الموافق لـ٢٣/ ٥/ ٢٠٢٣م.- ٢٧ ص.

١٣. **استِشْراقُ الشرْقِ الأدْنَى الأُورُوبِّي والتجْسِيرُ الثقَافِي: رُؤيةٌ في المفْهُومِ**.- ص ٢٦ - ٦٨.- في: جامعة عين شمس. المؤتمر الثاني لقسم اللغة

العربيـة: الاستشـراق والثقافـة العربيـة بيـن الأيبولوجيـا والإنجـاز المعـرفي، ٢٩/ ٢/ ١٤٣٨هـ ٢٨ - ٣٠/ ١١/ ٢٠١٦م/ تحرير ماجد مصطفى الصعيدي.- القاهرة: جامعة عين شمس، كلِّية الألسُن، قسم اللغة العربية، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م.- ٦٧٢ ص.

١٤. **الاِسْتِشْراق العَرَبِي وَالمُسْتَشْرقُونَ العَرَبُ: دِرَاسَةٌ أَوَّلِيَّةٌ في الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة**.- ورقة مقدَّمة لمؤتمر جدلية الاستشراق والاستغراب: المنطلقات والحصاد.- الرياض: مؤتمر جدلية الاستشراق والاستغراب: المنطلقات والحصاد. منتدى المؤرِّخين العرب، ٥- ٦/ ١٢/ ١٤٤١هـ - ٢٦ - ٢٧/ ٢٠٢٠م. ٢١ ص.

١٥. **الاِسْتِشْراقُ العِلْمِيُّ جِسْرٌ لِلتَّوَاصُل بَيْنَ الثَّقَافَاتِ: الاِسْتِشْرَاقُ الأَلْمَانِيُّ نُمُوذَجًا**.- ورقة مقدَّمة للمؤتمر السنوي السابع لجامعة عين شمس: عالمية وانطلاق في المدَّة من ١٦ - ١٩/ ٧/ ١٤٣٩هـ الموافق لـ ٢ - ٥/ ٤/ ٢٠١٨م.- ٥١ ص.

١٦. **الاستشراق مصدر من مصادر المعلومات عن التراث**.- في: دراسات إسلامية.-بريدة: نادي القصيم الأدبي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.-ص: ٦٩-٩٩.

١٧. **الاستشراق مصدرًا من مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي: قضايا المسلمين المعاصرة، الصحوة «الأصولية**.- في: ندوة مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي.- الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامَّة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.- ٣٤ ص.

١٨. **الاستشراق والإسلام: مقدِّمة لنقد وراقي «ببليوجرافي»**.- مجلة جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية.-

١٩. **الاستشراق وأصالة علوم المسلمين: الفقه الإسلامي والقانون الروماني**.- المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤٣٠هـ.- ٤٩ ص.

٢٠. **الاستشراق والإعجاز في القرآن الكريم: دراسة في النقد الذاتي للاستشراق**.- ص ٢٥١١ - ٢٥٣٤.- في: المؤتمر الدولي الثالث: العلوم الإسلامية والعربية وقضايا الإعجاز في القرآن والسنة بين التراث والمعاصرة ١٤ - ١٦ صفر ١٤٢٨هـ الموافق ٤ - ٦ مارس ٢٠٠٧م.- المنيا: كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢١. **الاستشراق والأوقاف الإسلامية: المستشرقون وأصالة الأوقاف الإسلامية**.- مجلَّة ساعي (١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٤م).- ص.

٢٢. **الاستشراق والتنصير: دراسة للعلاقة بين ظاهرتين تؤثِّران على فكر الشباب تلقِّيًا وتفاعُلاً**.- في: المؤتمر السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي.- عمَّان: الندوة العالمية للشباب الإسلامي.- ٢٦ ص.

٢٣. **الاستشراق والدعوة إلى إعادة كتابة التاريخ العربي الإسلامي**.- ورقة مقدَّمة للمؤتمر الدولي الثالث لكلِّية اللغة العربية بجامعة الأزهر بأسيوط: التاريخ بين التصحيح والتحريف من ٦ - ٧/ ٢/ ١٤٤٠هـ الموافق لـ١٥ - ١٦ أكتوبر ٢٠١٨م.- ٢٨ ص.

٢٤. **الاستشراق والدعوة إلى إعادة كتابة التاريخ العربي الإسلامي**.- المجلَّة العربية.- ع ٥١٣ (١٠/ ١٤٤٠هـ - ٦/ ٢٠١٩م).- ص ٣٨ - ٤٣.- (بعد حذف المقدِّمة وقائمة المراجع من البحث قبله).

٢٥. **الاستشراق والقرآن الكريم: مقدِّمة لنقد وراقي «ببليوجرافي»**.- مجلة البحوث والدراسات القرآنية (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنوَّرة).- ع ٣ (١/ ١٤٢٨هـ - ١/ ٢٠٠٧م).- ص ١٩٥ - ٢٢٩.

٢٦. **الاستشراق والنصِّ الشرعي: من الإنكار إلى التدبُّر**.- القصيم: جامعة القصيم، ٢/ ١٤٣٨هـ - ١١/ ٢٠١٦م.- ٢٦ ص.

٢٧. **الاستغراب: المنهج في فهمنا الغرب**.- حائل: جامعة حائل، ١٧/ ٧/ ١٤٣٦هـ الموافق ٦/ ٥/ ٢٠١٥م.- ٤٥ ص.- (محاضرة).- (بدعوة من الجمعية العلمية للثقافة الإسلامية، بإشراف جامعة الملك فيصل بالأحساء).

٢٨. **إِشْكَالِيَّةُ المُصطلَحِ المَنقُولِ للعَرَبِيَّةِ: نَظرَةٌ عامَّةٌ وَنَمَاذِج**.- (محاضرة) الدمَّام: مُنتدى الزامل، ٢٢/ ٥/ ١٤٣٠هـ - ١٧/ ٥/ ٢٠٠٩م.

٢٩. **إشكالية المصطلح في الفكر العربي**.- في: مُنتدى العُمري الثقافي: حصاد العام الثالث ١٤٣١هـ.- ٨ مج.- بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.- ٣: ٢٨٥ - ٤٠٩.

٣٠. **الإصلاح في المجال الاجتماعي**.- ص ٣٠٢ - ٣٢٤.- في: مجموعة من الباحثين. الحكومة والشعب في السعودية: ما لا يعرفه الآخر.- الرياض: مركز الفكر العالمي عن السعودية، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.- ٣٢٤ ص.

٣١. **الإصلاح في المجال الاجتماعي في المملكة العربية السعودية: تحدِّيات التطوير**.- في: الإصلاح في دور الرعاية (محاضرة). جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية والغرفة التجارية الصناعية بجدَّة.- ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.- ١٣ ص.

٣٢. **اضطراب المصطلح المنقول من الآخر: نماذج من مصطلحات قلقة**.- المنيا: كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ١٤٣١هـ/ ٢٠٠٩م.- ٣٧ ص.

٣٣. **أعمال المستشرقين مصدرًا من مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين**.- مجلَّة جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية.- ع ٧ (٤/ ١٤١٣هـ - ١٠/ ١٩٩٢م).- ص ٥١٩ - ٥٦٤.

٣٤. **الإعلام وآثاره الإيجابية والسلبية في حياة الأقليَّات المسلمة**.- في: ملتقى خادم الحرمين الشريفين الإسلامي الثقافي: فقه الأقليَّات ٨ - ١٠/ ٤/ ١٤١٩هـ الموافق لـ ٧/٣١ - ٢/٨/١٩٩٨م.- ١٨ ص.

٣٥. **الإفادة من الوسائل الحديثة في الدعوة**.- أدنبرة: جامع خادم الحرمين الشريفين بأدنبرة.- بمناسبة افتتاح مركز خادم الحرمين الشريفين في أدنبرة.-٨ -١٠/ ٤/ ١٤١٩هـ الموافق ٧/٣١ -٢/٨/١٩٩٨م.- (محاضرة).

٣٦. **الالتفاف على الاستشراق: محاولة التنصُّل من المصطلح**.- ص ٧٣٧ - ٧٧٥.- في: المؤتمر الدولي الثاني: المستشرقون والدراسات العربية الإسلامية ٤ - ٦ صفر ١٤٢٧هـ الموافق ٤ - ٦ مارس ٢٠٠٦م.- المنيا: كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.- ١٥٦١ ص.

٣٧. **التفات العلماء والمحقِّقين المسلمين للتراث العربي الإسلامي**.- ورقة قدِّمت في المؤتمر العلمي الأوَّل: قراءة التراث الإسلامي بين ضوابط الفهم وشطحات الوهم.- القاهرة: كلِّية أصول الدين، جامعة الأزهر، ٢٠ - ٢١/ ٦/ ١٤٣٩هـ الموافق لـ ٧ - ٨/ ٢/ ٢٠١٨م.- ٢٩ ص.

٣٨. **أوقاف الكتب والمكتبات: مدى استمرارها، ومعوِّقات الإفادة منها**.- مجلَّة العقيق (المدينة المنوَّرة).- ع ٢٧ - ٢٨ (رمضان - ذو الحجَّة ١٤٢٠هـ/ ديسمبر ١٩٩٩ - مارس ٢٠٠٠م).- ص ٢٥١ - ٢٧٢.

- ونشرت في: بحوث ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية المنعقدة في المدينة المنوَّرة في المدَّة من ٢٥ - ٢٧ محرَّم ١٤٢٠هـ.- الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.- ص ٥٤٥ - ٥٧٠.

٣٩. **البطالة والفقر في البلاد العربية وأثرهما على الخطَّة الأمنية العربية**.- ورقة مقدَّمة في: ملتقى الإستراتيجيات الأمنية العربية: الواقع والتطلُّعات الذي عقدته جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية بالخرطوم من ٣ - ٦/ ١/ ١٤٣١هـ - ٢١ - ٢٣/ ١٢/ ٢٠٠٩م.- ٤٣ ص.- (نشرتها الجامعة في كتيِّب، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م).

٤٠. **البنية الأساسية لنظامٍ وطنيٍّ للمعلومات**.- مكتبة الإدارة.- مج ١٣ ع ١ (محرَّم ١٤٠٦هـ/ أكتوبر ١٩٨٥م).- ص ٢٦٣ - ٢٨١.

٤١. **البيئة القانونية والنظامية وأهميَّتها لتحفيز المشاركة في العمل التطوُّعي**. ورقة مقدَّمة لملتقى العمل التطوُّعي ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.- الخبر: الغرفة التجارية الصناعية بالمنطقة الشرقية، ١/ ٢/ ١٤٣٠هـ - ٢٧/ ١/ ٢٠٠٩م.- ١٥ ص.

٤٢. **التجَّار والمسؤولية الاجتماعية**.- مجلَّة القصيم (الغرفة التجارية الصناعية بالقصيم).- ع ١١٤ (٣/ ١٤٢٨هـ - ٣/ ٢٠٠٧م).- ص ١٠ - ١١.

٤٣. **تجربتي العلمية مع فؤاد سزكين**.- مجلَّة الفيصل.- ع ٥١٣ ٥١٤ (١١ و١٢/ ١٤٤٠هـ - ٧ و٨/ ٢٠١٩م).- ص ١٣٦ - ١٤٠.

٤٤. **التجهيزات الأساسية للمعلومات**.- **مكتبة الإدارة**.- مج ١٢، ع ٢ (جمادي الأولى ١٤٠٥هـ/ يناير - فبراير ١٩٨٥م).- ص ٢٣ - ٣٨.

٤٥. **التحالُف العربي الياباني في ضوء خصوصية الثقافات: البعثات التعليمية بين التأثُّر والتأثير في ندوة حوار الحضارات بين اليابان والعالم الإسلامي**.- المعهد الدبلوماسي/ الرياض: الاثنين ١٦/ ٣/ ١٤٢٩هـ - ٢٤/ ٣/ ٢٠٠٨م.- ٢٨ ص.

٤٦. **التَّنصيرُ القَسْريُّ وَأَثَرُه فِي التَّعَدِّي عَلَى الحُرِّيَّاتِ الدِّينِيَّة**.- الرياض: هيئة حقوق الإنسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.- ٥٠ ص.

٤٧. **تنمية العمل الاجتماعي: تحقيق المسؤولية الاجتماعية (محاضرة)**.- الدمام: مجلس حمد الحصيني، ١٠/ ٥/ ١٤٣٠هـ - ٥/ ٥/ ٢٠٠٩م.- ٢٤ ص.

٤٨. **تنمية العمل الخيري**.- الدوحة: مؤسَّسة عيد بن مُحَمَّد آل ثاني الخيرية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.-

٤٩. **تنمية العمل الاجتماعي في دول الخليج العربية بين الواقع وتطلُّعات المستقبل**.- لندن: مركز الإمارات للدراسات والإعلام، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.- ٤٣ ص.

٥٠. **التواصُل الثقافي العربي الألماني: الاستشراق أنموذجًا**.- **مجلَّة المجلَّة العربية**.-ع ٤٦١ (جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ أبريل ٢٠١٥م).- ص ٤ - ١٠.

٥١. **ثنائيات التفكير الضدِّية في الفكر العربي: «قيم - معارف - مهارات»**.- محاضرة.- ٤٥ ص.

٥٢. **الثوابت والاستراتيجيات في الإعلام السعودي**.- في: وزارة الإعلام. مسيرة الإعلام السعودي.- الرياض: الوزارة، ١٤١٩هـ (١٩٩٩م).- ص ١٠١ - ١١٧.

٥٣. **جهود المستشرقين في العناية بتاريخ المسلمين وتراثهم**.- بحث مقدَّم للمؤتمر الدولي الأوَّل في التاريخ والحضارة الإسلامية: الحياة العلمية والفكرية والثقافية في العالم العربي بين القرنين ١ - ١٤هـ/ ٧ - ٢٠م.- قسم التاريخ في كلِّية الآداب - جامعة اليرموك/ إربد - الأردن ١ - ٢/ صفر ١٤٤١هـ الموافق لـ ٢ - ٣/ تشرين الأوَّل «أكتوبر» ٢٠١٩م.

٥٤. **حال المخطوط العربي الإسلامي ومآلاته: الحفظ - التهجير - الإتلاف**.- ورقة مقدَّمة لندوة المخطوط العربي على هامش معرض المخطوطات العربية المعقود الذي تنظِّمه هيئة الشارقة للكتاب في الشارقة بالإمارات العربية المتَّحدة في المدَّة من ١٥ - ١٩ من شهر رمضان المبارك الموافق لـ ٢٧/ ٤ - ٢/ ٥/ ٢٠٢١م.- ٢١ ص.

٥٥. **الحوار الحضاري بين الأمم: إسهام الحضارة الإسلامية في بناء حضارة الأمم من خلال نقل العلوم وصقلها**. - المنيا: كلية دار العلوم. - ٤٧ ص.

٥٦. **حياة الأستاذ الدكتور مُحَمَّد فؤاد سزكين - رحمه الله - وعطاؤه العلمي من خلال ملازمة ذاتية**. - بحث مقدَّم للمؤتمر الدولي عن «حياة ومساهمات البروفيسور فؤاد سزكين» المُنعقد في نيو دلهي بالهند خلال المدَّة من ٢٤ - ٢٥/ ربيع الثاني ١٤٤١هـ الموافق لـ ٢١ - ٢٢/ ديسمبر ٢٠١٩م.

٥٧. **خدمات المكتبات والمعلومات في المملكة العربية السعودية: عرض لما كُتب باللغة الإنجليزية**. - حولية المكتبات والمعلومات (قسم المكتبات والمعلومات بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية بالرياض). - ع ١ (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م). - ص ١٠٣ - ١٢٩.

٥٨. **الخدمات المكتبية للمعاقين في المناطق الصناعية**. - **مجلة المكتبات والمعلومات العربية**. - مج ٦ ع ٢ (٨/ ١٤٠٦هـ - ٤/ ١٩٨٦م). - ص ٥٥ - ٦٤.

٥٩. **خواطر حول إدارة العمل الاجتماعي**. - الرياض: كلية اليمامة، (يوم الاثنين ٢٢/ ١٠/ ١٤٢٧هـ الموافق لـ ١٣/ ١١/ ٢٠٠٦م). - ١٤ ص.

- دار الوراقة الخليجية. - مجلَّة عالم الكتب. -

٦٠. **خواطر منهجية حول البحث العلمي: محاولات أوليَّة لرصد بعض الأخطاء الشائعة عند إعداد البحث العلمي**. - ٢: ٥٤٣ ٥٥٢. - في: أبحاث المؤتمر الثاني لتخطيط وتطوير التعليم والبحث العلمي في الدول العربية: نحو بناء مجتمع معرفي. - المعقود في المدَّة من ١٧ - ٢١ صفر ١٤٢٩هـ الموافق لـ ٢٤ - ٢٧ فبراير ٢٠٠٨م. - ٢ مج. - الظهران: جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٦١. **الدَّعْـوَةِ لِقِيَـامِ عِلْـمِ الاِسْـتِغْرابِ**.- محاضـرة في ديوانيَّـة الأسـتاذ الدكتـور سليمان الرحيلي - رحمه الله -.- (المدينة المنوَّرة ٧/ ٦/ ١٤٣٥هـ الموافق لـ ٧/ ٤/ ٢٠١٤م).- ٦٨ ص.

٦٢. **الدعـوة لإعـادة النظـر في مفهـوم التطـوُّع**.- الـرس: جمعيـة الـبرِّ بالـرس، ١٨/ ٢/ ١٤٣٦هـ الموافـق لـ ١٠/ ١٢/ ٢٠١٤م.- ١٨ ص.

٦٣. **ذوو الهمـم مـن المستشـرقين: مواقفهـم مـن حضـارة المسـلمين**.- ورقـة مقدَّمـة للمؤتمر الدولي السادس لكلِّية اللغة العربية بجامعة الأزهر بأسيوط بعنوان «إسهامات ذوي الهمم في بناء الحضارة الإنسانية قديمًا وحديثًا في المدَّة من ٢٨ - ٢٩ ربيع الثاني ١٤٤٥هـ الموافق لـ ١٢ - ١٣/ نوفمبر ٢٠٢٣م.- ٢٧ ص.

٦٤. **رحـلات المستشـرقين مصـدرًا مـن مصـادر المعلومـات عـن العـرب والمسـلمين**.- مجلَّـة مكتبـة الملـك فهـد الوطنيـة.- مـج ١ ع ١ (محـرَّم - جمـادى الآخـرة ١٤١٦هـ/ يوليـو - ديسـمبر ١٩٩٥م).- ص ٣٩ - ٨١.

٦٥. **سلمان الإنسان**.- **محاضرة بجامعة الجوف**.- ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٥م.

٦٦. **الشـرق والغـرب : لقـاء المصالـح وفـراق الأدلجـة**.- **محاضـرة ألقيـت في مهرجان عنيزة الثقافي الخامس**.- عنيزة: مركز صالح بن صالح الاجتماعي، ٢١/ ٦/ ١٤٣٧هـ - ٣٠/ ٣/ ٢٠١٦م.- ١٥ ص.

٦٧. **صـدام الثنائيـات: افتعـال الصـراع بيـن ذاك الحيـن (التـراث) وهـذا الحيـن (المعاصـرة)**.- ص ١٥ - ٤٣.- في: النـدوة الدوليـة الخامسـة: تحييـن المعرفـة وتأصيل الإنسان، ٢٦ - ٢٧ جمادى الآخرة ١٤٣٥هـ الموافق لـ ٢٦ - ٢٧ إبريل ٢٠١٤م.- الشارقة: مركز الأمير عبدالمحسن بن جلوي للبحوث والدراسات الإسـلامية، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.- ٢٩٦ ص.- (سلسـلة النـدوات؛ ٥).

٦٨. **الصورة العربية والإسلامية في الاستشراق الألماني**.- محاضرة.- المهرجان الوطني للتراث والثقافة.- موسم سنة ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.- ٤١ ص.

٦٩. **العجز في القوى العاملة وتأثيره على خدمة الكتاب**.- عالم الكتب.- مج ٥ ع ٣ (١/ ١٤٠٥هـ - ١٠/ ١٩٨٤).- ص ٤٨٣ - ٤٩٢.

٧٠. **علي كُراع النمل**.- مجلَّة الحرس الوطني.- مج ١٢ ع ١١٠ (٣١٤٣/ ١٢/ ١٤١٢هـ - ١٠/ ١٩٩١م).- ص ١٠٩.

٧١. **العمل الاجتماعي والتحدِّيات المعاصرة**.- المدينة المنوَّرة: الجامعة الإسلامية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.- (محاضرة).

٧٢. **العمل التطوعي**. الخبر: الغرفة التجارية الصناعية بالمنطقة الشرقية.- ١/ ٢/ ١٤٣٠هـ - ٢٧/ ١/ ٢٠٠٩م.- (محاضرة).

٧٣. **العمل الخيري وأثره في الإصلاح الثقافي والفكري: إشغال الشباب بالعمل الخيري: التطوُّع نموذجًا**.- مكَّة المكرَّمة: كلِّية الشريعة، جامعة أمِّ القرى.- مؤتمر العمل الخيري: مقاصده وقواعده وتطبيقاته.- مكَّة المكرَّمة: كلِّية الشريعة، جامعة أم القرى، ١ - ٢ صفر ١٤٤٠هـ الموافق لـ ١٠ - ١١ أكتوبر ٢٠١٨م.- ٢٠ ص.

٧٤. **العمل مع الأستاذ الدكتور مُحَمَّد فؤاد سزكين - رحمه الله تعالى: تجربة علمية ذاتية**.- ندوة: «فؤاد سِزكين وتاريخ العلوم عند المسلمين».- ديار بكر، تركيا، ١٠ - ١١/ ٦/ ١٤٤٠هـ الموافق لـ ١٥ - ١٦/ ٢/ ١٤٤٠م. ١٢ ص.

٧٥. **عوامل يلزم اعتبارها عند التخطيط لبرامج المكتبات والمعلومات في المناطق النامية**.- عالم الكتب.- مج ٣ ع ١ (٧/ ١٤٠٢هـ - ٤/ ١٩٨٢م).- ص ٦ - ١٠.

٧٦. **العولمة الفكرية.**- دارين الثقافية.- ع ١١ (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).- ص ١٦ - ٢٢.

٧٧. **العولمة وتهيئة الموارد البشرية.**- الدوحة: وزارة الطاقة والصناعة في ٢٣ - ٢٥/ ٢/ ١٤٢٣هـ - ٦/ ٨/ ٢٠٠٢م. ٣٠ ص. (محاضرة).

٧٨. **الفكر والعلم والسلطة.**- ورقة مقدَّمة في ملتقى الأستاذ معتوق شلبي يوم الجمعة ٢٢/ ٨/ ١٤٢٧هـ الموافق لـ ١٥/ ٩/ ٢٠٠٦م.- ١٠٩ ص.

٧٩. **في سبيلِ بناءِ إستراتيجيةٍ عربيةٍ للرعاية والمُناصَحَة.**- ورقة مقدَّمة للملتقى العلمي حول دَور الرعاية والمناصحة في مواجهة الفكر التكفيري.- الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ٩/ ٧/ ١٤٣٦هـ الموافق لـ ٢٨ - ٣٠/ ٤/ ٢٠١٥م.- ٢٤ ص.

٨٠. **قياس الأثر المجتمعي لشعيرة الوقف: الاعتدال في النظر لأثر الأوقاف (ورقة أوَّلية).** مؤتمر وقف لغة القرآن الكريم جامعة الملك عبدالعزيز بجدة الثلاثاء - الخميس.- ١٦ - ١٨/ ٥/ ١٤٤٤هـ الموافق لـ ١٠ - ١٢/ ١٢/ ٢٠٢٢م.- ٧ ص.

٨١. **كتاب الفوائد النفيسة الباهرة في بيان حكم شوارع القاهرة في مذاهب الأئمة الأربعة لأبي حامد المقدسي (٨١٩ - ٨٨٨؟) (تحقيق ونشر).**- مجلَّة العصور.- مج ٣ ع ٢ (١١/ ١٤٠٨هـ - ٧/ ١٩٨٨م).- ص ٣١٣ - ٣٥٨.

٨٢. **كُنه الاستشراق: مناقشات في التعريف والنشأة والدوافع والأهداف.**- في: دراسات استشراقية وحضارية: كتاب دوري محكَّم.- ع ١.- المدينة المنوَّرة: كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.- ص ٢٢ - ٦٠.

٨٣. **ما كان «محمد أسد» *"LEOPOLD WEISS"* مستشرقًا!: وقفة توضيحية.**- ورقة مقدَّمة للمؤتمر العالمي الافتراضي: «شخصية ومساهمة محمد أسد

كصحفي دولي ولغوي ومنظِّر سياسي وباحث للأديان في القرن العشرين».- نيو دلهي/ الهند: معهد الدراسات الموضوعية، ٢٧ - ٢٨/ ١٠/ ١٤٤٣هـ - ٢٨ - ٢٩/ ٥/ ٢٠٢٢م.- ٢٠ ص.

٨٤. **المَخْطُوطَاتُ العَرَبِيَّةُ بَيْنَ عِنَايَةِ المُسْتَشْرِقِيْنِ وَالْتِفَاتِ المُسْلِمِيْنْ.**- ورقة مقدَّمة للمؤتمر العلمي الرابع «جهود العلماء غير العرب في خدمة علوم العربية» بكلِّية اللغة العربية بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، فرع أسيوط في المدَّة من ٢١ - ٢٢/ ٧/ ١٤٤١هـ الموافق لـ١٥ - ١٦/ ٣/ ٢٠٢٠م.- ٣٠ص.

٨٥. **مراصد «بنوك» المعلومات والجامعات العربية.**- مجلة المكتبات والمعلومات العربية.- مج ٨ ع ٣ (١١/ ١٤٠٩هـ - ٧/ ١٩٨٨م.- ص ٥ - ٢٨.

٨٦. **مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين.**- مجلَّة جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية.- ع ٤ (٧/ ١٤١١هـ - ٢/ ١٩٩١م).- ص ٥١٥ - ٥٨٠.

٨٧. **مسارات الاستشراق.**- **محاضرة.**- جامعة الجوف.- ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٥م.- ٢١ ص.

٨٨. **المُسْتَشْرِقُوْنَ وَالْقُرآنُ الْكَرِيْمُ: دِرَاسَاتٌ وَتَرْجَمَاتٌ.**- محاضرةٌ مقدَّمةٌ لجَمْعِيَّةِ تِبْيَان.- الأربعاء ١٩/ ٤/ ١٤٣٥هـ - ١٩/ ٢/ ٢٠١٤م.- ٩٩ ص.

٨٩. **مستقبل الكتاب المطبوع.**- **عالم الكتب.**- مج ٣ ع ٢ (١٠/ ١٤٠٢هـ - ٧/ ١٩٨٢م).- ص ١٦٢ - ١٧٠.

٩٠. **المسؤولية الاجتماعية: شمولية المفهوم وحداثة المصطلح.**- (محاضرة).

ونشرت بالعنوان نفسه: المسؤولية الاجتماعية: شمولية المفهوم وحداثة المصطلح.- في: مجلَّة الدرعية.- مج ١٢ ع ٤٦ (٦/ ١٤٣٠هـ - ٦/ ٢٠٠٩م.- ص ٨١ - ٩٨.

٩١. **المسؤولية الاجتماعية للجامعات في مجال تطوير القطاع الثالث: تطوير العمل الخيري**.- ورقة مقدَّمة لحلقة النقاش حول تطوير العمل الخيري بكرسي الشيخ عبدالرحمن الراجحي وعائلته لتطوير العمل الخيري بجامعة الملك سعود.- الثلاثاء ١٥/ ١١/ ١٤٣٠هـ - ٣/ ١١/ ٢٠٠٩م.- ١٥ ص.

٩٢. **المسؤولية الاجتماعية وشباب الأعمال**.- بريدة: الغرفة التجارية الصناعية، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.- ٢٤ ص.- (محاضرة).

٩٣. **مصادر معلومات المستشرقين عن الإسلام والمسلمين**.- مجلَّة عالم الكتب.- مج ١٥ ع ٦ (الجماديان ١٤١٥هـ/ نوفمبر - ديسمبر ١٩٩٤م).- ص ٥٧١ - ٥٨٨.

٩٤. **مفهوم الحماية الاجتماعية وعلاقتها بالتنمية**.- ورقة مقدَّمة إلى مؤتمر الحماية الاجتماعية والتنمية المنعقد في رحاب جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية في ٢/ ٢/ ١٤٣٥هـ - ٢٤/ ١١/ ٢٠١٤م.- الرياض: الجامعة، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.- ١٢ ص.

٩٥. **المكتبة الافتراضية والتراث العربي**.- الدار البيضاء: الاتِّحاد العربي للمكتبات والمعلومات، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.- كلمة.- ٨ ص.

٩٦. **مناهج التأثُّر والتأثير بين الثقافات: المثاقفة بين شرق وغرب**.- أبها: النادي الأدبي بعسير، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.- ٣٨ ص. (محاضرة). ونشرت في مجلة بيادر الصادرة عن النادي الأدبي بعسير.

٩٧. **منطلقات ثقافية لحقوق الإنسان وإشكالية المصطلح**.- باريس: اليونسكو، ٥/ ١٢/ ١٤٢٩هـ - ٣/ ١٢/ ٢٠٠٨م.- ٢٧ ص.- (محاضرة).

٩٨. **منهج التأثُّر والتأثير في العلاقات الثقافية بين الشرق والغرب: حال العرب والألمان**.- في: المؤتمر الدولي الرابع: الثقافة العربية الإسلامية: الوحدة والتنوُّع.- ١ - ٣ ربيع الأول ١٤٢٩هـ الموافق لـ٩ - ١١ مارس ٢٠٠٨م.- المنيا: كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.- ص ٣١١-٣٣٦.

٩٩. **منهج الدكتور عبدالرحمن بن حمود السميط (١/ ١٢/ ١٣٦٦ - ٨/ ١٠/ ١٤٣٤هـ الموافق لـ ١٥/ ١٠/ ١٩٤٧ - ١٥/ ٨/ ٢٠١٣م) في ريادة العمل الخيري: مؤسَّسة خيرية في رجل خير**.- مكَّة المكرَّمة: جامعة أمِّ القرى (٥/ ٢/ ١٤٣٥هـ - ٨/ ١٢/ ٢٠١٣هـ).- ١٥ ص.

١٠٠. **المواجهة بالمناصحة والرعاية: تجربة المملكة العربية السعودية**.- في: الملتقى العلمي حول دَور الرعاية والمناصحة في مواجهة الفكر التكفيري.- جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية في ٩/ ٧/ ١٤٣٦هـ الموافق لـ ٢٨ - ٣٠/ ٤/ ٢٠١٥م.- (محاضرة).

١٠١. **الموسوعة الفِكريَّةُ عَبدُالوهَّاب المسِيري**.- النادي الأدبي بالرياض (السبت ٢٠/ ٦/ ١٤٣٠هـ الموافق لـ ١٣/ ٦/ ٢٠٠٩م).- ٨٠ ص.- (محاضرة، ونشرتها المجلَّة العربية في ملحقها الشهري بصورة كتاب).

١٠٢. **نبدأ من حيث ينتهي الانبهار**.- ص ٥١ - ٥٥.- في: مجموعة من الباحثين. كيف نقتحم «متغيِّرات المستقبل» من خلال «ثوابت الماضي»؟.- الرياض: مجلَّة المعرفة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.- ١٣٧ ص.- (سلسلة كتاب المعرفة؛ ٥).

١٠٣. **نظرة المستشرقين للملك عبدالعزيز وجهوده في توحيد المملكة العربية السعودية**.- ٤: ٣٨٣ - ٤٢٣.- في: المملكة العربية السعودية في مئة عام: بحوث ودراسات.- ١٥ مج.- الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٨هـ.

١٠٤ . **نقد الاستشراق: مقدِّمة لرصد وراقي «ببليوجرافي»**.- مجلة جامعة الإمام مُحَمَّد الإسلامية.- ع (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).- ص.

١٠٥ . **هاجس الخوف من الإسلام: فلسفته - تأجيجه - تداعياته**.- ورقة مقدَّمة للتحالُف الإسلامي العسكري لمحاربة الإرهاب بالرياض الأربعاء ١٤/ ١٠/ ١٤٤٢هـ - ٢٦/ ٥/ ٢٠٢١م.- ٢٦ ص.

١٠٦ . **وقفات حول العولمة وتهيئة الموارد البشرية**.- مجلة التعاون الصناعي في الخليج العربي.- ع ٨٩ (يوليو ٢٠٠٢م).- ص ٥٨ - ٧٥.

107. Cultural Issues in Human Rights and the Vagueness of Terminology. - Perth, Australia: Center for Studies of Muslim States and Societies, University of Western Australia, 20 -.2009 p.

108. Index of Information Utilization Potential (IUP) as an Information Measure.- Arab Journal for Librarianship & Information Science.- v. 7, no. 1987/7) 3).- p. 14- 4.

109. Manpower Deficiency in Saudi Arabia: Its Effect on the Library and Information Profession.- International Library Review 1982) 14) p.; 20 - 3.

110. Principles for Planning Library Education Programs in the Muslim World.- Journal of Muslim Social Scientists, 18 -.1982 p.

111. Principles for Planning Library Education Programs in the Muslim World.2- Presented in the First Conference of Muslim Librarians and Information Scientists. Sponsored by the Muslim Students' Association. West Lafayette, Indiana: Purdue University, 18 -.1982 p.

دراسات حول الباحث:

١. إسماعيل، جمال عبدالجواد رضوان. مواقف بعض المفكِّرين المسلمين من التيَّارات الفكرية المعاصرة: علي بن إبراهيم النملة أنموذجًا/ تقديم إبراهيم صلاح الهدهد.- القاهرة: دار الحكمة، ١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م.- ٤٣٢ ص.

٢. الباشا، سميَّة منصور. منهجية الردِّ على المستشرقين بين إدوارد سعيد وعلي إبراهيم النملة: دراسة تحليلية مقارنة.- إبّ (اليمن): جامعة إبّ.- (في الإعداد).

٣. الجنابي، ريام علي وقحطان عدنان بكر المولى. موقف الباحث علي ابن إبراهيم النملة من الفكر الاستشراقي: دراسة تاريخية.- القاهرة: دار الحكمة، ١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٣م.- ٢٣٩ ص.

٤. الحلوجي، عبدالستَّار عبدالحقّ. قرأت لك: أبو حسين، تأليف علي بن إبراهيم الحمد النملة.- في النشر.

٥. الخديدي، سعود بن حامد. من كُنه الاستشراق إلى نقده: قراءة في كتابات د. علي النملة الاستشراقية.- جدة: مركز أ. د. عبدالمحسن القحطاني للدراسات الثقافية، ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م.- (محاضرة في ٢١/ ٣/ ١٤٤٣هـ الموافق لـ٢٧/ ١٠/ ٢٠٢١م).

٦. الزامل، عبدالله وفهد العجلان. نجاحاتٌ من الصحراء/ تقديم صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز.- الرياض: دار المواجب العربية، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.- ١٧٦ ص.

٧. عيساوي، محمد. الباحث السعودي علي إبراهيم النملة والاهتمام بالبحث الاستشراقي.- مجلة حقول معرفية للعلوم الاجتماعية والإنسانية.- مج ٢، ع ٢ (٢٠٢١م).- ص ١٠١ - ١٢٠.

٨. المجممي، محمد. إضاءات معرفية: فوائد من كتب ومحاضرات معالي أ. د. علي بن إبراهيم الحمد النملة.- في النشر.- ٤٢٦ ص.

٩. نديم، عفاف بنت مُحَمَّد. الإبداعية المعرفية للأستاذ الدكتور علي بن إبراهيم النملة في ضوء العطاء الفكري: دراسة تحليلية ببليومترية.- مجلَّة اعلم (الاتِّحاد العربي للمكتبات والمعلومات).- ع ٢٢ (٦/ ٢٠١٨م).- ٣٥ ص.

*****